

كتاب أدبيات اللغة العربية

تأليف

حضرات محمد عاطف بك

والشيخين محمد نصّار وأحمد إبراهيم

وعبد الجوّاد أفندي عبد المتعال



تأليف

حضرات محمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم
وعبد الجواد أفندى عبد المتعال من موظفى نظارة المعارف العمومية



وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

سعد عبد الرحمن

أمين عام النشر

محمد أبو المجد

مدير عام النشر

ابتهال العسلي

الإشراف الفني

د. خالد سرور

• كتاب أدبيات اللغة العربية
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2013م
5ر13 x 5ر19 سم

• تصميم الغلاف:
د. خالد سرور

• رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٧١٩٧
• الترقيم الدولي: 978-977-718-495-3
• المراسلات:
باسم / إدارة النشر
على العنوان التالي: 16 شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

المتابعة والتنفيذ

إيمان حامد

كتـــاب أدبيـــات اللغـــة العربيـــة

فهـــــــرست

الجـــزء الاول من أدبيـات اللغـــة العربيـــة

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)



بسم الله الرحمن الرحيم

تقسيم الكلام العربى الى منثور ومنظوم

كلام العرب نوعان منثور ومنظوم . فالمنظوم هو الكلام الموزون المُقَفَّى أى الذى تكون أوزانه كلها على رَوِىّ واحد وهو القافية . والمنثور هو الكلام غير الموزون وينقسم الى سَجْع ومُرْسَل فالسجع هو الذى يؤتى به قِطَعا ويُلْتَزَم فى كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذى يُطْلَق إطلاقا ولا يُقَطَّع أجْزاء بل يُرْسَل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها . والقرآن الكريم وان كان من المنثور خارج عن نوعيه السابقين فلا يُسَمَّى مُرْسَلا مطلقا ولا مُسَجَّعا بل تفصيل آيات ينتهى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام فى الآية الاخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية

قال ابن رَشِيق فى العُمْدة وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى الغِناء بمكارم أخلاقها وطِيب أعراقها وذكْر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنْجاد وسُمَحائها الاجْواد لتهزّ أنفُسَها

بســم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلى ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذى آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فأشرقت بهم أنوار المدنية القويمة على جميع الأنام

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدّرناه بمقدّمة طويلة بينا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدنية التى عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم فى كل عصر لتكون معتمد التلاميذ فى معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التى ينشدها وبغيته التى يطلبها

ولما كانت كل أعمال الانسان فى ابتدائها ناقصة لم تصل الى درجة كمالها كان لنا الأمل فى أن يكون هذا الكتاب فى المستقبل اكمل مما هو عليه الان بعد اعادة طبعه والله الموفق

الى الكرم وتَدُلّ أبناءَها على حسن الشِيَم فتوهّموا أعارِيض جعلوها موازين الكلام فلما تمّ لهم وزنُه سَمَّوه شِعرا لأنهم شَعَروا به أى فَطَنوا

وزعم الرواة أن الشعر كله انما كان رَجَزا أو قِطَعا وأنه انما قُصّد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهِل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة

وأوّل من طوّل الرَّجزَ وجعله كالقصيد الأغْلَب العِجْلى شنيئًا يسيرا وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى العَجَّاج فى الدولة الاموية فافتنّ فيه فالاغلب والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد

وسئل أبو عمرو بن العلاء الحضرمى هل كانت العرب تُطِيل قال نعم لِيُسْمَعَ منها قيل هل كانت توجز قال نعم لِيُحْفَظ عنها . ويستحب عندهم الاطالة عند الاِعذار والاِنذار والترغيب والارهاب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حِلِّزَة ومن شابههما والا فالقِطَع أطْيَر فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة

الكلام على النظم والنثر فى عصر الجاهلية

النظـــــم

كان الشاعر العربى يقول الشعر بالبديهة لحِدّة خاطره فيرتجل القول ارتجالا وقد يتعمد القول فى بعض الاحيان ويُجهد خاطره فيه فقد كان

لزهير بن أبي سُلْمى قصائد لُقِّبت بالحَوْلِيّات كان ينظم الواحدة منها ثم يُهَذّبها بنفسه ثم يَعْرِضها على أصحابه فلا يُشْهِرها حتى يأتى عليها حَوْل

وقد وَلَجَ الشعراء فى عصر الجاهلية أبوابا كثيرة من الشعر فوصَفوا ومَدَحوا وهَجَوا ونَخَروا ودوّنوا الاخبـار وضربوا الامثـال ورغّبـوا وأرهبوا ولم يتركوا شـيئًا وقع تحت حِسّهم حتى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة فى اللفظ ومتانة فى التركيب وتَوَخّ للحقيقة وبُعْـد عن الغُلُوّ، ولقد تركوا فيما تركوه من أشعارِهم مايمكن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم من سكن البادية على خشونة فى العيش قد أتوا فى كلامهم بالعجب العجاب من السهولة والانسجام ورائع الحكم ودقيق الشعور والوِجْدان كما ترى ذلك فيما أوردناه فى هذا الكتاب من كلامهم وجَيّد أشعارهم وكان الشعر ديوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لايامهم وقيد كلامهم والحاكم لهم والشاهد عليهم وله من نفوسهم أسمى مكانة وأرفع قدر ومما يدلّك على علوّ قدر الشعر أنّ القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فَهَنّأتْها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن كما يصنعن بالافراح وتباشروا به لأنه يحمى أعراضهم ويدفع عن أحسابهم ويُخَلّد مآثرهم ويُشَيّد بذكرهم

وكان للشعر تأثير فى النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الامراء وتتحاماه الكبراء وطالما وضع قوما ورفع آخرين . قال الجاحظ

فى كتاب البيان والتبيين ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سـيد بنى مازن مُخَارِق بن شهاب حين أتاه محمد بن المُكَعْبَر العنبرى الشاعر فقال له ان بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسْعَ لى فيها فقـال كيف وأنت جار بنى ودّان فلما ولّى عنـه محمد حزِنَ مُخَارِق وبكى حتى بلّ لِحْيته فقالت له ابنته مايبكيك فقال وكيف لاأبكى وقد استغاثنى شاعر من شعراء العرب فلم أُغِثْه والله لئن هجانى ليَقْضَمَنَّى قَوْلُه ولئن كف عنى ليقتُلَنَّى شُكْره . ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردّت عليه إبله

ومما رواه صاحب الأغانى وغيره أن أعشى قيس كان يأتى سُوق عُكَاظ كل عام فيتجاذبه الناس فى الطريق للضـيافة طمعا فى مدحه اياهم والتنويه بهم فى عكاظ فمرّ يوما ببنى كلاب وكان فيهم رجل يقال له المحلّق وكان مِئْناثا مُمْلِقا له ثَمَـانِى بَنَات لايَخْطُبهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الفقر وخمول الذكر فقـالت له امرأته مايمنعك من التعرّض لهذا الشاعر واكرامه فما رأيت أحدا أكرمه الا وأكسـبه خيرا فقال ويْحَك ماعنـدى الا ناقتى فقالت يُخْلِفها اللهُ عليك . فتلقّاه قبـل أن يسـبقه أحد من الناس وكان الأعشى كفيفا يقوده ابنه فأخذ المُحَلَّقُ بِخطام الناقة فقال الأعشى من هذا الذى غلبنا على خِطام ناقتنا فقيل المحلق قال شريف كريم ثم قال لابنه خَلّه يقتادها فاقتادهـا الى منزله وأكرمه ونحر له الناقة وجعلت البنات يدرن حوله ويبالغن فى خدمته

فقال ماهـــذه الجوارى حولى فقال المحلّق بنات أخيـك وهُنّ ثمَـان نصيبهنّ قليل فقال الأعشى هل لك حاجة فقال تُشَـيّد بذِكْرى فلعلى أُشْهَر فتُخْطَب بنَاتى فنهض الاعشى من عنده ولم يقل شيًا فلما وافى عكاظ أنشد قصيدته التى أنشأها فى مَدْحه وهى نَيْف وأربعون بيتا وفيها يقول

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضـــوء نار باليَفَاع تُحَـرَّقُ
تُشَبّ لمَقْـــرورَيْن يصطليانهـا وبات على النار الندى والمُحَلَّق

فسارت القصيدَة وشاعت فى العرب ولم تمض ســنة على المحلق حتى زَوّج بناته ويسرت حاله اه

وكان لِشُـعراء العرب أَنَفة من التكَسُّب بالشِـعر حتى نشأ النابغة الذُّبْيانى قُبَيل الاسلام فمدح الملوك وقبِل الصِلَة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدرك الاســلام ولم يُسْلِم لجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصى البلاد وقصد ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته . وكان زُهـــير ابن أبى سُلْمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهَرِم بن سنان . على أن شـيًا من ذلك لم يضَعْ مِن قدر الشعر ولم يَحُطّ من قيمته لقِلّة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم فى ذلك العصر

ومدّة العصر الجاهلى نحو مائة وخمسين سنة ومن أشهر ما قيل فيه من الشعر المعلّقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشـعر العربى

واحسنه أسلوبا ويقال انهـا كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويها لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها فى مجتمعاتهم مترنّمين بمـا فيها من محاسن الشِيَم مُعْجَبين بما اشتملت عليه من المعانى الشريفة والتشبيه الحسن البـــديع وحسن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن

وأصحابها هم امرؤ القيس وطَرَفَة بن العبـد وزهير وعمرو بن كُلْثوم ولبيد وعنترة والحارث بن حِلِّزَة وكلهم من فحول شعراء الجاهلية وممن اشـــتهر فى العصر الجاهلى من الشعراء غير أصحاب المعلقات وكان من فحول الشـعراء النابغة الذُّبْيَانى والأعشى والمُهَلْهِل وعَبِيد بن الأبْرص والسَمَوْءل والشَنْفَرى ودُرَيد بن الصِمّة وأوْس بن حَجَر وحاتم الطائى

النـــــثر

قد أثِرعن العرب من منثورهم فى العصر الجاهلى بعضُ الامثال والحِكَم والخُطَب والوصايا مماعَلِق بالضمير لحسنه وحَرَصت عليه النفس لنفاسته

(الامثال) جمع مَثَـــل وهو جملة من القول مقتطعة من أصلها أو مرسلة بذاتها فَتُنْقَل عما وردت فيه الى ما يصح قصده بها من غير تغيـــير يلحقها فى لفظها والعرب من أكثر الامم أمثالا للحكمة المُودَعة فى نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم الى الايجاز فى القول . وقد أُلِّفت مجموعات للامثال وطُبِـع بعضها ومن ذلك مجموعة للميـــدانى جَمع فيها أكثر من ستة آلاف مثل

(الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المصون عن الحشو والعرب من أكثر الامم ايرادا للحكمة فى عبارات حسنة الاسلوب متينة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس

(الخُطَب والوصايا) الخطب جمع خطبة والوصايا جمع وصيّة وكلٌّ من الخطبة والوصيـة يُرَادُ به جملة من القول يقصـد فيها الى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفير ممـا يضرهم وقد تشتمل على الفخر والمدح ونحو ذلك

والفرق بين الخطب والوصايا أن الخطب تكون فى المَشَاهد والمَجَامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولَدَى الكُبَراء والأُمَراء ومن الوفود فى أمرٍ مُهِمّ وخطب مُلِمّ . وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصـين فى زمن مخصوص على شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نُقْلة أو ماشابه ذلك

وسيرد عليك فى هـذا الكتاب أمثلة لكل ماتقدّم تُفَصّل لك مُجْمَلَه وتُوَضّح لك مبهمَه

السبب الذى دعا العرب الى الخَطابة وما يتعلق بذلك(١)

لايخفى ما كانت عليـه العرب أيام جاهليتهم من الأَنَفَـة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحـافظة على شرفهم وعلوّ مجدهم وسوددهم

(١) بلوغ الارب فى أحوال العرب

حتى حدث ماحدث بينهم من الوقائع العظيمة ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس الى مايستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جبَانهم ويشــدّ جَنَانَهم ويثير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يُسْتَهان ولشوكتهم أن تُسْتَلاَن وتَشَفّيًا بأخذ الثار وتَحَرُّزا من عار الغلبــة وذُلّ الدَّمار . وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوجَ اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأبيد مفاخرهم

ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ماذكره الجاحظ فى كتاب البيان . وقد ألف فى خطبهم كتب كثيرة وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين نبذة صالحة من خطب الجاهلية والاسلام وكذا ابن عبد ربه فى العقد الفريد

وكان للعرب اعتناء بالخطيب فى جاهليتهم وللخطباء عنـاية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعانى وينتخبون لها أحسن الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصـدهم فان الالفاظ الرائقة والمعانى الجزلة أوقع فى النفوس وأشدّ تأثيرا فى القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لسِحْرا . والأُذُن للكلام البليغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب فى العاجل والارهاب فى الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تَخْلُب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما

ومن عاداتهـم فى الخطابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذاك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم

ومن عاداتهم فيها أخْذ المِخْصَرة بأيديهم وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يعتمدون على الارض بالعِصِىّ ويشيرون بالعصا والقنا

وكانوا يستحسنون فى الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره

ومن فحول خطباء الجاهلية قُسّ بن ساعدة الإيَادى وأَكْثَم بن صَيْفى التميمى وذُو الاصْبَع العَدْوانى وعمرو بن كُلْثوم التَغْلبى وقيس بن زهير

أسواق العرب فى الجاهلية

واهتداؤهم الى تهذيب لغتهم وتوحيدها وعنايتهم بذلك

كان للعرب أسواق يقيمونها فى أوقات معينة وينتقلون من بعضها الى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويتناشـدون الاشعار ويلقون الخطب . وكانوا يتحاكمون الى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غَثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفَضِّلون من سَهُلت عِبَارَته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العـرب ما حلا فى الذوق وخف على

السمع . فكانت هـذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بهـا العرب الى تهذيب لغتهم لفظا وأسـلوبا وجَعْـل لغـة الشِعر والخَطَابة لغة واحدة بين جميع القبائل باذلين فى ذلك جهـد المستطيع . منها مَجَنّة وذو المَجَاز وعُكَاظ

وأشهر هذه الأسواق سُوق عُكَاظ مِنْ عَكَظَه يَعكِظه عَكْظا عَرَكَه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخـل فى واد بين نخلة والطائف من بلاد الحجاز و بينـه و بين الطائف عشرة أميـال وكانوا يتبايعون فى هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحَاجُّون وينشد الشعراء ماتجدّد لهم وقد كثر ذلك فى أشعارهم كقول حسان

سأنشُر إنْ حَيِيت لهم كلاما ‌ يُنَشّر فى المَجَنَّة مَعْ عُكاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع . وكان كل شريف انمايحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافَوْن بهـا من كل جهة ومن كان له أسِـير سَعَى فى فِدائه ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة

وكانت تقوم هذه السوق من أول ذى القَعْدة الى العشرين منه على المشهور واتُّخِذت عكاظ سُوقا بعـد عَامِ الفِيل بخمس عشرة سـنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة

ولعكاظ فضل على اللغة العربيـــة فى العصر الجـاهلى اذ لولاها لاصبحت لغة العرب لغات لايتفاهم أصحابها وانفصلت كل منها عن

الاخرى وقتاما ذلك لأن لغات القبائل العربيـــة كان بينهـا تفاوت فى اللهجة والاسلوب واللفظ وكان هذا التفاوت يقل ويكثر تبعا لضعف وقوّة العلاقات التى ترتبط بهـا قبيلتان أو عدّة قبـائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التى يؤثر اختلافها أعظم تأثير فى اللغة فلما عَظُم شأن عكاظ وأمّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقاء الالفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل لاسيما قريش طمعا فى أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبِي أى تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أوخطيب لهجة قومه ولغة قبيلته وحدها لم يجد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها

وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة فى أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل المختلفة متبعين فى ذلك لغة قريش غالبا . وانما اختاروا هذه اللغـــة على غيرها لمـا كان لها من السيادة على لغات قبائل الحجاز ونجد ولمـا كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب

تاريخ الكتابة والخط عند العرب

كان الغـالب على العرب فى بعض عصر الجاهلية الأمّيـــة والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدّا . والزمن الذى ابتدئ فيه

باستعمال الخط العربى قديم غير معين . وأوّل من كتب بالعربية على أشهر الاقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خَطّهم بالمُسْنَد وهو الخَطّ الحِمْيَرى وكانوا يكتبونه حروفا منفصــلة ويمنعون العامّة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيءٍ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمــير ثم علّموه أهل الأنْبــار ومن الانبار انتشرت الكتّابة العربية فأخذها عنهم أهل الحِيرة وتداولوها ولمــا قدم الحيرة حَرْب بن أمَيَّــة القُرَشى جدّ معاوية بن أبى سفيان نقل هــذه الكتّابة من الحيرة الى الحجاز بعــد أن عاد الى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انمــا لُقِنُوا الكتّابة من الحيرة ولُقّنها أهل الحيرة من التبابعة وحِمْيَر كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربى بالغا مَبالغه من الاتقان والاحكام والجودة فى دولة التبابعة لِمَا بلغت من الحضارة والتَرَف وانتقل منها الى الحِيرة لِمَا كان بها من دولة آل المنــذر نُسَباء التبابعة والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق

العلوم والمعارف عند العرب
فى عصر الجاهلية

العرب غير البائدة يرجعون الى أصلين وهمــا قحطان وعدنان . أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور وشــيدوا الحصون

وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الاخبار شرحا وافيا . وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البلاد وأوغلوا فى الارض واستولوا على كثير من أقطارها شرقا وغربا . كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التى لابد منها فى حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لايمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة .

وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ماجاء به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الى أن اختل أمرهم وتغيرحالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أوما احتاجوا اليه فى دنياهم من الأنوّاء والنجوم أومن الحروب ونحو ذلك . وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبنى فى غالب الامر على التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شعرهم شيأ كثيرا منه . غير أن تدوين شئ من ذلك فى عصر الجاهلين لم يكن لغلبة الأمّية والاعتماد على الذاكرة وقد نقل ما نقل منه بالرواية والسماع . وكان يقال لهم الأمّة الامّية قال تعالى (هو الذى بعث فى الأمّيين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) اهـ بتصرف من كتاب بلوغ الأرب فى أحوال العرب

وقال ابن خلدون و ياقوت ما كان فى القديم لأحد من الأُمَم فى الخليقة ما كان للعرب من المُلْك. ودُوَل عادٍ وثمود والعمالِقة وحِمْيَر والتَّبابعة شاهدة بذلك وقد ملكوا مصر والروم واستعملوا عليها أحد القياصرة وتوغلوا فى الهند والصين وبلاد الفرس والترك والتُّبَّت وأخذوا الأَتَاوَى من القسطنطينية وذكروا ذلك فى أشعارهم وغير ذلك مما لا نطيل به ثم دولة مضر فى الاسلام بنى أمية و بنى العباس

حالة اللغة العربية وآدابها

من ابتداء ظهور الاسلام الى الدولة العباسية

جاء الاسلام ولغات العرب ولهجاتهم متشعبة غير أن لغتين منها كانت لهما السيادة على سائرها . الاولى لغة قريش وكانت فى مكة وما جاورها . والثانية لغة حِمْيَر وكانت فى بلاد اليمن

وقد تقدّم فى الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُؤْثِرون لغةَ قريش على سائر لغات العرب ويُبِثُّونها بين القبائل كافة فى خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة

ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودَانَ لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتَداولة

فى المكاتبات والمؤلفات فى جميع العلوم الى يومنا هذا والفضل فى بقائها وحفظها انما يرجع الى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة فى مبدأ انتشارها

ولقد كان هذا الانتشار سببا لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء . وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين

فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم فى مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات فى معانيها فيُلَقَّنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لايزال سماعهم يتجدّد فى كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم . فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع فى العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه . ولقد وفّى ابن خلدون فى مقدّمته هذا المقام حقه من البيان

وانك لترى اليوم من المتكلمين بلغتنا من الافرنج ما يوضح لك ذلك من لهجتهم وأساليب عباراتهم التي هي في الحقيقة أساليب لغتهم الاصلية صبغوها بصبغة عربية

ولقــد ظهر شئ من اللحن فى كلام الموالى والمتعرّبين من أوّل عهد الاسلام . من ذلك ما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وســلم فقال أرْشِــدوا أخاكم فقــد ضَلّ . وكتب كاتب لأبي موسى الاشــعرى الى عمر رضى الله عنــه فلحن فكتب عمر الى أبي موسى أن اضرب كاتبك سوطا واحدا . غير أن اللغة فى العصر الاوّل كانت ملكتها مستحكمة وما ظهر من اللحن كان يســيرا . وفى أوائل الدولة الأموية أخذ اللحن يفشو وينتشر وانتقــل من الاعاجم الى العرب أنفسهم من أبناء الخلفاء والامراء والخاصة والعامّة . ومن شواهد ذلك أن زِيَادا لمــا أوْفَد ابنَهَ عُبَيد الله الى معاوية كتب اليــه معــاوية أن ابنك كما وَصَفْتَ ولكن قَوِّمْ لِسانَه . وجاء رجل الى زياد وهو أمــير البصرة فقال أصــلح الله الامير تُوُفِّيَ أبانا وترك بَنُونا فقال زياد متعجّبا مُنْكِرا توفى أبانا وترك بنونا . وقالت ابنــة أبي الاسود الدُّؤَلى له يوما ماأحسنُ السماءِ فقال نُجُومُها فقالت انى لم أرد هــذا أو انمــا تعجبت من حسنها فقال لهــا اذًا فقولى ما أحسنَ السماءَ وافتحى فاك . وسمع ابو الاسود قارئا يقرأ قوله تعالى (ان الله برىء من المشركين ورسوله) بجرّ رسوله فأكبر ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله . وكان

هـــذا سببا فى وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد . وقال الحجاج يوما للشَّعْبي كم عطاءَك فقال أَلْفَين قال ويحك كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لحنت أوّلا قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت . وقيــل لعبد الملك بن مَرْوان لقد عجِل اليك الشَّيْب ياأمير المؤمنين فقال شَيَّبَنى ارتِقاء المَنَابر وتَوَقُّع اللَّحْن . وكان الوليد بن عبدالملك كثير اللحن وله فى ذلك نوادر كثيرة

الكتابة والخط

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدّم ومنذعصر النبي صــلى الله عليه وســلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها فى كتابة الوحى والرسائل التى كان ينفذها رسول الله صــلى الله عليه وســلم الى الملوك والامراء وقد أمر بعــد غزوة بدر من لم يكن له فــداء من الأَسْرَى أن يُعَلِّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة

ولـما كثرت الفتوح فى مدّة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وضَعَ دِيوانَ الخَرَاج وديوان الجيش لضــبط الاعمــال وكان ذلك فى المحرم سنة عشرين

وقد كان ديوان الخراج والجِبَايات فى بلاد العراق والشــام ومصر يُكتب فيــه بغير العربية الى زمن عبــد الملك بن مروان وابنه الوليد حين ظهر فى العرب ومواليهم مَهَرة فى الكتابة والحساب فنقــل ديوان العراق من الفارســية الى العربية والذى نقله هو صالح بن عبدالرحمن

كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربيـة والفارسـية . ونقل ديوان الشام من الرومية الى العربية والذى نقله هو سليمان بن سـعد والى الأُرْدُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبدالملك فقال لِكُتَّاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم . ونقل ديوان مصر من القبطية الى العربيـة والذى نقله هو عبـدالله بن عبـدالملك ابن مروان فى خلافة الوليد بن عبدالملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية

وأوّل كتاب كتب باللغـة العربيـة هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفى بعد انشاء الكوفة) واستعمل فى عهد بنى أمية مع ترقيه فى درجات الحسن تبعا لحضارة الأمّة . وقد كان المصحف خاليا من الشكل والنقط غير أنه لكثرة المسـلمين بسرعة انتشـار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشِىَ على القرآن الكريم من ذلك فقـام أبو الأَسْوَد الدُّؤَلى ووَضَـع له علامات الاعراب فى أواخر الكلمات بِصِبْغ يُخَالِف لَون المِداد الذى كُتب به المصحف . وجعـل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة الى جانبـه والكسر نقطة فى أســفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك فى خلافة معـاوية . ثم ان الحجاج فى مدّة عبـدالملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها وخالف فى ذلك طريقـة أبى الاسود لئـلا يلتبس النقط بالشكل .

وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامات الاعجام (الشكل) كالشّدّة والصِـلَة والقطعة وهذب جميع العلامات فجعل الضمة واوا صـغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفا مسطوحة فوقه والشدّة رأس سين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخْذًا مِن شِكَال الدابة الذى تقيّـد به فكأنـ شكل الكلمة يقيـدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط فى ذلك العصر نوعان . أحدهما يســتعمل فى كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات ممـا يُحْتاج فيه الى التّأنّق والاجادة وحُسْن النَسَق . وثانيهما يستعمل فى كتابة الرسائل ونحوها ممـا يُطلَب فيـه الاسراع ولا يُحتاج فيـه الى التأنق وزيادة التحسينـ . والنوع الاوّل هو المعروف بالخط الكوفى وأما النوع الثانى فانه أصــل خط النَسْخ ارتقى فى الحُسْن والجَوْدة شيئاً فشيئاً حتى تحوّل الى ما هو عليه اليوم

ثم ان الخط بنوعيه انتقل الى الامصار التى انتشر فيهـا الاســلام وتنوّعت أشكاله ورسومه فانتقل فى عصر الامويين الى أفريقية وتولد منه الخط المغربى المستعمل الآن فى المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطَرَابُلُس

النثر والنظم وفضـــل القـــرآن الكريم
على اللغة العربية فى تهذيبها وترقيتها

قد أخذت اللغة العربية عند ظهور الاسلام وِجْهَةً دينيّة من القيام بالدعوة الى الدِّين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحِكَمه وآدابه

وانك لترى فى كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخرة والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظرِ الى خيرات الأقاليم التى فتحها المسلمون والتطلع اليها خوف الوقوع فى الزَّلَل. فترى رسائل هذا العصر المنير وخُطَبه تُرَدِّد صدى الكتاب العزيز حاثّة على الفضيلة مُنَفِّرة من الرذيلة . وكُلُّها جاء فيه اللفظ تابعا للمعنى لم يُتَعَمَّد فيه ضَرْب من ضروب الصنعة الكلامية صادرة عن شعورٍ حَيّ ووجْدان صـادق ولذا نَفَذت الى سُـوَيداء القلوب وأصابت مواقع الوجدان . واذا كان الكلام خارجا من القلب فانه يقع فى القلب واذا لم يكن صادرا الا عن اللسان فانه لا يتجاوز الآذان . وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصـائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفَسّحت للفضائل والحقـائق فرأت أهـــلا ومكانا سهلا فتحلّت بهـا النفوس والعقول وقويت العزائم وعَلَتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الأمم

ويرى الناظر الى حالة اللغة فى عصر الدولة الاموية انها انتقلت الى حالة أجمل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة الى الحضارة ومن سكنى الخيام الى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تجاربهم وقوى فيه الخيـال وكثرت التصـورات وانتقلوا من حال الى حال فأشعر ذلك نفوسهم معانى جديدة ووجدانا وعلما لم يكونا من قبل . فاحتاجوا الى العبـارة عن ذلك بمـا يلائمه من الالفـاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات فى القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها . وقد ظهر ذلك فى خطبهم ورسائلهم ظهورا بيّنًا

وكانت موضوعاتها فى الغالب الوعظ والارشاد والذّود عن الحقوق وايقـاف الاطماع عنـد حدّها وكبْت الخارجين وتأليف الاحزاب وتوحيد الكلمة

وكانت العبارات لا تزال آخذة اسلوبا حيًّـا مؤثّرا مع إحكام صنعة وحسن عبارة وجودة مقاطع

الخطـــــابة

كانت خُطَب الصدر الاول من الاسلام فى اسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك فى خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزياد وعبد الملك والحجّاج وقطَرِىّ بن الفُجاءة وأبى حمزة وواصل بن عطاء . والفضل فى ارتقاء الخطابة يرجع الى الكتّاب

المبين من وجوه كما بَيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاســلام قال فى بيـان هذه الوجوه

(١) ان القـرآن الكريم وان نزل بلغـة القوم التى بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون الا أن أساليبه العـاليـة التى أعجزت خطباءهم وفصحاءهم وأخذت بمجامع قلوبهم أَلْبَسَـتْهم مَلَكة من البلاغة فى تَخَيُّر الاساليب غَيّرت مَلَكتهم الاولى وأطْلَقَت ألسنَتَهم من الوحشية والتعمّق الذى كان دَيْدَن كثـير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المِصْقَع اذا لم يكن فى كلامه شئ من آى القرآن . روى الجاحظ أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع

(٢) ما جاء فى القرآن من الترغيب والارهاب على الاسلوب البالغ حد الايجـاز وما كان له من التأثير فى الضمائر والاخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن فى أسالب الوعظ الخطـابى عند حلول الازمات أو الحاجة الى تأليف قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يدفع بالخطبة الواحدة من المُلمّات ما لا يُدْفَع بالبيض المُرْهَفات ويملك من قلوب الرجال ما لا يُمْلَك بالبِدَر والاموال

(٣) ان الاسلام بما هَذَّب مِن أخلاقهم وألَانَ من طباعهم وعَدّل من شِيَمِهم أدخل من الرقة على عواطفهم ما رق به كلامهم وكَثُر للمعانى المؤثرة فى النفوس اختيارهم فى مخاطبتهم وخطبهم

(٤) ان الاسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبمـا منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب وفّر لهم الاســباب الداعيــة الى التوسع فى الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسع من الملك وتقتضيه عادات الأمم المحكومة وأخلاقها اه بتصرف يسير فى العبارة

وكان الخطباء فى هـذا العصر يمسكون بيدهم العصا أو المِخْصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبدالملك بن مروان لو أَلْقَيْت الخَيْزُرانة من يدى لذَهَب شَطْر كلامى

الرســـــائل

فى صدر الاســلام كانوا يكتبون من فلان الى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى وُلِّى الوَليد بن عبدالملك فأمر أن لايكاتِبه الناس بمثــل ما يكاتِب بعضهم بعضا وبقى الحال كذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر الى ما كان عليه الوليد

وفى أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسـلوبا غير الذى كانت عليه ودخلتها الصـنعة والقصد الى تميق اللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبدالحميد بن يحيي الكاتب وهو أوّل الطبقة الثانية من الكتّاب . وكانت الرسائل قبل عبدالحميد موجزة غالبا ثم طُوِّلت لاقتضاء المقام تطويلها

النظـــــــم

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه فى أوّل عصر الاسـلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوّة والوحى وما أدهشهم من أسـلوب القرآن ونظمه فَأُخْرِسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأُونسَ الرُشْـد من المِلّة ولم ينزل الوَحْى فى تحريم الشعر وحَظْره وسمعه النبي صلى الله عليه وسـلم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ الى دَيْدَنهم منـه . وكان لعُمَر بن أبى ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا مايَعْرِض شِـعْره على ابن عباس فيقف لاستماعه مُعْجَبا به ثم جاء من بعـد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتَقَرَّب اليهم العرب بأشـعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة فى أشعارهم ومكانهم من قومهم ويَحْرِصون على استهداء أشـعارهم يَطَّلِعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف اللسان . والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هـذا الشأن أيام بنى أمية وصدرا من دولة بنى العباس اهـ من المقدّمة لابن خلدون من الفصل الخمسين من الكلام على العلوم

وقال حمّاد الراوية أمَرَ النُعمانُ فنُسِخت له أشعار العرب فى الطُنُوج أى الكراريس فكُتِبت له ثم دَفَنها فى قَصْره الأبْيض

فلمّا كان المختار بن عُبَيد قيـل له ان تحت القصر كنْزا فاحتَفَره فأخرج تلك الاشعار فمِن ثَمّ كان أهل الكُوفة أعلم بالاشعار من أهل

البَصْرة . وقال ابن خلدون أيضا ان كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البـلاغة من كلام الجـاهلية فى منثورهم ومنظومهم فانّا نجد شعْر حَسّان بن ثابت وعمر بن أبى ربيعة والحُطَيْئة وجَرِير والفَرَزْدق ونُصَيْب وغَيْـلان ذى الرُّمّة والأحْوص وبَشَّار ثم كلام السَّلَف من العرب فى الدولة الأموية وصدر الدولة العباسـية فى تَرَسُّلهم وخُطَبهم ومُحَاوَرتهم للمُلُوك أرفع طبقة فى البلاغة من شـعر النابِغـة وعنترة وابن كُلْثوم وزُهَير وعَلْقمة بن عَبَـدَة وطَرَفة بن العَبْـد ومن كلام الجاهلية فى منثورهم ومحاورتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهـدان بذلك للناقد البصـير بالبلاغة . والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاســلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها وَلَجت فى قلوبهم ونشأت على أسـاليبها نفوسهم فنهضت طِباَعهم وارتقت مَلَكـاتهم فى البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلَهم من أهل الجاهلية مِمّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقة ولا نشأ عليهـا فكان كلامُهم فى نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ دِيباجةً وأصـفَى رَوْنقا مِن أولئك وأرْصَفَ مَبْنًى وأعْدَل تثقيفا بمـا استفادوه من الكلام العالىَ الطبقة اه

والشعراء الذين أدركوا الجاهلية والاسلام يُسَمَّون المُخَضْرَمِين (من الخَضْرمة وهى الخَلْط لانهم جَمَعوا بين العَصْرَين الجاهلى والاسلامى) ومِن أشهرهم حسّانـ بن ثابت والنابغـة الجَعْـدِى وكَعْب بن زُهَير

والعَبّاس بن مِرْداس والحُطَيْئَة . وأما الذين لم يُدْرِكوا عصر الجاهليــة بل نَشَؤا فى الاسلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومِن أشهرهم جَرِير والفَرَزْدق والأخْطَل وذوالرُّمّة والكُمَيت وبشّــار ابن بُرْد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الاموى والعباسى

وكلا الفريقين يُسْتَشْهد بكلامه فى اللغة ويُحْتَجّ به

وقد امتاز الشـــعر فى هذا العصر ببلاغة فى المعنى ومتانة فى التعبير وإحكام فى التركيب مع رقّة وحُسْن تصرف فى القول وسَعة فى التصوّر فاق فى كل منها الشعر الجاهلى

ولم يزل للشـــعر من المكانة فى النفوس فى العصر الأموى وصــدر من العصر العباسى مثل ما كان له فى العصر الجـاهلى وان كان بعض المخضرمين كالحطيئة والاســـلاميين كالأخطل وجرير اتّخذوه صناعة للتكسب وطَلَب الرّزْق من السادات والامراء والخلفاء فان ذلك لم يَحُطّ مِن قَدْره ولم يَخْضِــد من شوكته ومن شواهد ذلك ماروواه الجاحظ فى البيان عن أبى عبيدة قال كان الرجل من بنى نُمَير اذا قيــل له ممن الرجل يقول نُمَيرى كما ترى فما هو إلاّ أنْ قال جرير

فَغُضّ الطَرْف إنّك من نمير فلا كعبــا بَلَغْتَ ولا كلابا

حتى صار الرجل من بنى نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بنى عامر .

وروى الجاحظ أيضا عن أبى عبيدة قال كان الرجل من بنى أنْف الناقة اذا قيل له ممن الرجل قال من بنى قُرَيْع فما هو الا أن قال الحطيئة

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ومَن يُسَوِّى بأنف الناقة الذَنَبا

حتى صار الرجل منهم اذا قيل له ممن الرجل قال من بنى أنف الناقة

العـــلوم والمعـــارف

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمِل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيه المسلمون غُنْيَتَهم وجَعَلوه هو والسُّنّة النَبَوية عُمْدَتَهم ومَرْجعَهم مدّة الخُلَفاء الراشـــدين والدولة الأموية . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حِكَمه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج الى تعـلم العـلوم اللسانية كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومَتْن اللغـة لانّ الكتاب كان مُتَنَزّلا بلُغَتهم التى هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التى نزل فيها القرآن وبأسـباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع النَسْخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل الى آخر علومه التى أفردها الأئمة بالتأليف وغاية الاشتغال بهذه العلوم اللسانية انمـا هو الوصول الى معرفة اللغة كما كانت تعرفها العرب . ولم يكن لديهم من بقايا قدمائهم فى العـلوم الدنيوية الا البعض كالطّبّ الذى ورثوه عن أسلافهم . ولا يذهبن بك الوهم الى أن الدين الاسـلامى يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيز جاء حاثا على النظر فى ملكوت السموات والارض منبها الى الانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة

بصريح العبارة فى الآيات العـــديدة غير أن المسـلمين فى أوّل ظهور الاســلام كان يمنعهم عن الاشــتغال بهذه العلوم انصرافهم الى القيام بدعوته وتَصَدِّيهم لتهذيب جميع العالَم وترقيته وتخليص من حَوْلَهم منَ الاَمَم مِن شوائب الأوهـام والرذائل . فكانوا خُصَماء للعالَم كله . فلما تضمّخ الخـافِقانِ بطيب عبـيره وارْتَوَى الاُفُقَـانِ من عُذَيب نَميره واســتقرّت من الدين دعوته وعلت كَلِمته وَنَفَذَت شَوْكته وُجّهَت العناية الى تلك العلوم الدّنيوية فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباســـية . وقد ظهرت آثار العلوم العقلية فى أوائل القرن الثـانى وترجمت جملة من الكتب العلمية والصناعية

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يستظهرون الاحاديث النبوية ولا يكتبونها وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فكتب الى الافاق (أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوه) ودوّنه بأمره محمد بن شهاب الزُهْرى المتوفَّى سنة ١٢٥ وكان ابتداء تدوين الحديث على رأس المـائة . وبعد ذلك دُوّنت كُتُب الحديث تِباعا فى عصر العباسيين ووجهت اليهـا العناية حتى ضبطت ضبطا محكما

وأما البراعة فى الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر فانها قد بلغت فى خلافه بنى أميـة مبلغا لم تبلغه

أمة قط فى مثل مدّتها . وقد كان الخلفاء من بنى أمية يُعْلُون مَنْزِلتهـا ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العباسية وأخبار المهدى مع المفضّل وحمّاد وحديث الرشيد مع الاصمعىّ حلية تلك القلادة وقال الامام أبو الحسن بن سعيد العسكرى بلغ من عناية بنى أمية وشغفهم بالعلم انهم ربمـا اختلفوا وهم بالشام فى بيتٍ من الشِعر أو خَبَرٍ أو يوم من أيام العرب فيُبرِدون فيه البَرِيد الى العِراق حتى قال أبو عبيدة ما كنا نفقِد فى كل يوم راكبا من ناحية بنى أميّــة ينيخ على باب قَتَادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَب أو شِعر فقدِم عليه رجل من عنـد أبناء الخلفاء من بنى مروان فقال له مَن قَتَل عامرا وعمرا التغلبيّين يومَ قِضّة فقال قتلهما جَحْدَر بن ضُبَيعَةَ بن قَيس بن ثَعْلَبة فشخَص بها ثم عاد اليه فقال أَجَلْ قَتَلهما جحدر ولكن كيف قتلهما جميعا فقال اعْتَوَرَاهُ فطعَن هذا بالسّنَان وهـذا بالزُّجّ فَعَادَى بينهما ثم قال ولم يزل المأمون حين دخل العـراق يراسل الاصمَعىّ فى أن يجيئه ويحرِص على ذلك والشيخ يعتذر بضعفٍ وكِبَرٍ ولم يُجِب فكان الخليفة يجمع المسائلَ ويُنْفِذهـا اليه الى البصرة اه باختصار

وقد كتب شئ من التاريخ فى زمن معاوية رضى الله عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفا لوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٦ فى أخبار ملوك حمير وأشعارهم

وكان وضع علم العربية فى آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وأخذه عنه أبو الاسْوَد الدُؤَلى وأتَمَّهُ

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى فى كتابه تاريخ الادباء بعد كلام مانصه

وسبب وضع على كرم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الاسود قال دخلت على أمير المؤمنــين على بن أبى طالب فوجدت فى يده رُقْعــة فقلت ما هــذه ياأمير المؤمنين فقــال انى تأملت كلام العرب فوجدته قد فَسَد بمخالطة هــــذه الحَمْراء (يعنى الاعاجم) فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه . ثم ألقى الىّ الرقعــــة وفيهــا مكتوب (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ماأنبأ عن المسمى والفعل ماأنبئ به والحرف ما أفاد معنى) وقال لى انحُ هــذا النَحْو وأضِفْ اليه ماوقع اليك واعلم ياأبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر وانمــا يتفاضــل النــاس ياأبا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الاسم المبهم) . قال ثم وضعت بابى العطف والنعت ثم بابى التعجب والاستفهام الى أن وصلت الى باب ان واخواتها فكتبتها ماخلا «لكنّ» فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرنى بضم «لكنّ» اليها . وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضــته عليه

الى أن حصلت مافيه الكفاية فقال ماأحسن هذا النحو الذى نحوتَ فلذا سُمّى «النحو» اه

وأخذ عن أبى الاسود جمع من الطُّلّاب من أشهرهم نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما تقدم . وجاء بعده جمع من أئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد وسيرد عليك ترجمة بعضهم فى هذا الكتاب

حالة اللغـــة العربيـــة وآدابهـــا
فى عصر الدولة العباسية وما بعدها

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب فى أنحاء المعمورة وامتدّ ملكهم شرقا وغربا من الهند الى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم فى الاسلام واختلطو بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد الى اللغة وفشا اللّحن والتحريف . وكان أوّل ماظهر ذلك فى المُدن والامصار ثم دبّ الى البَدْو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالاعاجم . ومن لم يختلط منهم لم تفسد لغته . وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها

ولمـا تغلب العجم من الديلم والسلجوقيـه على الممـالك الاسلامية فى بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربى يذهب لولا الكتاب المجيد . وبعد أن سقطت الدولة العباسـية وتغلب التَّتر

والمُغُول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا فى الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغــة العربية فى البلاد الفارســية وما جاورهـا فى الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق العجمى وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم الاّ فى كُتُب الحديث والدِّين وبعض كتب العلم حتى ان كثيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركية والفارســية والهندية وذهبت أساليب اللغــة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربية ببلاد العرب والعراق العربى والشــام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرّف بالاسلام أولئك المتغلّبون فعاد فى بلادهم الى العربية بعض رُوَائِها وفاض بعد أنْ غاض مَعِينُ رَوَائِها غير أن لغة الكلام أصبحت بعيدة عن لغـــة الكتابة لكثرة مادخلها من التغيــير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما . فالكتابة لاتزال باللغة العربية الصحيحة فى الكتب المعتبرة وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها . وهذه اللغة العامية كل يوم فى تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوّة وضعفا . ولذا تجد اللغات العامّية تختلف فى لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك فى لغــة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضها ببعض وفى لغـــة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة

ولقد أتى فى مصر والشام زمن طويل على اللغـــة العامّية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة فى الكتابة وفى بعض المؤلفات كما ترى شيئاً من ذلك فى تواريخ ابن اياس والجبرتى والانس الجليـل وربما تعمّد مؤلفوها ذلك لإفهام العامّة وتراه أيضا فى كتابة الدواوين بمصر فى القرن المـاضى ولا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ظهورا بينا فى بعضها وقليلة أو نادرة فى بعضها الآخر

بل كانت لغـة الدواوين فى مصر بعضها لايفهم لبعده عن كل من اللغة العامّية واللغة الصحيحة

ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضل أخذوا بناصرها من زمن غير بعيد ونهضوا بها نهضة لم تكن فى الحسبان حتى أرجعوا اليها بعض ما فقدته من قوّتها

النـــــــثر والنظـــــم

اتسع نطاق النـثر فى العصر العباسى اتسـاعا عظيما ودوّنت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية

وقد اسـتدعى هذا استعمال كثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العـلوم والفنونـ كما ترى ذلك فى اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الألفاظ العرفية المستحدثة

وكانت عبـارة التأليف من ابتـداء تدوين العلوم الى حوالى القرن الرابع خالية من التعقيد حســنة الأسلوب متينة التركيب قريبة المآخذ لاسيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة

وكذا كان شأن الرسائل والتحرير فى أىّ غرض كان فى ذلك العصر الذى زهت فيه العلوم وحَيِيَت الآداب وعمّت الحضارة والمَدَنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمّة الاســلامية . غير أنه دخل شئ من التكلف فى النثر والنظم ولكنه كان مستترا بحسن السبك وإحكام الصــنعة فى الغالب ولم يكن ليؤثر فى جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعـد ذلك أخذت هـــذه الحياة الادبية فى الضعف تبعا لضعف الخلافة العباسية العربية وكثر التكلف فى الكتابة والنظم ومال كثـــير من الكتّاب الى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهِياً عنه بالالفاظ وتمييقها والجناس ونحوه من المحسّنات اللفظية حتى صـــنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبي والفتح القدسى لكنّ عبارة التأليف فيهما وفى كثير من الكتب لاتزال راقية عاليـــة الأسلوب وكذا بعض الرسائل والمحررات حتى دخلت اللغـــة فى دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسية شـــيأ فشيأ الى عصرنا هـــذا حيث أخذت تســتعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتانة التركيب مع البعـــد عن تكلف السجع والجناس والقصد الى المعنى .

والفضل فى ذلك يرجع للنهضة العامّة فى مصر والشام كما تقدّمت الاشارة الى ذلك فى الفصل السابق

النظـــــــم

قد فَسَحَت الحَضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسية مجالا لم يَنْفَسِح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبْدَعوا وتصرّفوا فى المغانى وأجادوا السَّبْك وأحكموا الصـنعة وفاقوا فى الرِّقة والسهولة والتفنّن فى القول مَن تَقَدَّمهم من شعراء الدولة الأموية . ولا عجب فى ذلك فقد وصـفوا ما شاهدوه ممـا امتلأت به أيدى الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسهم من آثار الامم التى تغلبوا عليهـا واللغة فى عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب فى كلام شعراء العباسيين الى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية فى كل ماتكلموا فيه واستمر الشعر فى قوّته بعـد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أخَذَ عَدَدهم يقلّ شـيأ فشيأ حتى انتهوا بالطُّغْرَائِى المتوفى سنة ٥١٣ وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صَفىّ الدِين الحِلّى المتوفى سنة ٧٤٠ وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر فى حكمه ضعفا وقوّة حتى عصرنا هذا

وشعراء الدولة العباسـية يسمون بالمولدين وقد امتاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسـع فى التشبيه والمجاز والكناية والتوغل

فى الخيال مع القرب من الحقيقة أحيـانا وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسـنات البديعة حتى صار لكلامهم مَسْحَة ظاهرة من الحُسْن من دونها معنًى تافه أو غلو غير مقبول

وقد كان لكل شاعر طريقــة امتاز بها فى شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له فى كل منهما كلام جيد كالبديع والخوارزمى والميكالى والشريف الرضى . ولقــد كان للشــعر مكانة فى النفوس وسلطان عليها الى صدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبـــذلين من الشــعراء فى المدح والهجو ولغُلُوّهم فى ذلك وكذبهــم ولانحطاطهــم من أعين العظماء خصوصا غير العرب الذين لا يقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربى

وقد زاد المولدون أوزانا للنظم كالموشح والسلسلة والدو بيت وتفننوا فى النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفا كثيرا

وفحول شعراء المولدين والمجيدون من كتّابهم كثيرون فمن الفريق الاول بعد بشار بن برد مسـلم بن الوليد وأبو نُوَاس وأبو العَتَاهِية وأبو تمـام والبُحْتُرِىّ وابن المُعْتَزّ وابن الرُّومىّ والمُتَنَبِّى والشريف الرَّضِى وأبو العلاء المعَرِّى وأبو فِراس والحَسَن بن هانئ الاندلسى وابن خَفَاجة والطُّغْرائى

ومن الفريق الثانى بعد عبدالحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولى والحسن ابن وهب والجاحظ وابن العَمِيد والصابئ وابن عَبّاد والخوارزمى والبديع والحريرى والقاضى الفاضل وعبداللطيف البغدادى

الخط العـــربى

فى عصر العباســيين توجهت العنـاية الى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه فى بغـداد أوضاعه فى الكوفة فى الميــل الى اجادة الرســوم وجمال الشكل . واخترعت الأقلام المختلفـة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظرا لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الاقلام الأخرى . واستمر الخط آخذا فى الارتقـاء والجودة حتى ظهر ببغـداد الوزير الكاتب أبو على محمد بن على بن مقلة المتوفى ســنة ٣٢٨ واخترع نوعا من الخط سمى بالخط البديع . وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفى . ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل زمن ابن مقلة كما شاهـدوا ذلك فى بعض الصحف والرسائل التى كتبت قبل ابن مقلة . والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعا ولكنه تصرف فيه تصرفا بديعـا ونقله الى صورة امتاز بها عن أصله فى الجودة والحسن . وهذا مقام لايزال محتاجا الى البحث والتحقيق . وكان ابن مقلة يضرب به المثل فى حسن الخط . وتلاه فى ذلك أبو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة ٤٢٣ وقد أقر له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة فى حسن الخط وهو الذى هذّب الخط العربى ونقّحه بعد ابن مقلة

ثم ان الخط الكوفى أهمل بتوالى الايام وحل محلّه خط النسخ . وقد تفنن التُّرك فى تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث الى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن

والخط العربى منتشر فى البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها

العـــلوم والمعـارف

قد اعتنى الخلفاء والعلماء فى عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا فى فروعه واستنبطوا أحكامه ودوّنوا الاحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربيـــة واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووُضع العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية فى دوائرها الخمس . وألّفوا وترجموا كتبا فى الطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص . واعتنوا باللغة وضبطها وتصرفوا فيما ترجموه فنقحوا وهذبوا وزادوا واستنبطوا وأصلحوا كثيرا من أغلاطه . وقد وسعت اللغة العربية كل العلوم التى ألفت بها أو نقلت اليها ولم يدخل من الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر ما وقع ذلك فى الكتب التى عرّبها بعض من لا يحسنون

العربية . وتفصيل الكلام على هـــذه العلوم واشــتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب ماترجموه منهــا وجعله صالحا لان ينتفع به كل ذلك يحتاج الى تأليف الاسفار الكبار ليوفى حقه من البحث والشرح . غير أنا ذا كرون مختصرا وجيزا مناســبا للمقام مقتطفا مما كتبه كبار مؤرخى المسلمين ومحققو المؤرخين من الافرنج المنصفين وأفاضـل الكتاب المعاصرين فى مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم وما لهم من الفضـل على العالم كله فى ذلك كله مازجين أحيانا كلامهم بعضه ببعض أو مصرّحين بنسبة القول الى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول

أوّل من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ فى انشاء المدارس للطب وللشريعة وكان مع براعته فى الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزأ من زمنه خاصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم فى زمنه كتاب أوقْليدس فى الهندسة والهيئة والحساب

وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيــه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم وأنواعها . وكان باذلا جهده فى احيــاء العــلوم والآداب ونشرها وكتب فى أيامه مصنفات كثيرة فى العلوم الاسلامية وغيرها ممــا ترجم عن اليونانيــة ومن ذلك كتاب المَجَسْطِى الذى ألفــه بَطْليموس فى الرياضة السماوية وقيل ان هـــذا الكتاب تُرْجم فى زمن المأمون بأمره . وكان المترجمون قوما من السريان غير مســلمين وقد

أحسن الخلفاء صِلتَهم وأفاضوا عليهم النِعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التي نقلوها الى العربية فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون فى العلم من العرب فى عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم . وكان اشـــتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التى ترجموها من قوم كان حظهم منها حفظها على انها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل فى عصر الرشيد ومن ذلك الساعة الدقاقة المتحركة بالمـاء التى أرسلها الى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الاوربيون منهـا لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كمنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها اليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع . وقد اجتمع فى حضرة الرشـيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتى بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء

ولمـا أفضت الخلافة الى المأمون وجه عنايته الى العلوم والآداب وشُغِف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيرا من كتب الفـرس واليونان فى الهيئـة والطبيعيات وتخطيط الاراضى والموسيقى . وغرس للعلم والادب جِنانا ناضرة فزكا نَبْتُها وتفتّح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم الى أَوْج قوتها ونالت به أكبر ثروتها. وكانت بغداد فى عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة . وكان من شروط صلحه مع ميشل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة

وقد فعل . وقد ألف علماء العرب فى زمنه أرصـادا وأزياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعى والخريفى وقدّروا ميـل منطقة فلك البروج وقاسـوا الدرجة الارضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التى ترجمت قبل زمنه

وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه فى الاشتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراءُ والأمراء فى زمنهم وبعده وأخذوا جميعا بناصر العلماء وشدّوا أزرهم ورفعوا منزلتهم

فأخذ العلماء فى الاشـتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشـتغال به فى ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة . قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عنـد العرب هى « جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفا » وعند الاوربى الى ما بعد القرن العـاشر من التاريخ المسيحى « اقرأ فى الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالمـا » اه فانظر الفرق وقارنه بما تجده الآن من فرط عنايتهم بالبحث وما ينجم عنه من اصلاحهم الخطأ فيما لا يحصى ممـا كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهم غدا ضد ما أثبتوه اليوم كما ثبت لهم اليوم ضـد ما أثبتوه أمس ولا من الاقرار بعدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التى ينتفعون بخواصها

ومن العلوم التى كان للعرب فيها اليـد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضـية فان ما زادوه عليهـا من مخترعاتهم وما أصلحوه

من أغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الاوفر فى هذه العلوم . قال دِيلَامْبِرْ فى تاريخ علم الهيئة اذا عددت فى اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعدّ من العرب عددا كبيرا غير محصور . وعن العرب أخذ الافرنج الارقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذى هو من وضع العرب أخذوه باسمه ومسماه . وقال بعض المؤرخين انّ ديوفنتوس الاســـكندرى من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف فى الجبر وكتبه لا تزال موجودة الى الآن . والحق ان هـذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوى وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفنّ وقواعده الاساسية التى امتاز بها وصار فنا مستقلا . ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر الجرجانى مع أن العلمــاء قد ســبقوه الى الكلام فى بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علما ذا أصول وقواعد كما جعلها

وقد اكتشف العـــرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا لها جداول فى غاية الدقة والصحة . واخترعوا البندول للساعة اخترعه ابن يونس المصرى . والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضا . وهم أوّل من اســتعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقســام الزمن وأوّل من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض

ومن علومهم التى وضعوها ولم يُسْبَقوا اليها علم الكيميا الحقيقية فهى من اكتشاف العرب دون ســـواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك

لاتستطيع أن تعدّ مجرّبا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب

وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم فى ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومُركّبات الادوية الصالحة . وهم أوّل من استحضر الميـاه والزيوت بالتقطير والتصعيد وأول من استعمل السكر فى الادوية وكان غيرهم يستعمل العســل . وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصـيدليات فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسَعّرونها رفقا بالفقير وفَضْلُهم فى الطب على أوربا لاينكر . وقد برعوا فى الجراحة وكان النساء بالاندلس يباشرن كثيرا من العمليات الجراحية بغيرهنّ من الاناث وذلك ما يَحُثّ عليه أهل أوربا وأمريكا اليوم . ولهم فى هذه الفنون مؤلفون يعدّون فى الطبقة الاولى من علماء العالم فى العلوم التى اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقية الى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجّحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضبه فرحل من اليمن ونزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت اليهم

ولم يكن اشتغالهم بالجغرافيـة والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص أقل من اشـتغالهم بالعلوم السابقة فلهم الســياحات العديدة حول أفريقية وآسـية وجانب من أوربا وقد رسموا ما اكتشفوه رسما حسنا ولهم فى تقويم البلدان مؤلفـات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع

فمن الاول تقويم البلدان لأبى الفداء ومعجم ياقوت طبعا فى أوربا ومن الثانى نزهة المشتاق للشريف الادريسى محمد بن محمد الصقلى كان فى القرن السادس الهجرى وهو الذى صنع لرجار الفرنجى ملك صقلية سنة ١١٥٣ أوّل كرة أرضية عرفت فى التاريخ زنتها من الفضة ١٤٤ أقة رسم فيها جميع أنحاء الارض فى زمانه رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق مرتبا على الاقاليم السبعة وصف فيه البلاد والممالك مستوفاة مع ذكر المسافات بالميل والفرسخ . ومؤلفاتهم فى التاريخ تفوق الحصر . والفضل الاول فى الاشتغال بهذه العلوم يرجع الى مدرسة بغداد التى كانت ينبوعا أصليا استمدّت منه سائر المدارس الاسلامية . قال بعض مؤرّخى الافرنج ان العرب استقاموا عدّة قرون على الطريقة التى وضعها علماء مدرسة بغداد واتبعوا قواعدهم وهى الانتقال من النظر فى المسببات الى اجتلاء الاسباب لايعوّلون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته

وقد أنشئت المدارس العديدة تباعا وجمعت اليها العلماء ولم يخل منها قطر من الاقطار الاسلامية . وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخَارى وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمشق وحلب فى قارّة آسية والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس وسبتة والقيروان فى قارّة افريقية واشبيلية وقرطبة وغَرْناطة وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العديدة فى قارّة أوربا . وكان بالقاهرة وحدها عشرون مدرسة

فى القرن الرابع وفى قرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمـانون مدرسة فى مدّة الحَكَم بن عبدالرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٦٦

وأصبحت الاندلس بعد ذلك فى أواخر القرن الخامس غاصة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تَخْلُ مدينة من مدنها من مدارس متعدّدة . قال جيون فى كلامه على حماية المسلمين للعلم فى الشرق والغرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى اعلاء مقام العلم والعلماء و بسط اليد فى الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووِجْدان اللذة فى تحصيله انتشرا فى نفوس الناس من سَمَرْقَنْد وبُخَارَى الى فاس وقرطبة . أنفق وز ير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتى ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تصرف فى شؤونها كل ســنة . وكان الذين يُغَذَّون بالمعــارف فيها ســتة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء فى المملكة وابن أفقر الصــناع فيها . غير أن الفقير يُنفَق عليه من الرَيْع المخصّص للمدرسة وابن الغنى يكتفى بمــال أبيه والمعلمون كانوا يُنْقَدون أجورا وافرة اه

وجميع المدارس الطبية فى البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسة الطب فى القاهرة وكان من أشدّ النظامات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادةٍ بأنه فاز فى الامتحان على شدّته . وأوّل مدرسة طِبّية أنشئت فى قارّة

أوربا على هـــذا النظام المحكم هى التى أنشأها العرب فى ساليرت من بلاد ايطاليا . وأوّل مرصد فلكى أقيم فى أوربا هو الذى أقامه العرب فى أشبيلية من بلاد الاندلس

وقد تعدّدت المراصد الفلكية فى البلاد الاسلامية شرقا وغربا ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصــدت به عدّة أرصاد وصححت جملة أزياج . ومرصد المراغة الذى أنشأه نصير الدين الطوسى بأمر هولاكو خان ولمــا أتم كوبلاى خان أخو هولاكو فتح الصــين نقل مؤلفات علماء بغداد اليها . ومرصد سَمَرْقَنْد الذى أنشأه تيمورلنك . ومرصد دمشق الذى أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر الى هذا العصر . وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكى الشهير صاحب الزيج الحاكمى

وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاســلامية بهــا أقل من عنايتهم بالمدارس فقــد كان فى القــاهرة فى أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف فى الطب والفَلَك لاغير . ومكتبة الخلفاء فى الاندلس بلغ مافيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسهــا أربعــة وأربعــين مجلدا . وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان فى هذه المكاتب مواضع خاصــة للمطالعة والنسخ والترجمة . وبعض الخاصــة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوى عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لايحصره

العَدّ وحسبك فى المشرق كتاب قَيْدالأوابد للامام البَنْجَدِيهى المتوفى سنة ٥٥٩ من قرى خراسان فى ٤٠٠ مجلّد وفى الاندلس لاحمد بن أبان كتاب العالَم نحو ١٠٠ سفر بدأ فيه بالفَلَك وختم بالذَّرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذى تعاقب على تأليفه من جهابذة الاندلسيين ٦ فى ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ

ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها مايدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمّل ويتوقف قلم الكاتب جاء فى المجلد الثالث من المقتطف وجه ٧ مانصه

ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التى أمر كردينالهم شيمتر بحرقها فى ساحات غَرْناطة بُعَيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون مايعملون حتى أفْنَوا على ماقال مؤرّخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب . وليتهـم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا . وما يقولون عن السفن الثلاث التى ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وطالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها فى قصر الاسكوريال سنة ١٦٧١ ميلادية (الموافقة سنة ١٠٨٢ هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ولم يستخلصوا منهـا الا الربع الاخير . حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كُبْر جَهَالتهم ففوضوا الى ميخائيل القصيرى الطريلسى المـارونى ترتيبها وكتابة أسمائها فكتب لهم أسماء ١٨٥١ كتابا

منها فعلى ما فى هذه الكتب وما بقى فى أفريقية والمشرق قَصَر أهل هذه الايام معارِفَ العَرَب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع مافيها اه

وأما مكاتب بغداد فانه لمـا فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم التى كانت فى خزائنها وألقوها بدِجْلة فعَبَرت عليها جنودهم.

فأضِف هذه النفائس الى ماأحرقه أهلُ اسبانيا وتصَوّر مقدار ذلك كله ثم انسُبْ مابقى من الكتب الاســلامية الى ماأُتلِف منها وتفكّر بعد ذلك فى أن هذه الملايين من الكتب انمـا خُطّت بالقَلَم قبل أن تُعْرَف المطبعة واحكم بعـد ذلك وأنت منصف فى حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمّة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم

وتُتميا للفائدة نذكر ماورد فى مجلة المقتطف فى سنتها الثالثة فى صفحة ٩١ و ٩٢ تحت عنوان فضـــل العرب وهو خاتمة مقال نشر فى تلك الســنة فى بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هـذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابق وها هو ماذكر تحت هذا العنوان

فى القرون الوسطى قصــد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العـــلم فيها ثم تزوّدوه منهـا الى بلادهم . ففى ســنة ٨٧٣ للمسيح أمر هرتموت رئيس دير مارى غالن جماعة مـن

رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها . وكان الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم العربيـــة بشوق لامزيد عليــه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثانى وأصــله رجل فرنسى يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعــارف حتى دبت قدمه فى الاندلس فرتع فى مدارس اشبيلية وقرطبة وصرف الى العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد الى دياره وما زال يسمو على أقرانه حتى تنصّب بابا فشــاد للعلم مدرستين الاولى فى ايطاليا والاخرى فى ريمز وأدخل الى أوربا معارف العرب والأرقام الهندية التى نقلها عنهم . ثم ثارت الحمية فى أهل ايطاليا وفرنســا وجرمانيــا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها . قال مونتكلا فى تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم من الافرنج عالم بالرياضــيات الا كان علمه من العرب مدّة قرون عديدة . فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهــل ايطاليــا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهــم المجسطى وكتب الرازى والشيخ الرئيس الى اللاتينية وليوندار البيزى نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الڤيلانوڤى نقل عنهــم الهيئة والطبيعيات والطب . وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلى وآخر اسمه سكوت وكذلك روجر باكون الشهير فان ماحصّــله من المعارف فى الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن فى البصريات ومثله فيتليو الذى اشتهر بالبصريات

فانه أخذ كثيرا عن الحسن . ولما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثانى الجرمانى والفونس الثانى القسطلى . والخلاصة أن الافرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والزراعة والفراســة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الأدوية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم الى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والأشجار كالأرز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الأديم وتجفيفه وقد استردّ الانجليز هذه الصـــناعة بعد فقدها من الاندلس بجلاء العرب عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكردوفان) نسـبة الى مراكش وقرطبة

ولا تزال الالفـاظ العربيـــة مســتعملة فى أكثر مباحث الافرنج الطبيعية كالسمت والنظير والســموت والمقنطرات وأسماء النجوم والكحول والقلى والجبر والقطن والشراب والكيمياء وغيرها . ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم وأقيستهم أكثرها عربى محرّف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع المـاء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير

فالمولدون كانوا فى زمانهم حلقة من سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاولين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقـــل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية فى هذا المعنى

انا لمدينون للعرب كثـيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التى وصلت مدنية أوربا قديمـا بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسموّ همتهم تحرّك أهل أوربا الى احراز المعارف واسـتفاقوا من نومهم العميق فى الاعصار المظلمة . ونحن لهم مدينون أيضا بترقيـة العلوم الطبيعية والفنون الصادقة النافعــة وكثير من المصنوعات والمخترعات التى نفعت أوربا كثيرا علما ومدنية اه

أما تاريخ العلوم والآداب العربية من ابتداء الدولة العباسـية الى الآن فانه ينقسم الى أربع مدد كبيرة

المدّة الاولى تبتـــدى بخلافة أبى جعفر المنصور وتنتهى بمنتصف القرن الرابع تقريبا فهى نحو ٢٠٠ ســـنة وهى المدّة التى صعدت فيها العـــلوم والآداب الى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاســلامية فأينعتْ جنانها ودَنَت للقاطفين أفْنانها . وفيها أشرقت شموس الأئمة المجتهدين وأجلاء المحدّثين وكبار علماء الدين وأئمة العربيــة وفحول الشـــعراء وأعاظم الكتّاب ورجال الأدب وغيرهم من أساطين العلماء

المدّة الثانية تتلاقى مع المدّة الاولى فى نهايتها وتنتهى بسقوط الدولة العباســية سـنة ٦٥٦ وفى هذه المدّة ضعف أمر الخلافة العباســية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطة ولم يكن هؤلاء الأعاجم يعرفون من قدر العلم كما كان يعرف الخلفاء من العرب فَفَتَرت الهمم بعضَ الفُتور واقتصر كثير من أهل العلم على النظر فى كتب مَن قَبْلهم ووَشّوها بالحواشى . غير أنه نبغ فى هذه المدّة عدد كبير فى كل علم وفن لاسيما العلوم الرياضــية والفلسفية وكان ذلك من أثر تلك الجَذْوَة التى اشتعلت فى المدّة الاولى ولم يُخْمِدها ضعف الخلفاء بل بقيت بعدهم زمنا يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار فى بغداد والبلاد التى اســتولوا عليها من آسية ثم دخلوا فى الاسلام فتألّق بعض وميضها كما سبق

المدّة الثالثة تبتدى بسقوط الدولة العباســية وتنتهى باستيلاء محمد على باشا على مصر ســنة ١٢٢٠ وفى أوّل هذه المدّة أعدمت المعارف العربيــة فى بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهيــة فى مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدّة وكذلك فى بلاد المغرب فى دولة السعديين والاشراف بعدهم وفى أواخر هذه المدّة كانت العلوم العربية فى آخر رمق من حياتها . ولكن كان يلوح فى أثناء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان ثم يختفى فقد ظهر من أكابر العلماء أبو الفــداء وابن خلدون والمقريزى وابن حجر والســـيوطى وابن منظور صاحب لسان العرب والمجد صاحب القاموس وابن الوردى الفقيه

المدّة الرابعة تبتدى باستيلاء محمد على باشا على مصر وفى هذه المدّة أخذت المعارف والآداب تدب فيها الحياة وتمو فى مصر والشام بفضل ماطبع وألف من الكتب المختلفة النافعة

امرؤ القيس

(المتوفى ســنة ٥٦٦ م)

هو امرُؤُ القَيس بن حُجْر الكِنْدى وأمّه فاطمة وقيــل تَمْلِك بنت رَبيعة بن الحَارِث أخت كُلَيب ومُهَلْهِل وقد ذكرها فى قوله

ألا هل أتاهــا والحوادثُ جَمّةٌ بأنّ امرأ القيس بنَ تَمْلِك بَيْقَرا

أى أقام بالحَضَر وتَرَكَ أهلَه بالبادية ومعــنى (امرئ القيس) رَجُل الشِّدّة وقيل القَيس اسم صَنَم وقد وُلد ببلاد بنى أَسَد ولما شبّ تعلق بالشــعر ونبغ فيه وهو أوّل من اســتوقف على الطُلول وشَــبّه النساء بالظباء والمْهَا وأجاد الاســتعارة والتشبيه وكان أبوه مَلِكَ بنى أَسَــد فعَسَفَهم عَسْفا شديدا فتمالؤا عليه وقتلوه وقد كان طَرَدَ ابنَه امرَأ القيس لتشبيبه بالنساء فى شــعره وتنقّله فى أحياء العرب يستتبِــع صَعَالِيكهم وذُؤْبانَهم و بينما هو يشرب الخمر بأرض اليمن بلَغَه قَتْل أبيه فقال ضَيعنى صغيرا وحمّلنى ثِقل الثار كبيرا لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْرَ غَدًا اليَوْمَ خَمْرٌ وغَدًا أمْرٌ ثم انه استنصر ببعض أقْيَال العَرَب ورؤساء القبائل وما زال يتتبع بنى أَسَــد حتى ظَفِر بهم وحصلت له بعــد ذلك وقائع كثيرة ثم مات

بجبل يقال له عَسِيب ودفن بأنْقِرة سنة ٥٦٦ م وأشهر شعره المعلقة الطائرة الصيت التى مطلعها

قِفا نبك من ذِكْرَى حبيب ومنزل بِسَقْط اللوَا بين الدَّخول فَحَوْمَل

النـــابغــــة الذّبْيَــــــانى

(توفى ســـنة ٦٠٤ م)

اسْمُه زِيَاد بن معاوية بن ضِبَاب ينتهى نَسَبه الى ذبْيان ثم لمُضَر ويكْنَى أبَا أمَامة وانما سُمِّى النابغة لقوله

وحلّت فى بَنى القَين بن جَسْرٍ وقد نبغت لهم منّا شؤون

وهو أحد الاشراف المقدّمين على سائر الشعراء

وقال عبد الملك بن مَرْوان لَمَّا دَخَل عليه وَفْد الشام أيكم يَروى من اعتذار النابغة الى النعمان

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لنفسك رِيبةً وليس وراءَ الله للمرء مَذْهب

فلم يَجِد فيهم مَن يرويه فأقبَل على عمر بن المُنْتَشر وقال له أتَرْوِيه قال نَعَم فأنشده القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب

والنابغة هذا كان خاصا بالنعمان ومن ندمائه وأهل أنسه ثم انه وُشِىَ به الى النعمان فهرب منه ولم يرجع اليه الا بعد أن بلغه أنه عليل لا يُرْجَى فأقلَقه ذلك ولم يَمْلك الصَبْر على البُعْد عنه مع عِلّته فسار اليه فألْفَاه محمولا على سرير يُنْقل ما بين العُمْران وقُصُور الحِيرة فقال لِعصام حاجبِه

أَلَمْ أُقْسِم عليك لتُخْبِرَنّى أمحمول على النعش الهُمَامُ
فانى لاأُلام على دخول ولكن ماوراءك ياعِصَامُ
فانْ يَهْلِكْ أبو قابُوس يَهْلِك ربيعُ الناس والبَلَد الحَرام
ونُمْسِك بعده بِذناب عيش أجَبّ الظَهْر ليس له سَنَام

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ولم يُدْرِك الاسلام سـنة ٦٠٤ ميـــلادية

زُهَـــــير بن أبى سُـــــلْمَى

(توفى ســنة ٦٣١ م)

هو أبو كَعْب وبُجَيْر واسم أبى سُلْمَى رَبِيعة بن رِيَاح ينتهى نَسَـبُه لِنزارٍ وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمين على سـائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبْيانى وعن عمر بن عبـد الله اللَّيثى قال قال عمر بن الخطاب رضى اللهُ عنــه فى مسيره الى الجابية بعد قصـة طويلة هل تروى لشاعرِ الشعراء شيئًا قلت ومن هو قال الذى يقول

فَلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لَمْ تَمُتْ ولكنّ حَمْدَ النـاسِ ليس بمُخْلِدِ

قُلْتُ ذاكَ زهير بن أبى سُلْمَى قال هو شاعرِ الشعراء قلت وبِمَ كان شاعرِ الشعراء قال لأنّه كان لايُعَاظِل فى الكلام وكان يَتَجَنَّب وَحْشِى الشِعْر وكان لايمدح أحدا الا بمـا هو فيه ولمـا سأل معاويةُ الأحنفَ ابن قَيْس عن أشعر الشعراء قال هو زهير قال وكيف ذاك قال بقوله

فمـا يَكُ مِن خير أتَوْه فانمـا   تَوَارَثَهُ آباءُ آبائهـــم قَبْـل

وقال ابن الاعرابى كان لزهير فى الشـعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شـاعر وابناه شاعران وهما كَعْب وبُجَير وأخْتُه سُلْمَى شاعرة وأخْتُـه الخَنْساء شاعرة وكان زهير يُضْرَب به المَثَـل فى التنقيح فيقال حَوْلِيّات زهير لأنه كانـ يعمَل القصـيدة ويَعْرِضها فى سَنة كاملة

أمَيّـــــــة بن أبى الصَّلْت

(توفى ســنة ٩ ﻫ)

ينتهى نَسَـبُه الَى ثَقِيف وأمُّه رُقَيّة بنت عبد شمس وهو من أهل الطائف ومن أكبر شـعراء الجاهلية وكان ينظر فى الكتب ويقرؤها ويقال انه حرّم الخمرَ وشكّ فى الأوثان والتمس الدِين وطمِع فى النُبُوّة لأنه قرأ فى الكتب أن نَبِيّا يبعث من العرب وكان يطمع أن يكون هو فلما بُعِث النبى صلى الله عليه وسـلم حَسَدَه وقال كنت أرجو أن أكونه ويُنسب اليه أنه هو القائل

كلُّ دِين يوم القيامة عنـــد الله إلّا دِينَ الحَنيفـــة زُورُ

وأغْلب شِـعره متعلّق بذِكْر الآخرة حتى قال الاَصْمَعىّ ذهب أمَيّة فى شِعره بعامّة ذكْر الآخرة ولكن يقال انه مات ولم يُسْـلم ومما قال فى مرض موته

كُلُّ عيشٍ وان تَطَاول دَهْرا مُنْتَهى أمْره الى أنْ يَزُولا
ليتنى كنتُ قبْـل ماقَد بَدَا لى فى رؤس الجبال أرْعَى الوُعُولا

ويقال انه قَضَى نَحْبَه فى قصر من قصور الطائف سنة ٩ هجرية ومن شعره قصيدته فى الفخر التى يقول فيها

ورثنا المَجْدَ عن كُبرَى نِزَار فأوْرَثْنـــا مَآثِرَنَا بَنِينَـــا

الخنســـاء

(توفيت ســـنة ٢٤ هـ.)

اسمُها تُمَاضِرُ بنت عَمْرو بن الشَرِيد ينتهى نَسَبُها لمُضَرَ والخنساء لَقَب غَلَب عليها وقد أجمع أهل العلم بالشعر انه لم يكن امرأة قطّ قَبْلَهَا ولا بعدها أشْعر منها ووَفَدَتْ على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مع قَوْمها فَأَسْلَمَت معهم وكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يَسْتَنْشدها ويُعْجِبه شعْرُها وكانت تُنْشِده وهو يقول هِيهِ ياخُنَاس ولَمَّا بلَغَهَا استشهاد بنيها الاربعة يوم القادِسِيَّة بعد تحريضها لهم على القتال قالت الحمد لله الذى شَرّفنى بقتلهم وأرْجُو من ربى أنْ يَجْمَعَنى معهم فى مُسْتَقَرّ رَحْمته

سيدنا حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

جدّه المُنْـذر الخَزْرَجىّ ويكْنَى أبَا الوَليد وهو من فحول الشـعراء وقد قيل انه أشعر أهل المَدَر وكان أحد المُعَمِّرين المُخَضْرَمِين عَمّر مائةً وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وكذا أبوه وجدّه

وأبو جدّه لا يُعرف فى العَرَب أربعـة تَنَاسَلُوا من صُلْبٍ واحِدٍ وعاشَ كُلٌّ منهم ١٢٠ سنة غَيْرهم وعن أبي عُبَيدة قال فَضَل حَسّان بن ثابت الشُعَراء بثلاثةٍ كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم فى النُبوّة وشاعر اليَمَن كُلّها فى الاسلام وفَضْلُه أوسع من أنْ تحيط به التآليف وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة قبل الاربعين من الهجرة فى خلافة سيدنا علىّ رضى الله تعالى عنه

الاخـــطل

(توفى ســـنة ٧١٢ م)

هو أبو مالك غِيَاث بن غوث بن الصَّلت من تَغْلِب قال أبو عبيدة ان سبب تلقيبه بالأخطل انه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل (أى سفيه) وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومات على دينه مع مخالطته للملوك المسلمين وأمرائهم وحُظْوَته لديهـــم وهو وجرير والفرزدق من طبقة واحدة وان اختلف الناس فى التفضيل بينهم وقد عاشوا كلهم فى زمن واحد وان كان الأخطل أكْبَرَهم سِنّا وقد كان يفضّـــل الاعشى فى الشعْر على نَفْســه وقال جَرِير وقد سأله ابنه عن الأخطل أدْرَكْتُه وله نَابٌ واحد فلو أدركت له نَابين لَأَكَلَنى . وممـا يحكى عن الأخطل أنه طلّق امرأته وتزوج بمُطَلَّقة أعْرَابِىّ فَبَيْنَا هى معه اذ ذكرت زَوْجَها الأول فتنفست فقال

كلَانا عَلَى هَمّ يَبِيت كأنما بجَنْبَيه مِن مَسّ الفِـرَاش قُرُوح
عَلَى زوجها الماضى تنُوح وإنّنى على زوجتى الأُخرى كذاك أنُوح

وقد كانت منزلة الأخطل عنـد عبد الملك بن مروان رفيعة يذكره اذا غاب ويقرّبه اذا حضر وله كثير من النوادر يضـيق المقـام عن ذكرها وكانت وفاته سنة ٧١٢ ميلادية

جَـــريـر

(توفى ســنة ١١٠ هـ)

هو ابن عطية بن الخَطَفَى وهو لقبه واسمه حُذَيفة بن بدر بن عوف ابن كُلَيب ينتهى نَسَبه لنِزار ويُكْنَى أبا حَزْرَة وهو والفَرَزْدَق والأخْطل المقدَّمون على شعراء الاسلام الذين لم يُدْرِكُوا الجاهلية ولم يَتَعَرّض لهم أحد من شعراء عصرهم إلا سَقَط وافتضح وكان أبو عمرو يُشَبّه جَرِيرا بالأعْشَى والفَرَزْدَق بزُهَير والأخْطل بالنـابِغة وقد حَكَم مَرْوانُ بن أبي حَفْصة بين الثلاثة بقوله

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَار وانما حُلْوُ الكلام ومُرُّه لجَـريـر
ولقد هَجا فَأمَضّ أخْطَلُ تَغْلِب وحَوَى اللُّهَى بمديحه المشهور

فهو كما تراه حَكَم للفرزدق بالفَخَار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير ومن كلامه فى الفخر

اذا غضبت عليك بَنُو تَمِيم لقيتَ القَـوم كُلَّهُمُ غِضَابا

وقال يهجو بنى نُمير

فَغُضّ الطَرْفَ إنّكَ من نُميرٍ   فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابا

تُوُفِّيَ سنة ١١٠ هجرية

الفـــرزدق

(توفى ســـنة ١١٠ هـ)

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة التّميمى وكان أبوه مِن سَراة قومــه ورَوَى الفَرَزْدَق رحمه الله عن على بن أبى طالب وأبى هُرَيرة والحُسَين وابن عُمَر وأبى سعيد الخُدْرِى ووفَد على الوَلِيد وسليمان ابنَىْ عبدالملِك ومدحهما

رَوَى معاوية بن عبـــد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرّك فاذا فى رجليه قَيْد قلت ما هـــذا يا أبا فِراس قال حَلَفْت أن لاأُخرِجه مِن رِجْلى حتى أحفظَ القرآن واخْتَلَفَت الناس فى المفاضــلة بينــه وبيــن جرير والاكثرون على أن جريرا أشعرُ منه وقد أنصف الاصفهانى حيث قال من كان يَميل الى جودة الشــعر وفخامته وشدّة أسْره يُقَدّم الفرزدق ومن كان يميل الى الكلام السَمْح الغَزَل يقدّم جريرا وله القصائد الغَرّاء فى الرِثاء والفخر والهجو والمـــدح فمن ذلك قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين التى مطلعها

هذا الذى تَعرف البَطْحاءُ وَطْأَتَه   والبيت يعـــرفه والِحلّ والحَـــرَم

تُوُفِّيَ سنة ١١٠ هجرية

عبـــد الحميد الـكاتب

(توفى سنة ١٣٢ ه)

هو أبو غالب عبدالحميد بن يحيي الكاتب البليغ المشهور و به يُضْرَب المَثَل فى البـلاغة حتى قيل فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العَميد وكان فى الكتّابة وفى كل فن من العلم والادب إماما وهو من أهل الشام وكان أوّلا مُعَلِّم صِـبْية ينتقِل فى البُـلْدان وعنه أخَذَ المُتَرسّلون ولطريقته لَزموا ولآثاره اقْتَفَوْا وهو الذى سهّل سبيل البلاغة فى التَرَسُّل وهو أول من أطال الرسائل واستعمَل التحميدات فى فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتِبَ مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى آخر ملوك بنى أُمَيَّة المعروف بالجَعْدى فقال له يوما وقد أهدَى له بعضُ العُمّال عَبْدًا أسْوَد فاسـتَقَلّه اكْتُب الى العامل كتابا مُخْتصرا وذُمّه على ما فَعَـل فكتب اليه لو وجَدْت لونا شرًّا من السَّوَاد وعَدَدًا أقلّ من الواحد لاهْدَيْتَه والسلام ومن كلامه أيضا القَلَم شجرة ثَمَرَتُها الاَلْفاظ والفِكْر بَحْرٌ لُؤْلُؤُه الحكمة وله رسائل بليغة وكان حاضرا مع مروان فى جميع وقائعه عند آخر أمره وقُتِـــل معه سـنة ١٣٢ بقرية يقال لها بُوصِير من أعمال الفيوم بمصر

الامام أبو حنيفه النعمان

(٨٠ - ١٥٠ ﻫ)

هو ابن ثابت كان خزّازا يبيع الخزّ وقال الخطيب فى تاريخه ان أبا حنيفة أدرك أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهُمْ أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوْفَى بالكوفة وسَهْل بن سَعْد الساعِدى بالمدينة وأبو الطُّفَيْل عامِر بنُ وَاثلَةَ بمكة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يَلْقه كما قرَّر ذلك أهلُ النَّقْل وذكَر الخطيب فى تاريخ بغْداد أنَّه أخذ الفِقْه عن حَمّاد بن أبى سليمان وروى عنه عبد الله بن المبارك والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشَّيْبانى وغيرهم

وكان رحمه اللهُ عالما عاملا زاهدا عابدا وَرِعًا كثير الخُشوع دائم التَضَرُّع الى الله تعالى ونَقَله أبو جعفر المَنْصور من الكوفة الى بغداد على أن يُوَلِّيَه القضاءَ فأبَى وهو يقول له اتّقِ الله ولا تُرْعِ فى أمانتك الّا مَنْ يَخاف الله والله ما أنَا مَأمون الرِّضا فكيف أكون مأمونَ الغَضَب فقال له المنصور كَذَبْتَ أنْتَ تصلح فقال له قد حَكَمْتَ لِى على نَفْسك كيف يَحِل لك أن تُوَلّى قاضيا على أمانتك وهو كَذّاب وقيل انه تولى القضاء أياما قليلة بعد اهانةٍ لحقَتْه بسبب امتناعه ثم تُوُفِّى عَقِبَها وكان رضى اللهُ عنه شديدَ الكَرَم حَسَن المُواساة لاخْوانه ومِن أحْسَن الناس مَنْطِقا وأحْلاهم نَغْمة وُلِدَ سنة ٨٠ هجرية وتوفى سنة ١٥٠

وكانت وفاته ببغداد فى السِجْن لِيلَى القَضَاء وقيل انه لم يمت فى السجن وتُوُفّىَ فى اليوم الذى وُلِدَ فيه الامامُ الشافعى رضى الله عنه

بشار بن برد

(توفى ســـنة ١٦٧ هـ)

هو أبُو معاذ بَشّار بن بُرْد الشاعر المشهور بَصْرِىّ قدمَ بغداد وأصْلُه مِن طَخَارُسْتَانَ مِن سَبْىِ المُهَلَّب بن أبى صُفْرة وكان أكْمَهَ وُلِدَ أعْمَى وهو فى أوَّل مَرْتَبَة المُحْدَثِين من الشُعَراء المُجِيدِين فمن شعره فى المشُورة قصيدته المشهورة التى مطلعها

اذا بَلَغَ الرأىُ المَشُورَةَ فاسْتَعِن   بِحَزْمِ نصيحٍ أو نصيحة حازِم

ومن شعره أيضا قوله

ياقوم أُذْنِى لبعض الحَىّ عاشــقة   والأذن تعشــق قبل العين أحيانا
قالوا بِمَن لا تَرَى تَهْذِى فقلت لهم   الأُذْن كالعَيْن تُوفى القَلْبَ ما كانا

وكان يمدح المهدى بن المنصور أمير المؤمنين ورُمِى عنــده بالزَنْدَقة فأمَر بضَربه فضُرِب سبعين سوطا فمات من ذلك بالقُرب من البَصْرة فجاء بعض أهله فحمله الى البصرة ودفنه بها وذلك ســـنة ١٦٧ وقد نيف على تسعين سنة

الامام مالك
(٩٠ — ١٧٩ هـ)

هو الامام أبو عبدالله مالك بن أَنَس بن مالك بن أبى عامر الأَصْبَحِىّ نسبة لِذِى أَصْبَح من الأَذْواء مُلوك اليَمَن إمام دار الهِجْرة وأحَد الأئمة الأَعْلام أَخَذَ القراءة عن نافع بن أبى نُعَيم وأخذ العلم عن رَبيعة الرَّأْيِ وأَفْتَى معه عند السلطان وقال مالك قَلَّ رجل كُنْتُ أَتَعَلَّم منه مَا مَات حتى يَجِيئَنِى ويَسْتَفْتِيَنِى وقال ابن وهْب سمعت مناديا ينــادى بالمدينة الاَ لاَيُفْتِى الناسَ إلا مالك بن أنس وابن أبى ذئْب وكان مالك رضى الله عنه اذا أراد أن يُحَدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسَرَّح لِحْيَتَه وتَمكَّن فى جُلُوسه بِوَقَارٍ وهَيْبَــة ثم حَدَّث فقيل له فى ذلك فقال أحِبّ أنْ أُعَظِّم حَديث رسول الله صلى الله عليه وســلم ولا أُحَدِّث به إلا متمكنا على طهارة وكان يكره أن يُحَدِّث على الطريق أوقائما أومُسْتَعْجِلا وكان لا يرْكَب فى المدينة مع ضَعْفِه وكِبَر سِنِّه ويقول لاأركب فى مدينة بها جُثَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَدْفُونة وقال الواقدى كان مالك يأتى المسجدَ ويَشْهَد الصَلَوَات والجُمْعة والجَنائز ويَعُود المَرْضى ويَقْضى الحُقُوق ويَجْلس فى المسجد ويَجْتَمِع اليه أصحابُه وكانت ولادته سنة ٩٠ هجرية وتُوُفِّى سنة ١٧٩ بالمدينة ودُفِن بالبَقِيع

سيبويه

(١٢١ - ١٦١ هـ)

وُلِدونَشَأ بقَرية مِن قُرَى شِيرَازَ تُعْرَف بالبيضاء وكان ميلاده سنة ١٢١ وقيل بعد ذلك ثم قَدِم البَصْرة لِتَلَقّى الحديث ورِوايَته ويقال انه بَيْنَمَا هو يَسْتَمْلِى عَلَى حَمّاد قَوْلَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى أحد إلا ولو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبَا الدَّرْدَاء (وأخذتُ من المؤاخذة أى المعاتبة) قال سيبويه أبُو الدرداء بالرفع ظاناً انه اسمُ لَيس فقال حَمّاد لَحَنْتَ ياسيبويه ومن ثَمّ عَكَفَ على الاشتغال على الخليل بن أحمد وغيره وأَخَذ اللُّغَة عن الأَخْفَش الأكْبر ولم يَزَل مشتغلا حتى صار إمامَ الأئمة فى علوم اللغة ووَضَع كتابه فى النحو الذى هو مَرْجع علماء النحو وتوفى سنة ١٦١ على المشهور

الكسائى

(توفى سنة ١٨٩ هـ)

هو أبو الحسن عَلىّ بن حمزة الكُوفِى المعروف بالكسَائى أحَدُ القُراء السبعة كان اماما فى النحو واللغة والقراءات ولم يكن له فى الشعْر يَدٌ حتى قيل ليس فى علماء العربية أجْهَل من الكسائى فى الشعر وكان يُؤَدِب الامينَ بنَ هارون الرشيد ويُعَلّمه الآدَب ورَوَى الكسائى عن أبى بكر بن عَيّاش وحمزة الزّيات وابن عُيَيْنة وغيرهم وروى عنه الفَرّاء

وأبو عُبَيد القاسِم بن سلّام وغيرهما وتوفى ســنة ١٨٩ بالرَّىّ وكان قد خرج اليها صُحْبة هارون الرشيد ويقال ان الرشيد كان يقول دَفَنْتُ الفِقْه والعربية بالرَّىّ لوفاة محمد بن الحَسَن الفقيه الحنفى يومئذ

أبو نُوَاس
(١٤٥ – ١٩٨ هـ)

هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان جَدّه مَوْلى الجَرّاح ابن عبدالله الحَكَمِىّ والى خُرَاسَان قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ورُوى أنّ الخَصِيب صاحب مصر سأل أبا نُواس عن نَسَبه فقال أغْنانى أدَبِى عن نَسَبِى وما زالت العلماء والاشراف يروون شعره ويَتَفَكّهون به ويُفَضّلونه على أشعار القُــدَماء وكان من أجود الناس بَدِيهة وأرَقّهم حاشِــية حتى قال الجاحظ لاأعرف بعْــد بَشَّار مُوَلَّدًا أشْعَرَ من أبى نُوَاس

وكان أبو نُوَاس يعجبه شعر النابغة ويُفَضّله على زُهَير تفضيلاشديدا وكان المأمون يقول لو وَصَفَت الدنيــا نَفْسَها لَمَــا وَصَفَتْ بِمِثْــل قول أبى نواس

ألَا كُلُّ حَىّ هَــالكٌ وابنُ هالِكٍ وذُو نَسَب فى الهالِكين عَرِيقِ
اذا امْتَحَنَ الدُنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ له عن عَدُوٍّ فى ثِيَــاب صَدِيقِ

وكانت وفاته سنة ١٩٨ ببغداد

الامام الشافعى

(١٥٠ - ٢٠٤ هـ)

هو الامامُ أبو عبـد الله محمد بن ادْريسَ بن العباس القُرَشى يَجْتَمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عَبْد مَنَاف وكان رحمهُ اللهُ كثيرَ المَنَاقِب جَمَّ المَفَاخِر مُنْقَطِع القَرِين اجْتَمَع فيــه من العُلُوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلامِ الصحابة رضى الله عنهم وآثارِهِم وغير ذلك من معرفة كلام العَرَب واللُّغَـة العَرَبيــة والشِعْر حتى انّ الاَصْمَعىّ مع جلالة قدره فى هـذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذَليِّين مالم يَجْتَمع فى غيره حتى قال أحْمد بن حَنْبَل رضى اللهُ عنه ما عَرَفْتُ ناسِخ الحَديث من منسوخه حتى جَالَسْتُ الشافِعىّ وقال رضى اللهُ عنه قَدِمْت على مَالِك بن أنَس وقد حَفِظْتُ المُوَطّأ فقال لى أحْضِرْ مَن يَقْرَأ لَكَ فقلت أنَا قارئ فقرأت عليــه الموطأ حفظا فقــال إن يَكُ أحَدٌ يُفْلِح فهذا الغُلام وكان سُفْيَان بن عُيَيْنَة اذا جاءه شئ من التَفْســير أو الفُتْيا الْتفَت الى الشافعى فقال سَلُوا هذا الغُلَام وقال احْمَد بن حنبل ما أحَدٌ ممن بيده مَحْبَرَةٌ أوْ وَرَقٌ الّا ولِلشّافعىّ فى رَقَبَته مِنّة فَفَضَائله أكْثَر من أن تُعَدّ ولِدَ سنة ١٥٠ وقيل إنّه ولِد فى اليوم الذى تُوُفّىَ فيه الامام أبو حَنيفة وكانت ولادَتُه على الاصّح بمدينة غَزّة وحُمل منهـا الى مكّة وهو ابن سَــنَتَين فَنَشَأ بها وقرأ القرآن الكريم وقدِمَ بَغْداد ســنة ١٩٥

فأقام بها سَنَتَين ثم خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد ثم خرج الى مصر ولم يزل بها الى أن تُوُفِّيَ سنة ٢٠٤

الفَـــــرَّاء

(١٤٤ – ٢٠٧ ﻫ)

هو أبو زكرياء يَحْيي بن زِيَاد الأَسْـــلمِيّ المعروف بالفَرّاء الدَيْلَمى الكُوفى كان أَبْرَع الكُوفِيين وأَعْلَمَهم بالنحو واللغة وفنون الادب وحكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال لولا الفَرّاء لَمَا كانت عربية لانه خَلّصها وضبطها ولولاه أيضا لَسَقَطَتْ لانها كانت تُتَنَازَع ويَدّعِيها كُلُّ من أراد ونتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتَذْهَب أخذَ النحوَ عن أبى الحَسَن الكِسَائِي ولما اتصل بالمأمون أمَرَه أن يُؤَلِّف ما يَجْمع أصولَ النحو وما سُمِع من العربية فصنَّف الحُدُود وأمَر المأمونُ بكَتْبه بالخزائن ثم ألّف كتاب المعانى ،وله كتابان فى الشَكْل وله كتاب اللغات وكتاب الجَمْع والتثنية فى القرآن وكتاب الوقف والابتداء وغير ذلك من الكتب وتوفى سنة ٢٠٧ فى طريق مكة وعمره ٦٣ سنة

أبو العتاهية

(١٣٠ – ٢١١ ﻫ)

هو أبو اسحاق اسمـاعيل بن القـاسم المعروف بأَبِى العَتاهِيَة الشاعر المشهور وُلِد سـنة ١٣٠ ببلدة تُسَمَّى عَيْنَ التَمْر بالحِجاز قُرْبَ المَدِينة

المُنَوَّرة ونَشَأ بالكوفة وسَــكَن بَغْـدَاد ومِن شِعْره فى حضرة الخليفة المهدى

أَتَتْه الخلاَفــةُ مُنْقَــادَةً اليه تُجَــرِّر أَذْيَالَهــا
فَـلم تكُ تَصْلُح إلاّ لَهُ ولَمْ يَكُ يَصْلُح إلاّ لَهَــا
ولو رَامَها أَحَدٌ غَيْرُه لَزُلْزِلَت الارضُ زِلْزَالَها
ولَولَمْ تُطِعهُ نِيَاتُ القُلُوب لَمَـا قَبِــلَ اللهُ أعْمَالَهَا

وله فى الزُّهْد أشعار كثيرة وهو من مُقَدَّمى المُوَلَّدِين فى طَبَقة بَشَّار وأبِى نُوَاس وتُوُفِّى سنة ٢١١ ببغداد وقبل وفاته قال أَشْتَهى أن يجئ مُخَارِقُ المُغَنِّى ويُغَنِّى عند رأسى بهذين البيتين

اذا ما انقضَت عَنِّى من الدهرمُدَّتِى فانَّ عَــزَاء البـا كيات قَلِيلُ
سَيُعرَضُ عَنْ ذِكْرِى وتُنْسَى مَوَدّتِى ويَحْدُث بعدِى للخَليــل خَليــلُ

الأَصْمَـــــــعىّ

(١٢٢ — ٢١٦ هـ)

هو ابو سَعِيد عبــد المَلِك بن قُرَيْب وأَصْمَعُ جَدُّه الخامس وينتهى نسـبه الى مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدّ وهو من أهل البصْرة وقَدِمَ بَغْداد فى خلافة هارون الرشيد ثم عاد الى البصرة ولمـا كانت خلافة المأمون دعاه اليه فلم يُجِبْ واحْتَجَّ بِكِبَرِ سِنّه وضَعْف قُوَّته فكان المأمون يَجْمَع المُشْكِلَ من المسائل و يرسلها اليه ليُجِيب عنها

وقد كان الأَصْمَعِيّ اماما فى اللغة والغرائب والمُلَح كثير الحفظ قوىّ الذاكرة حتى قال بعضهم انه كان يحفظ ستة عشر ألف أُرْجوزة وقد ألف نحو الاربعين كتابا أَغْلَبُهَا فى اللغة وما يختص بها

ومما يحكى عنه أنه اجتمع مع أبى عُبَيدة عند الفضل بن الربيع وقد ألّف كلٌّ منهما كتابا فى الخيل فسُئل الاصمعى عن كتابه فقال هو مُجَلَّد واحد وسئل أبو عُبَيدة عن كتابه فقال خمسون مُجَلَّدا فقيل له قُمْ الى هذا الفَرَس وأمْسك كلَّ عُضْو منــه وسَمِّه فقال لَسْتُ بَيْطارا وانما أَخَذْتُ هــذا عن العرب فقيل للاصمعى قُمْ أَنْتَ وافْعَلْ فقام وجَعَل يَضَع يَدَه على كلّ عُضْو ويُسَمِّيه ويُنْشِد ماقالت العرب فيه فلما فَرَغ أُعْطِى الفَرَس ويقال انه كان اذا أراد اغاظة أبى عبيدة يأتى اليــه راكبًا تلْك الفَرَسَ وتُوُفِّىَ سنة ٢١٦ بالبصْرة

أبو تَمّام

(١٨٨ – ٢٣١ هـ)

اسمُه حَبِيب بن أَوْس بن الحارث ينتهى نسبه الى طيئ ولد سنة ١٨٨ ونشأ بمصر وقد قيل انه كان يَسقِى الماءَ بالجَرّة فى جامع مصر وقيل كان يَخْدُم حائكا ويعمَل عنده ثم اشتغل وتنقَّل الى أن صار واحد عصره فى ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن اُسْلوبه وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرْجُوزة للعَرَب غَيْرَ المَقَاطيع والقصائد وله كتاب الحَمَاسة الذى دَلَّ على غَزَارة

فضله واتقان معرفته وحُسْن اختياره وله مجموع سَمّـاه فُحُولَ الشعراء جَمَع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمُخَضْرَمين والاســلاميين وتوفى سنة ٢٣١ هجرية

الامام احمد بن حنبل
(١٦٤ – ٢٤١ ﻫ)

هو أحمد بن محمد بن حَنْبل ينتهى نَسَـبه الى عَدْنَانَ وُلِدَ فى بغداد سنة ١٦٤ وكان إمام المُحَدِّثين صنّف كتابه المسْنَد وجَمَع فيه من الحديث مالم يَتّفِق لغَيْره وكان يحفظ أحاديثَ كثيرةً وكان صاحبَ الامام الشافعى رضى الله عنه ومن خواصّـه ولم يَزَل مُصَاحِبَه الى أن ارتحل الشافعى الى مصر وقال فى حقه خَرَجْت من بغداد وما خَلّفت بها أتْقَى ولا أفْقَه من ابن حنبل ودُعِىَ الى القول بخَلْق القرآن فلم يُجِبْ فضُرب وحُبِس وهو مُصِرّ على الامتناع أخَذَ عنه الحديثَ جماعة من الأمَاثل منهم محمد ابن اسماعيـل البخارى ومُسْلِم بن الحَجّاج النَيْسَابُورِى ولم يكن فى آخر عَصْره مِثلُه فى العِلْم والوَرَع توفى سنة ٢٤١ ببغداد

البخـــارى
(١٩٤ – ٢٥٦ ﻫ)

هو ابو عبد الله محمد بن أبى الحسن البخارى الحافظ الامام فى علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رَحَل فى طَلَب الحديث الى

أكثر مُحَدِّثى الأَمْصــار وكَتَب بخُرَاسانَ والجِبال ومُدن العِرَاق والحِجَاز والشام ومِصْر وقَدِم بغداد واجتمع اليه أهلها واعترفوا بفضله وشهِدُوا بتَفَرُّده فى عِلْم الروَاية والدِرَاية وحكى أبو عبدالله الحُمَيدى فى كتاب جَذْوة المُقْتَبِس والخطيب فى تاريخ بغداد أن البخارى لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمَدوا الى مائة حديث فقَلَبوا مُتُونَها وأسَانيدَها وأعْطَوْها لعشرة أنفُس وأمَرُوهم اذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخارى وأخَذُوا المَوْعِد للمجلس وقد حضره كثير من أصحاب الحديث فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديثٍ من تلك الاحاديث فقال لا أعرفه ثم سأله عن آخر فقال لا أعرفه أيضا وهكذا حتى انتهى الجميع فلمّا عَلِم البخارى أنَّهُم فرَغوا التفَتَ الى الاول منهم وقال له أما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والرابع على الوَلَاء حتى أتَمّ العشرة وفَعَل بالآخَرِين كذلك ورَدَّ مُتُونَ الاحاديث كلّها الى أسَانيدها وأسانيدها الى متونها فأقَرّ له الناس بالحِفْظ وأذْعَنُوا له بالفَضْل ورَوَى عنه أبُو عيسى التِرمِذِى وُولد سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٥٦

مســــــلم

(٢٠٦ – ٢٦١ ﻫ)

هو أبو الحُسَين مُسْلِم بن الحَجّاج بن مســلم القُشَيْرى النَيْســابُورِى صاحب الصحيح أحَد الأئمة الحُفّاظ وأعْلام المُحَدّثين رَحَل الى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيي بن يحيي النيسابورى واحمد بن حنبل

وغيرهما وقدِم بغـداد غيرَ مَرَّة فروَى عنه أهلُها وقال الحافظ أبو على النيسابورى ماتحت أديم السماء أصحّ من كتّاب مسلم فى علْم الحـديث وتُوُفّى مسـلم المذكور سنة ٢٦١ بنيسابور وعُمْره خمس وخمسون سنة وقال ابن الصلاح انه ولد سنة ٢٠٢

ابن الرّومى

(٢٢١ ــ ٢٨٤ هـ)

هو أبو الحَسَن علىّ بن العباس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعانى النادرة فيسـتخرجها من مَكامِنِها ويُبْرِزها فى أحسن قالَب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصى فيه حتى لايَدَع فيه فَضْلة ولا بَقيّة ومن كلامه وهو فى مَرَض موته وكان الطبيب يتردّد اليه ويعالجه بالأدوية النافعة فَزَعَم انه غلط فى بعض العَقَاقِير قوله

غَلِط الطبيبُ علىّ غَلْطَةَ مُورِدٍ عَجَزت مَوَارِدُه عن الاِصْدَار
والنّاسُ يَلْحَوْنَ الطَبيب وإنّما غَلَطُ الطَبِيب إصابَة الأقْدَار

وكانت ولادته ببغداد سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٨٤

ابن دريد

(٢٢٣ ــ ٣٢١ هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عَتَاهِيَة يَنْتَهى نَسَبُه الى قحطان كان امام عصره فى اللغة والأدب والشعر وقال المسعودى فى كتاب

مروج الذَهَب فى حَقّه كان ابن دريد ببغداد ممّن بَرَع فى زماننا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وكان يذهب فى الشعر كل مذهب وله تصانيف مشهورة منها كتاب الجَمْهَرَة وهو من الكتب المعتبرة فى اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب السَرْج واللِجَام الى غير ذلك من الكتب الجليلة وكانت ولادته بالبصرة سنة ٢٢٣ ونشأ بها وتعلّم فيها وأخذ عن أبي حاتم السِجِسْتانى والريَاشى وغيرهما ثم انتقل مع عمه الحُسَين الى عُمَانَ وأقام اثنتى عشرة سنة ثم عاد الى البصرة ثم خرج الى نواحى فارس ثم الى بغداد ومات بها سنة ٣٢١ ورثاه أحد البرامكة وهو جَحْظة بقوله

فَقَـدْتُ بابن دُرَيد كلَّ فائدة لمّـا غدا ثالثَ الاَحجار والتُّرَب
وكُنْت أبْكِى لِفقْد الجُود مُنْفَرِدا فصِرْتُ أبْكِى لفَقْد الجُود والأدَب

ابن عبد ربه

(٢٤٦ – ٣٢٨ ﻫ) (٨٦١ – ٩٤٠ م)

هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد رَبّه وقد اشتهر بأدبه فى الاندلس واتصلت شهرته الى الشرق وقد زاد فى شهرته وأبقَى ذِكْرَه الآن كتابُ العِقْد الفريد المعروف فى الادب وقد عمّر أكثَرَ مِن اثنتين وثمانين سنة كما يؤخذ من قوله فى قصيدته

ومالِيَ لا أبْلَى لسَـبْعِينَ حِجَّـةً وعَشْرٍ أتت من بعدها سَنَتَان
ولَسْتُ أبَالِي من تَبَارِيح عِلَّتى اذا كان عَقْلى باقِيًـا ولِسانِي

أبو الطيب المتنبي

(٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)

اسمُه أحْمد بن الحسين بن الحسن الكِنْدى الكوفى المتنبي الشـاعر المشهور وانمـا قيل له المتنبي لأنه ادّعَى النُبُوّة فى بادية السَّماوة وتبِعه خَلْق كثِـير من بنى كَلْب وغيرهم فخرج اليـه لؤلؤ أمـير حِمْص نائبُ الاخْشيديّه فأسَرَه وتفرَّق أصْحـابه وحَبَسه طوِيلا ثم اسْتَتَابه وأطْلَقه ولما أُطْلِقَ من السجن الْتحق بالأمير سيف الدولة ثم فارَقه ودخل مصر سنة ٣٤٦ ومدح كافورا الاخشـيدى ولـمّـا لَمْ يُرْضِه هَجَاه وقَصدَ بلاد فارس ومدح عَضُد الدولة بن بُوَيْه فأجْزَل صِلَتَه ولـمّـا رجع من عنده عَرَض له فاتِك بن أبى جهل الاَسَدى فى عدّة من أصحابه فقاتله فقُتِل المتنبي وابنُه وقيل ان السَبب فى قَتْله عضد الدولة لأنه لمّـا وفَد عليه وَصَلَه بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرَجة مُحَلّاة وثياب مُفْتَخِرَة دَسّ عليه مَن سَأله أيْنَ هذا العطاء مِن عطاء سـيف الدولة فقال له هذا أجْزَل الا أنه عَطاءٌ متكَلَّف وسيفُ الدولة كان يُعْطى طَبْعاً فَغَضِب عضد الدولة من ذلك وجَهَّز عليه قَوْما من بَنِى ضَبَّة فَقَتَلُوه بعد أن قاتل قتالا شديدا وقد قال له غلامه لـمّـا انهزم أين قولك

الخيـل والليـل والبيْـداء تَعْرِفُنى والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قَتَلْتَنِي قَتَلَكَ اللهُ ثم قاتل فَقُتِلَ وكان قَتْلُه سـنة ٣٥٤ ومولِدُه سنة ٣٠٣ بالكُوفة

أبو فراس

(٣٢٠ - ٣٥٧ هـ)

هو الحَارث بن أبي العلاء ابن عمّ ناصر الدولة وسَيْف الدولة قال الثَّعَالِبي في وَصْفه كان فَرْدَ دَهْرِه وشَمْس عَصْره أَدَبا وفَضْلا وكَرَمًا ومَجْدا وبلاغة وبراعة وفُرُوسيّة وشَجَاعة وشِعْرُه مشهور بين الحُسْن والجودة والسُّهولة والجَزَالة والعُذُوبة والفَخَامة والحَلاوة ولم تجتمع هذه الخلال قَبْله إلا في شِعر عبْد الله بن المُعْتزّ وأبو فِرَاس هذا يُعدّ أَشْعَرَ منه عند أهل الصنعة ونَقَدَة الكلام وكان المتنبي يشهد له بالتقدم فلا يَنْبَرِى لمُبَارَاته ولا يجترئ على مُجَاراته وكان سيف الدولة يُعجَب جِدّا بمَحاسِنه ويُميِّزه بالاكرام على سائر قومه ويَسْتَصْحبه في غَزَوَاته ويَسْتَخْلِفه في أعماله وقد أَسَرَه الرُّوم في بعض الوقائع وأقام بالأَسْر أربعَ سنين وله في الأَسْر أشعار كثيرة من أَجْوَد ماقاله ومن شعْره حين حَضَرَتْه الوفاة سنة ٣٥٧ مُخَاطِبا ابْنَتَه

أَبُنَيَّـــتى لا تَجْـــزَعى ... كُلّ الأَنَام الى ذَهَـــاب
نُـــوحِى عَلَيَّ بِحَسْـــرَة ... مِن خَلْف سِترِك والحِجَاب
قُـــولِي اذا كَلَّمْتِـــنِي ... فَعَيِيْتَ عَن رَدِّ الجَـوَاب
زَيْنُ الشَّـــبَاب أَبُو فِرَا ... سٍ لَمْ يُمَتَّعْ بالشَّـــبَاب

وولد سنة ٣٢٠

أبو الفرج الاصفهانى

(٢٨٤ – ٣٥٦ ﻫ)

هو على بن الحسين وجدّه السابع مَرْوان بن محمد آخِر خلفاء بنى أمَيّة وُلِد بأصْبَهانَ ونَشأ ببغداد وقد كان من أعيان الأُدَباء وأفراد المُصَنِّفين وكان عالما بأيام النـاس والأنساب والسِيَر يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المُسْنَدة والنَّسَب شيأ كثيرا جدّا مع الالمام بعلوم أخرى مثل اللغــة والطب والنجوم وكان له من جَيِّد الشعر شئ كثير وألّف كثيرا من الكتب فى العلوم المختلفة وأشهر هــذه الكتب كتاب الأغَانِى فى واحد وعشرين مُجَلَّدا

وقد كان أبو الفرج منقطعا الى الوزير المُهَلَّبِى وله فيه مَدَائحُ وعاش فوق السبعين سنة وتوفى سنة ٣٥٦

الخوارزمى

(توفى سنة ٣٨٣ ﻫ)

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارِزْمِيّ الشاعر المشهور وهو ابن اخت أبى جعفر محمد بن جَرِير الطَبَرى صاحب التاريخ والخوارزمى المذكور كان أحد الشعراء المُجِيدين اماما فى اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحى حلب وكان يشار اليه فى عصره وحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عَبّاد وهو بأرَّجَانَ فلما وصل الى بابه قال لأحد حُجَّابه قل

للصاحب على الباب أَحَدُ الأدَباء وهو يســـتأذن فى الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قدألزمتُ نفسى أنْ لايدخل علىّ من الادباء إلاّ مَن يحفظ عشرين ألف بيت من شِعْر العرب فخرج اليه الحاجب وأعلَمَه بذلك فقال له أبو بكر ارجع اليه وقل له هذا القَدْر مِن شِعْر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد اليــه ماقال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكرالخوارزمى فأذن له فى الدخول فدخل فعرفه وانبسط له ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بهاسنة٣٨٣

بديع الزمان

(توفى ســـنة ٣٩٨ ﻫ)

هو أبوالفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيدالهَمَذَانِى الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منْوالِه نَسَجَ الحَـــرِيرىُّ مَقَامَاته واحْتَذَى حَذْوَه واقتفَى أثَرَه واعترف فى خطبته بفضله وانه الذى أرشده الى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضــلاء الفُصَحاء روى عن أبى الحســين احمد بن فارس صاحب المُجْمَل فى اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعــة وسَكَنَ هَرَاة من بلاد خُرَاسَان وكانت وفاته سنة ٣٩٨ مسموما بمدينة هراة وقيل انه مات من السكتة وعُجِّل دَفْنُه فأفاق فى قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر

ابن زيدون

(سنة ٣٩٤ - ٤٦٣ هـ)

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومى الاندلسى القرطبي الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة فى حقه كان أبو الوليد خاتمة شـعراء بنى مخزوم وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة و برع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن قرطبة الى المعتضد عباد صاحب اشبيلية فجعله من خواصـه يجالسه فى خلواته ويركن الى اشاراته وكان معـه فى صورة وزير وله القصائد الطنانة منها قصيدته النونية المشهورة التى منها

نكاد حين تُنـاجيكم ضمـائرُنا يَقضى علينا الأسى لولا تأسّينا
حالَتْ لِبُعْـدِكُمُ أيامُنا فغدت سُودًا وكانت بكم بيضًا لَيالِينا
بالأمس كنّا وما يُخْشَى تفرُّقنـا واليومَ نَحْنُ وما يُرْجَى تَلاقِينا

وكانت ولادته سنة ٣٩٤ بِقُرْطُبَةَ وتوفى سنة ٤٦٣ بِأشْبِيلِيَّة

الشريف الرضى

(٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهى نَسَبه الى زَين العـابدين ابن الحسين رضى الله عنهما وهو المعروف بالمُوسَوِىّ صاحب ديوان الشِعْر المشهور وقال الثعالبي فى كتاب اليتيمة فى ترجمته انه ابتدأ يقول الشعر

بعد أن جاوز عشر سـنين بقليل وقال أيضا انه اليومَ أبْدَعُ ابناءِ الزمان وأنْجَب سادات العراق ولو قلتُ انه أشْعَرُ قُرَيش لم أبْعُد عن الصِدْق ويشهد بذلك شـعره وكَلَامُه الذى يَجمَع الى السَلَاسة مَتَانَةً والى السُهُولة رَصَانة

وكان والده يتولّى قديما نقَابةَ نُقَبَاء الطالبيين ويَحْكُم فيهم أجمعين وينظر فى المظالِم ثم رُدَّت هذه الاعمالُ الى وَلَدِه الرَّضى المذكور وأبُوه حىٌّ

ومن غُرَرِ شعْره ما كتبه الى الامام أبى العباس احمد بن المُقْتَدر

عَطْفًا أميرَ المؤمنين فاننـا فى دَوحة العَلياء لا نَتَفَرّق
ما بَيْنَنَا يومَ الفخار تَفَاوُت أبَدًا كلانا فى المَعالى مُعْرِق
الا الخلافة مَـيَّزَتْك فانَّنِى أنَا عاطِلٌ منها وأنْتَ مُطَوَّق

وديوانُ شعْره مَشْهُور وقد صَنَّفَ كِتَاباً فى مَعَانِى القرآن الكَرِيم وصَنّف كتابا آخر فى مَجَازَاته وكانت ولادته سـنة ٣٥٩ ببغداد وتوفى سـنة ٤٠٦ ويقال انه جمع كتاب نَهْج البـلاغة من مختـار كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه.

وقال الامام الذَهَبِى فى ميزان الاعتدال مَن طَالَعَ كتاب نهج البلاغة جَزَم بأنّه مَكْذُوب على أمير المؤمنين على رضى الله تعـالى عنه فان فيه السّبّ الصريح والحَطّ على السَـيّدَين أبى بكر وعمر رضى الله تعـالى عنهما اهـ

ابن سـيناء

(٣٧٠ – ٤٢٨ هـ)

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن سيناء البخارى المشهور بالشيخ الرئيس كان من أشهر الحكماء والاطباء فهو أُبُقْراطُ الطّبّ وأرِسْطُو الحكْمة عند العرب والافرنج وقد جَمَع فى فسيح صدره كتابات أرسطو وأوعى فى خزانة معارفه حِكَمه وقواعِدَه وقد نَقَل الافرنج عنـه أكثر ما عنـدهم من كتابات جَالِينُوس وابقراط ونشروا أشهر تآليفه فى اللغة العربية وترجموا أكثرها الى لغاتهـم وكان هو المُعَوّل عليه شرقا وغربا فى قواعد الحكمة والطب وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنـه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه وكان والده من اهل بَلْخ وانتقل الى بُخَارَى وكان من العُمّال الكُفَاةِ واشـتغل ابن سيناء بالعلوم والفنون ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد الله النّاتلى فأنزله عنده وابتدأ يقرأ عليه كتاب ايساغوجى وأحكم عليه علم المنطق حتى بَرَع ويقـال انه فاقه كثيرا حتى أوضح له رموزا وفَهّمه اشكالات ثم اشتغل بعد ذلك بالعلوم الطبيعية والالهية وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك فى علم الطِّب فتعلم حتى فاق فيه الاوائل والأواخر وأصبح عديم القرين تَرِد اليـه الناس لتتعلم منه أنواعه والمعالجـات المقتبسة من التجربة ويقال ان سِنّه اذ ذاك لم يزد عن ست عشرة سنة لانه لم يشتغل بغير

المطالعة وكان اذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلّى ودعا الله أن يُسَهّلها عليه وقد عالج الامـــيرَ نُوحَ بن نصر السّامَانِى صاحب خُرَاسان من مَرَضِه حين استحضره لمّا سَمِع بحكمته حتى بَرِئَ فاتصل به وقُرب منه ودخل الى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن فظفِر بما حصل عليه منها من ثمرات العلوم واتفق بعد ذلك أن حُرِقت خزانة هذه الكتب (ويقال ان أبا على هو السبب فى احراقها لينفرد بما حَصّله منها) ولمـا اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبوعلى من بخارى الى قَصَــبَة خوارزم ولم يزل ينتقل فى البلاد الى أن ذهب الى جُرْجَان وصنّف بها الكتاب الاوسط ولهذا يقال له الاوسط الجرجانى ثم بعـــد ذلك ذهب الى هَمَذَان وتقلّد الوزارة لشمس الدولة ثم ثارت العسكر عليه فَأغارُوا على داره ونَهَبُوها وقَبَضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتْـــلَه فامتنع ثم أُطْلِق فتَــوَارَى ولمّـا مرِض شمس الدولة أحضره لمداواته واعتــذر اليه وأعاده وزيرا ولمـا مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة ولم يستوزره توجه الى إصْبِهَانَ وكان بها أبو جعفر فأحسن اليه وكانت ولادته سنة ٣٧٠ وتوفى ســنة ٤٢٨ بهَمَذَان بعد أن اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورَدّ المَظَـالِم على من عَرَفه وأعْتَقَ مماليكه وجعل يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مَرّة

أبو العلا المعرى

(٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)

هو احمد بن عبد الله بن سليمان التَنُوخِى المَعَرِّى اللغوى الشاعر كان متضلعا من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيـــه بالمَعَرّة وعلى محمد ابن عبد الله بحَلَب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم مالايلزم وله سَقْط الزَنْد وشرَحَه بنفسه وسَمّاه ضوء السقط وله غير ذلك وكان علّامة عَصْره وأخَذَ عنه أبو القاسم على بن المُحْسِن التَنُوخِى والخطيب أبو زكرياء التَبْرِيزى وغيرهما وكانت ولادته سنة ٣٦٣ بالمَعَرّة وعَمِىَ سـنة ٣٦٧ من الجُدَرِىّ وقد اختصر ديوانَ أبى تَمّام والبُحْتُرى والمتنبى وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أُخِذ عليهم وبعد أن لزم منزله سنة ٤٠١ سار اليه الطلبة من الآفاق وكاتَبَـه العلماء والوزراء وأهل الاقدار ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تَزَهُّدا لانه كان يَعُدّ ذَبْح الحيوان تعذيبـا وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ومن كلامه فى اللزوم

لا تطلـــبنّ بآلهٍ لكَ رُتْبـــة ... قَـــلَمُ البَليغِ بغـــير جَدّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِماكانِ السماءَ كِلاهُمَا ... هـــذا له رُمْحٌ وهـــذا أعْزَلُ

وتوفى سنة ٤٤٩ بالمعرّة وأوصى أن يُكْتَب على قبره

هـــذا جَناه أبى عَلَىَّ * وما جَنَيْتُ عَلَى أحَد

حجة الاسلام الغزالى
(٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمـد الغزالى المُلَقَّب حُجَّـة الاسلام زَين الدين الطُوسِى الفقيه الشافعى ولم يكن للطائفة الشافعية فى آخر عصره مثله اشتغل فى مبدإ أمره بطُوس ثم قَدِم نَيْسَابُور وجدّ فى الاشـتغال على امام الحَرَمين أبى المعالى حتى تَخَرَّج فى مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم فى زمن أسـتاذه ولم يزل ملازما له الى أن توفى نخرج من نيسابور الى العسكر ولقى الوزيرَ نِظَامَ المُلْك فأكرمه وعظّمه واقبل عليـــه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة فى عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسْمُه وسارت بذكره الركبان ثم فُوِّض اليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وأُعْجِبَ به أهلُ العراق وارْتَفَعَت عندهم منزلَتُه ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزُهْد والانقطاع وقَصَد الحَجّ ولَمّـا رَجَع توجه الى الشام فأقام بمـدينة دِمَشْق ثم انتقل منها الى بيت المقدس واجتهـد فى العبـادة ثم قصـد مصر وأقام بالإِسكَنْدَرِية مـــدة ثم عاد الى وطنـه بطوس واشتغل وصنّف الكتب التى أشْهَرُها احياء علوم الدين وكتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه والمقصد الاسنى فى شرح أسمـاء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمُنْقِذ من الضلال الى غير ذلك من الكتب النفيسة ثم أُلْزِم بالعَوْد الى نَيْسَابُور والتدريس بها بالمدرسة النظاميـــة

ثم ترك ذلك وعاد الى بيته فى وطنـــه ووزّع أوقاته على أعمــال الخير والعبادة وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هجرية وتوفى سنة ٥٠٥

الطغــرائى

(توفى سنة ٥١٣ ﻫ)

هو العَميد أبو اسماعيل الحسين بن على الملقب مُؤَيّد الدين المشهور بالطُغْرَائِى كان غَزِيرَ الفضــل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصــنعة النظم والنثر وقال أبوالمعالى فى كتابه زينة الدهر ان الطغرائى كان يُنْعَت بالأُسْتاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السَلْجُوقى بالمَوْصل ولمّــا جَرَى بينه وبين أخيه السلطان محمود المَصَــافّ بالقرب من هَمَــذَان وكانت النصرة لمحمود وُشِى به فَقُتِل وكانت هــذه الواقعة سنة ٥١٣ وقيل سنة أربع عشرة وقد جاوز ستين سنة والطغرائى نسبة لمن يكتب الطُغْرَى وهى الطُرَّة التى تُكتَب فى أعلى الكُتُب فوق البسملة بالقــلم الغليظ وهى لفظــة أعجمية وللطغرائى المذكور ديوان شعر جيّد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم التى اولها

(اصالة الرأى صانَتْنِى عن الخطل الخ)

الحــــــــريرى

(٤٤٦ - ٥١٦ ﻫ)

هو أبو محمد القاسم الحريرى البصرى صاحب المقامات أحَدُ أئمــة عصره ورُزِق الحُظْوة التامّة فى عمل المقامات واشتملت على شئ كثير

من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها وبها يُستدَل على فضل هذا الرجل وعلى كثرة اطلاعه وغَزارة مادّته وسَبَبُ وضعه لها ماحكاه ولَدُهُ أبو القاسم قال كان أبي جالسا فى مسجده ببَنِي حَرَامٍ فدخل شيخ ذُو طِمْرَيْنِ عليه أُهْبَة السفررَثُّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سَرُوج فاستخبره عن كُنْيَته فقال أبو زيد فعَمِل أبي المقامة المعروفة بالحَرَامِيّة وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خَبَرُها الوزيرَ شرف الدين وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدى أن يَضُمّ اليها غيرها فأتَمّها خمسين وكانت ولادة الحريرى سنة ٤٤٦ وتوفى سنة ٥١٦ بالبصرة فى سِكّة بنى حَرَام

وقد حَاوَل كثير من الافرنج تَرْجمة المَقَامَات الى لُغَتهم ولكن مِثْل هذا الكتاب لا يُتَرْجم وللحريرى غير المقامات كتب كثيرة منها دُرّة الغَوّاص ومُلْحَة الاعراب فى النحو وديوان شعر ورسائل

ابن رشـــد
(٥١٤ ــ ٥٩٥ هـ)

هو ابو الوليـد محمد بن أحمد بن رشـد أشهر فلاسفة العرب ولد فى قرطبة سنة ٥١٤ هجرية وكان أبوه متوليا فيها الفتوى أخذ عن أشهر الفلاســفة فى عصره وتخرج فى الفقه والطب والفلسفة وقَرّبه المهدى يوسف لثقته به وحذقه ورقّاه أسمى المراتب نخلّفه بها فى فتوى الاندلس

ثم تولى الفُتْيا فى مَرَّاكُش وأقام فيها مدة وسكن إِشْبِيلِيّة وكان له نفس الرِّعاية والاعتبار فى أوائل عهد المنصور خَلَف المهدى يوسف الا أنه وُشِيَ به حَسَدًا وعُدْوَانا ففسد أمْرُه عند المنصور فَعَزَلَه عن رُتْبته ونفاه عِدة سنين ثم دُعِى الى مَرَّاكُش فشُمِل بالعطايا والمكارم وتوفى بها بعد أَمَد وَجِيز سنة ٥٩٥ هجرية

وقد ذهب ابن رشـــد الى أن أرِسطو هو أعظم الفلاســفة وترجم مؤلّفاتِه وشَرَحَها بضَبْطٍ وتَرَوٍّ وله شرح أُرْجُوزةٍ فى الطّبّ للشيخ الرئيس ابن سيناء وله كتاب فصل المقال فيا بين الشريعة والطبيعة من الاتصال ومن أشهر مؤلفاته الكليات فى الطب وله غير ذلك كثير وأصل مؤلفاته فى العربية نادر الوجود ولكن الاوروبيين اهتمّوا بترجمتها الى لغاتهم فمن ذلك شرح أقوال ارسـطُو مع الرّد على الغـزالى فانه تُرْجم الى اللاتينية وحسب أحد عشر مجلدا وطبع بالبندقية سنة ١٥٦٠ ميلادية وكذلك كلياته ترجمت وطبعت بالبندقيـة أيضا وقد اهتم الاوربيون بفلسفة ابن رشد اهتماما كبيرا وكتب رينان الفرنسى الشهير كتابا سمـاه ابن رشد ومذهبه ذكر فيه سيرته ومؤلفاته وقال انه كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل الحرية فى الافكار والاقوال وقد طبع هذا الكتاب بباريس سنة ١٨٥٢

ابن جبير

(٥٤٠ - ٦١٤ هـ)

هو ابو الحسن محمد بن احمد بن جُبَيْر الكنانى ولد ببَلَنْسِيَة فى سنة ٥٤٠ وقد برع فى العلم والشعر ورحل الى المشرق أكثر من مرّة فخرج من غَرْنَاطَةَ فى رِحلته الاولى سنة ٥٧٨ ووصل الى الاسكندرية بعد ثلاثين يوما وحج ورحل الى الشام والعراق والجزيرة وغيرها ثم عاد الى الاندلس سنة ٥٨١ ثم سافر بعد ذلك الى المشرق وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٤ وهو ممن أثْرَوْا بالادب ثم تزهد وأعرض عن الدنيا وكان من أهل المروآت مؤنسا للغُرَباء عاشقا لقضاء حوائج الناس

ابن الفارض

(٥٧٦ - ٦٣٢ هـ)

هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبى الحسن المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الصوفية ومن كلامه

لَمْ أخْلُ مِن حَسَد عليك فلا تُضِع سَهَرِى بتشييع الخَيَال المُرْجِفِ
واسْأَلْ نُجُوم الليل هل زار الكَرَى جَفْنِى وكيف يَزُور من لم يَعْرِفِ

وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن الصحبة محمود العشيرة جاور بمكة المكرمة زمانا وكانت ولادته سنة ٥٧٦ بالقاهرة وتوفى بها سنة ٦٣٢ ودُفن بسَفْح المُقَطَّم

ابن الاثـــير

يطلق هذا الاسم على كل واحد من اخوة ثلاثة وهم العالم المحدّث ابو السعادات مَجْد الدين المبارك (٥٤٤ – ٦٠٦ ﻫ) والمؤرّخ المدقق أبو الحسن عِزّ الدين على (٥٥٥ – ٦٣٠ ﻫ) والوزير الأديب ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (... – ٦٣٧ ﻫ) وهم أبنـاء أبى الكرم محمـد ابن محمد بن عبـدالكريم بن عبـدالواحد الشَيْبَانى وُلِدُوا جميعا بجزيرة ابن عُمَر بالجزيرة ثم رحلوا مع أبيهم الى المَوْصِل واشتغلوا بها وحَصّلوا العلوم وكانوا جميعا فقهاء مُحَدّثين أدَبَاء مُؤَرِخين الا أن كل واحد منهم تفَرّد بعِلْم وألّف فيه مُؤَلّفَات لاتزال طائرة الصِيت الى يومنا هذا

فتَفَرّد المبارك بالحديث وألّف فيه كتاب النهاية فى غريب الحديث وقد كان اعتراه مرض كفّ يديه ورجليـه فمنعه من الكتابة وأقام فى داره وفى هذه الحالة صنف كتبه وكان له جماعة يعينونه عليها

وتفرّد علىّ بالتاريخ وألف فيـه عدّة من الكتب بعـد أن طاف كثيرا من البلاد وسمع الاخبار ومن أشهر كتب التاريخ كتابُه الكامل

وتفرّد ضياء الدين بالأدب ومن أشهر كتبه فيه المَثَل السائر فى أدَب الكاتب والشـاعر وقد كان اتصـل بخدمة صـلاح الدين الأيوبى ثم انتقل الى ولده الملك الأفضل فاستوزره وكانت وفاته سنة ٦٣٧

ابن الحـــــاجب
(٥٧٠ - ٦٤٦ هـ)

هو أبو عَمْرو عثمان بن عُمَر الفقيه المـالكى المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده حاجبا للامير عزالدين وكان كُرْدِياً واشتغل ولده أبو عمرو فى صـــغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الامام مالك ثم بالعربيـــة والقراآت وبَرَع فى علومه وأتْقَنها غايةَ الاتقان وكان ذلك بالقاهرة ثم انتقل الى دِمَشْقَ ودرس بجامعها وأكَبَّ الخلق على الاشتغال عليه وتبحّر فى الفنون وكان الأغلب عليـــه عِلْمَ العربيـــة صَنَّف مختصرا فى مَذْهَبـــه ومُقَدّمَةً وجيزة فى النحو وسَمَّاها الكافيـــة وأخْرى مِثْلَها فى التصريف وسَمَّاها الشافية وشَرَحَ المُقَدّمَتَين وصنّف فى أصُول الفقه وخالَفَ النُّحاةَ فى مواضِعَ وأوْرَد عليهـــم اشْكالات والزامات تَبْعُد الاجابة عنها وكان مِن أحْسَن خَلْق الله ذِهْنا ثم عاد الى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليـــه ثم انتقل الى الاسكَنْدَريةَ للاقامة بها فلم تَطُل مدّته هناك وتُوُفِّيَ بهـــا سـنة ٦٤٦ وولد سنة ٥٧٠ باسنا

بهاء الدين زهـــــير
(٥٨١ - ٦٥٦ هـ)

هو أبو الفضل زُهَير بن محمد بن على الملقب بهاء الدين الكاتب كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخَطّا ومن أكبرهم مُرُوءة وكان

قد اتصـــل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبى الفتح أيّوب ابن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجّه فى خدمته الى البلاد الشرقية وأقام بها الى أنـ مَلَكَ المَلِكُ الصـالح مدينـةَ دِمَشْـقَ فانتقل اليها فى خدمتـه وأقام كذلك الى أن جرت الواقعـــة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وقَبَضَ عليه ابْن عَمّه الملك الناصر داود صـاحب الكَرَكِ واعْتَقَله بقَلْعة الكَرَكِ فأقام بهـاءُ الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يَزَل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية فقَدِم اليها فى خِدمته لمـا كان عليــه من مكارم الاخلاق ودماثة السجايا ولذلك كان متمكنًا من صاحبـه كبير القـدر عنـده لايَطّلع على سِرّه الخَفِىّ غيره ومن محاسن شعره مُلْغزا فى القُفْل قوله

وأسْوَد عَارٍ أنْحَــلَ البَرْدُ جِسْمَه   وما زال من أوصافه الحِرْص والمَنْع
وأعْجَب شَئ كَوْنُه الدهْرَ حَارِسًا   وليس له عَيْنٌ وليس له سَمْع

وولد بهاء الدين المذكور سنة ٥٨١ ومات سنة ٦٥٦ بمصر

أبو الفـــداء

(٦٧٢ – ٧٣٢ هـ)

هو السلطان الامام والملك المُؤيّد اسماعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهِنْشَاهْ بن أيّوب صاحب حَمَاة وكانت ولادته بدمشق

لان أهله كانوا خرجوا من حمـاة خوفا من التَّتَر وكان أبو الفداء بَطَلا شجاعا خدم الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون لَمّـا كان فى الكَرَك وساعَدَه فى محـاربة التَتَر فوَعَده بحَمَاة التى كانت اقْطاعا لأُسْرَتِهِم ووَفَى له بذلك وجعله سلطانا عليهـا يَفْعَل فيها مايَشَاء من اقْطاع وغيره وليس لأحد من الدولة بمصر معه حُكْم ولَقَّبَه بالسلطان المؤيد

ويقـال ان أجْوَد ما كان يَعْرِفه أبو الفِداء عِلْم الهيئة لأنه أتْقَنَه وان كان قد شارك فى سائر العلوم مشاركة جيدة وله مُؤَلَّفات كثيرة فى علوم مُخْتَلِفة أهَمّها التاريخ المُتَضَمّن التاريخ القـديم وتاريخ الاســـلام الى سنة ١٣٢٨ ميلادية والجغرافية المتضمنة على الخصوص وصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس وهى أحسن الجغرافيات الشرقيـــة وقد طبعت هى وتاريخه مرارا باللغة العربية واللغات الافرنجية بعد ترجمتها ومات فى الستين من عمره سنة ٧٣٢

ابن خلدون

(٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد وأصْل بَيْتِه مِن اشْبِيلِيّة من أعمال الأنْدَلُس انتقلوا الى تونس فى أواسط القَرْن السابع للهجرة عند الجلاء ونسبهم فى حضرموت من عرب اليمن وأوّل مَن رَحَل الى الأنْدَلُس منهم هو خَلْدُون الجَدّ العاشر للترجم

ووُلِدَ ابن خلدون بِتُونِسَ سنة ٧٣٢ للهجرة ورُبى فى حجر والده وقرأ القرآن الكريم بالقراآت السبع ثم أخذ فى دراســة الفقه والأدب فبرع فيهما وكان كاتبا بليغا وشاعرا نابغا تَنَقّل كثيرا فى بلاد المغرب والاندلس وتَوَلّى الكتابة لكثير من الملوك ورأى من النعيم والبَأْسَاء ما يراه أهل النباهة والشرف والصــدق فى كل زمان من الملوك الذين تَرُوج عندهم الوِشَايَات ثم حضر الى مصر فى سنة ٧٨٤ وأَخَذَ يُعَلّم بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان برقوق فأكرمه وأحسن مثواه وفى سنة ٧٨٦ ولاه القضاء بمصر فَعَدَل بين الناس ولم تُؤَثّر فيه وِشَايةُ الوَاشِين وسِعَاية السَاعِين ولم يزل بالقاهرة الى أن مات سنة ٨٠٦ وقيل سنة ٨٠٨

وقد أبْقَى شُهْرَتَه الى الآن تاريخُه المشهور ومُقَــدّمته التى تَدُلّ على ان الرَجُل كان أكبر من نظروا فى الاجتماع فى عَصْره

وفُوْد العَرَب على كِسْرَى قبل الاسلام

روى ابن القُطَامِى عن الكَلْبي قال قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لايَسْتَثْنِي فارسَ ولا غيرها فقال كسرى وأَخَذَتْه عزّة المُلْك يانعمان لقــد فَكَّرْتُ فى أمْر العرب وغيرهم من الامم ونظرت فى حالة من يَقْدَم عليَّ من وُفود الأُمَم فوجدت للرُّوم حظّا فى اجتماع أُلفتِها وعِظَم سُلْطانها وكثرة مدائنها ووَثِيق بُنْيَانِها وانّ

لها دِيناً يُبَيّن حَلَالَهَا وحَرَامها ويرد سَفِيهَهَا ويُقِيم جَاهَهَا ورأيت الهنـد نحوا من ذلك فى حِكْمَتِها وطبها مع كثرة أنْهار بلادها وثِمَـارها وعجيب صِنَاعتها وطِيب أشجارها ودقيق حِسَابها وكثرة عَدَدها وكذلك الصـين فى اجتماعها وكثرة صـناعات أيديها وفُرُوسيتها وهِمّتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلْكاً يَجْمَعُهَا والتُرْك والخَزَر على مابهم من سوء الحال فى المَعَاش وقِلَّة الريف والثمـار والحُصُون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لَهم مُلوك تَضُمّ قَوَاصِيَهم وتُدَبِّر أمْرهم ولم أرَ للعرب شيأً من خصال الخَيْر فى أمْرِ دِين ولا دنيا ولا حزم ولا قوّة ومع ان ممـا يَدُلّ على مَهَانتها وذُلّها وصِـغَر هِمّتها مَحِلّتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادَهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مَطَاعِم الدنيا ومَلَابسها ومَشَارِبها ولَهْوِها ولَذّاتها فأفْضَل طعام ظَفِر به نَاعِمُهم لحومُ الإبِل التى يَعَافُها كثير من السّباع لِثِقَلها وسوء طعمها وخوف دائها وان قرى أحَدُهم ضَيفا عَدّها مَكْرُمة وان أُطْعِم أكْلة عَدّها غَنِيمة تَنْطِق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التَنُوخِية التى أسّس جَدّى اجتماعَها وشَـدّ مَمْلكتها ومنَعها مِن عَدُوّها تَجْرى لها ذلك الى يومنا هـذا وان لها مع ذلك آثارا ولَبُوسا وقُرًى وحُصُونا وأمورا تُشْبه بعض أمور الناس يعنى اليَمَن ثم لاأرا كم تَسْتَكِينون على مابكم من الذِلّة والقِلّة والفَاقة والبُؤْس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس قال النعمان أصلح

الله الملك حَقّ لِأُمَّةٍ المَلِك مِنْهَا أنْ يَسْمُو فَضْلها ويَعْظُم خَطْبها وتَعْلُو دَرَجتها إلّا أنّ عندى جَوَابا فى كل مانطق به الملك فى غَير رَدٍّ عليــه ولا تكذيب له فان أَمَّنَى من غضبه نَطَقْتُ به قال كسرى قُلْ فأنْتَ آمِن قال النعمان أمّا أُمَّتُكَ أيها الملك فليست تُنَازَع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبَسْطة محلها وبُحْبوحة عِزّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الأُمَمُ التى ذَكَرْتَ فأىّ أمة تَقْرُنها بالعَرَب إلا فَضَلْتَها قال كسرى بمــاذا قال النعمانــ بِعِزّها ومَنَعَتِها وحُسْن وُجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألْسِنَتِها وشِــدّة عقولها وأَنَفَتِها ووَفَائها

فأما عِزّها ومَنَعَتُها فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البــلاد ووَطّدوا المُلْك وقادوا الجُنْد لم يَطْمَع فيهم طامع ولم يَنَلْهُم نائل حُصُونُهم ظهور خَيْلِهم ومِهَادُهم الارْض وسُقُوفُهم السماء وجُنَنُهم السُّيوف وعُدّتهم الصَبْر اذ غَيْرُهَا من الأُمَم انّمــا عِزُّها الحِجَارة والطِين وجَزَائِر البُحُور

وأما حُسْن وُجُوهِها وألْوَانِها فقد يُعْرَف فَضْلُهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُنْحَرِفة والصِين المُنْحَفَة والتُّرْك المُشَوَّهة والرُّوم المُقَشَّرة

وأما أنْسَابُها وأحسابُها فليست أمّة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأُصُولَهَا وكثيرا مِن أوّلها حتى انّ أحَدَهم ليُسْــئَل عمن وراء أبيه دُنْيًا فلا يَنْسُــبه ولا يَعْرِفه وليس أحد من العرب الا يُسَمّى آباءه أبًا فأبًا

حَاطُوا بذلك أحْسَابَهم وحَفِظوا به أنْسَابَهم فلا يَدْخل رجل فى غير قومه ولا يَنْتَسِب الى غير نَسَبه ولا يُدْعى الى غير أبيه

وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهُم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرة والنَّاب عليها بَلَاغه فى حَمُوله وشِـبَعه ورِيّه فَيَطْرُقه الطارِق الذى يَكْتَفى بالفَلْذة ويَجْتَزِى بالشَرْبة فَيَعْقِرها له ويَرْضَى أن يَخْرُج عن دُنْياه كُلّها فيما يُكْسِبه حُسْن الأحْدُوثة وطِيّب الذِكْر

وأما حِكْمة ألْسِنَتهم فان الله تعالى أعطاهم فى أشْعارهم ورَوْنَق كَلَامِهم وحُسْنِه ووَزْنِهِ وقَوافِيه مع معرفتهم بالاشياء وضربِهم للأمْثال وابلاغهم فى الصفات ماليس لشئ من ألسنة الأجناس ثم خَيْلُهم أفْضَل الخَيْل ونِساؤهم أعَفّ النساء ولِبَاسُهم أفضل اللباس ومَعَادِنُهم الذَهَب والفضّة وحِجارة جبالهم الجَزْعَ ومَطَايَاهم التى لايُبْلَغ على مِثْلِها سَـفَرٌ ولا يُقْطَع بمثلها بَلَدٌ قَفْرٌ

وأما دِينُها وشَريعتها فانهم مُتَمَسّكون به حتى يبلغ أحَدُهم من نُسْكه بِدِينه انّ لهم أشْهرًا حُرُما وبَلَداً مُحَرّما وبَيْتاً مَحْجُوجا يَنْسُكون فيه مَنَاسِكَهُم ويَذْبحُون فيه ذَبَائحهم فَيَلْقَى الرَجُل قاتلَ أبيه أو أخيـه وهو قادر على أخْذ ثارِه وإدْراك رَغْمه منه فَيَحْجزه كَرَمه ويَمْنَعه دِينـه عن تَنَاوُلِه بأذى

وأما وَفَاؤها فان أحَدَهم يلحَظ اللحْظة ويُومِئ الإيمَـاءَة فهى وَلْثٌ (أى عَهْد) وعُقْدَة لايحُلّها إلا خُرُوج نَفْسـه وانّ أحَدَهم يرْفَع عوداً

من الأرْض فيكون رَهْنا بدَيْنه فلا يَغْلَق رَهْنُه ولا تُخْفر ذمّته وانّ أحَدَهم ليبْلُغه أنّ رَجلا اسْتَجار به وعَسَى أن يَكون نائيًا عن دَاره فَيُصَاب فلا يَرْضَى حتى يُفْنِي تلك القَبيلة التى أصابتــه أو تَفْنى قبيلَته لِما أُخْفِر مِن جِوَاره وانه ليَلْجَأ اليهم الُمجْرِم الُمحْدث من غير معرفة ولا قَرَابة فتكون أنْفُسهم دون نَفْسه وأمْوَالُهم دون مَالِه

وأما قولك أيها الملك يَئِــدون أوْلَادهم فانمــا يَفْعله من يَفْعَله منهم بالاِنَاث أنَفَةً من العَار وغَيْرَة من الأزْواج

وأما قولك انّ أفْضَــل طَعَامِهِم لُحُوم الابِل على ماوَصَفْت منها فما تركوا مادُونَها إلّا احْتِقارًا له فعَمَدُوا إلى أجَلّها وأفْضَلها فكانت مَرَاكِبَهم وطَعامَهم مع أنّها أكْثَر البَهَائم شُحُوما وأطْيَبُها لُحُوما وأرَقّها ألْبانا وأقَلُّها غائِلة وأحْلاَها مَضْــغة وانه لاشئ من اللُّحْمَان يُعَالَج مايُعَالَج به لَحْمُها إلّا اسْتبان فضْلُها عليه ٠

وأما تَحَارُبُهم وأكْل بعضهم بعضا وتَرْكُهم الانقِياد لِرَجل يَسُوسُهم ويَجْمَعُهم فانمــا يَفْعَل ذلك من يَفْعَله من الأُمَم اذا أنِسَت من نَفْسهــا ضَعْفا وتَخَوّفَت نُهُوض عَدُوّها اليها بالزّحْف وانّه انمــا يكون فى المملكة العظيمة أهلُ بَيْتٍ واحدٍ يُعْرَف فَضْلُهم على سائرغيرهم فَيُلْقُون اليهم أُمورَهم ويَنْقَادُون لهم بأزِمّتِهِم

وأما العرب فان ذلك كَثِيرٌ فيهم حتى لقــد حَاوَلُوا أن يَكُونوا مُلُوكا أجمعين مع أنفَتِهم من أداء الخَرَاج والوَطْثِ (أى الضَرْب الشديد بالرِجْل على الارض) بالعَسْف

وأما اليمن التى وصفها الملك فانما أتَى جَدّ المَلِك اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على مُلْكٍ مُتّسق وأمْرٍ مُجْتَمِع فَأَتَاه مَسْلُوبا طَرِيدا مُسْتَصْرِخا ولولا ماوُتِر به مَن يليــه من العرب لَمَــالَ الى مَجَال ولوَجَد مَن يُجِيد الطِعان ويَغْضَب للأحْرار من غَلَبة العَبيد الأشْرَار

قال فعجب كسرى لِمَــا أجابه النعمان به وقال إنك لأهْلٌ لِمَوْضِعك من الرَآســة فى أهْل إقْليمك ثم كَسَاه من كسوته وسَرّحه الى موضعه من الحِيرة

فلما قَدِم النعمان الحِيرة وفى نفسه مافيها ممــا سَمِــع من كسرى مِن تَنَقّص العَرَب وتَهْجين أمْرِهم بَعَثَ الى أكْثم بن صَيْفِى وحاجِب بن زُرَارة التَميميَّين والى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البَكْرِيَّين والى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلَاثَة وعامر بن الطُفَيل العامريّين والى عَمْرو ابن الشَرِيد السُلَمِى وعَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ الزبيدى والحارث بن ظالم المُرّى فلما قَدِموا عليه فى الخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هــذه الاعاجم وقُرْب جِوَار العرب منهــا وقد سَمِعتُ من كسرى مقالات تَخَوّفْتُ أن يكون لهــا غَوْر أو يكون انّمــا أظْهَرَها لِامْرٍ أراد أن يتخذ به العرب خَوَلا

كبعض طَماطِمَتِه فى تَأدِيَتِهم الخَراج اليـــه كما يفعل بملوك الأُمَم الذين حَوْلَه فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليــه فقالوا أيُّهـا المَلِك وفّقك اللهُ ماأحسن مارَدَدْتَ وأبلغ ماحَجَجْتَه به فَمُـرْنا بأمْرك وادْعُنا الى ماشئت

قال انما أنَا رَجُل منكم وانمـا مَلَكْتُ وعَزَزْتُ بمكانكم وما يُتَخَوَّف من ناحيتكم وليس شئ أحبّ الىّ ممـا سَدّد اللهُ به أمْرَكم وأصلح به شأنكم وأدام به عِزّكم والرأى أن تَسيروا بجماعتكم أيُّها الرَهْط وتنطلقوا الى كسرى فاذا دخلتم نَطَق كل رجل منكم بما حضره ليَعلم أن العرب على غير ماظَنّ أو حَدَّثَتْه نَفْسه ولا يَنْطِق رجل منكم بمـا يُغْضِبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان مُتْرَف مُعْجب بنَفْسه ولا تَنْخَزِلُوا له انْخِزال الخـاضع الذليل وليَكُنْ أمْرٌ بين ذلك تظهر به دَمَاثَةُ حُلُومِكم وفضـــل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكْثم بن صَـيفِى ثم تتابعوا على الأمْر مِن مَنَازلكم التى وَضَعْتكم بهـا فانمـا دعانى الى التَقْدمة اليكم علمى بميـل كلّ رجل منكم الى التقَدُّم قَبْـل صاحبه فلا يَكُونَنَّ ذلك منكم فيَجِدَ فى آدابكم مَطْعَنا فانه ملك مُتْرَف وقادر مُسَلّط ثم دعا لهم بمـا فى خزائنه من طرائف حُلَل الملوك كُل رجل منهم حُلّة وعَمّمه عِمامة وخَتّمه بياقوتة وأمر لـكل رجل منهم بنَجيبة مَهْرِيّة وفرسٍ نجيبة وكَتب معهم كتابا

أما بعـد فان الملك أَلْقَى الىّ من أمر العرب ماقد علم وأَجَبْتُه بمـا قد فهم ممّـا أحْبَبْت أن يكون منـه على عِلْم ولا يَتَلَجْلَج فى نَفْسه أنّ أمّة من الأمم التى احتجزت دونه بمملكتها وحَمَت مايليها بفضل قُوّتها تبْلُغُها فى شئ من الأُمور التى يَتَعَزَّزُ بها ذَوُو الحَزْم والقُوَّة والتـدْبِير والمكِيدة وقد أَوْفَدْت أيُها المَلِك رَهْطا من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فَلْيَسْمع المَلِك ولْيُغْمِضْ عن جَفَاء انْ ظَهر من مَنْطِقِهم وَلْيُكْرِمْنى باكـرامهم وتعجيل سَرَاحِهـم وقد نَسَبْتهم فى أسـفل كتابى هذا الى عَشَائرهم فخرج القوم فى أهْبَتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليـه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلسا يَسْمَع منهم فلما أن كان بعـد ذلك بأيام أمر مَرَازِبَتَه ووُجُوه أهـل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وصفهم النعمان بهـا فى كتابه وأقام التَرْجُمان ليُؤدِى اليه كَلامَهم ثم أذن لهم فى الكلام

فقام أَكثم بن صيفى فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأَعْلَى الرجال مُلُوكها وأفْضَـل الملوك أعَمُّها نَفْعا وخيرُ الأَزْمنة أخْصَبُها وأفضـل الخُطَباء أصْدَقُها الصّدق مَنْجَاة والكَذب مَهْوَاة والشَّرّ لجاجة والحَزْم مَرْكَب صَعْب والعَجْز مَرْكب وَطِىء آفَةُ الرأى الهَوَى والعَجْز مفتاح الفَقْر وخير الامور الصَـبْر حُسْن الظَنّ وَرْطة وسوء الظن عِصْـمَة إصلاح فساد الرَّعِيّة خير من إصْلاح فَسَاد الراعى مَن فَسَدَت بِطَانَتُه

كان كالغَاصّ بالمـاء شَرُّ البلاد بلاد لاأمير بهـا شَرُّ المُلُوك من خافه البَرِيء المَرْء يَعْجِز لامَحالة أفضـل الاولاد البَرَرة خير الأَعْوانِ من لم يُرَاء بالنصيحة أحَقّ الجُنود بالنَصْر من حَسُنَتْ سَرِيرته يكْفيك من الزاد ما بَلَّغَك المَحَلّ حَسْبُك مِن شرٍ سَمَاعه الصّمْتُ حِكَم وقَليلٌ فاعِلُه البَلَاغة الايجاز مَن شَدّد نَفّر ومن تَرَاخى تَألَّف فتعجب كسرى من أكثم ثم قال ويحك ياأكثم ماأحكمك وأوثق كَلَامك لولا وَضْـعُك كلامك فى غير موضعه قال أكثم الصِدْق يُنْبِئ عنك لاالوَعيـد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنْفَذُ مِن صَوْل

ثم قام حاجب بن زُرَارة التميمى قال وَرَى زَنْدُك وعَلَتْ يَدُك وهِيبَ سُلْطَانُك ان العرب أمّة قد غَلُظَت أكْبادُها واسْتَحْصَدت مِرَّتُها ومُنِعَت دِرّتها وهى لكَ وامِقة ماتَأَلّفْتَها مُسْتَرْسِـلة مالاَيَنْتَها سامعـة ماسامَحْتَها وهى العَلْقَم مَرَارة وهى الصَابُ غَضَاضـة والعَسَل حَلَاوة والماءُ الزُلَال سَلَاسَةً نَحْنُ وُفودُها اليك وأَلْسِنَتُها لديك ذِمتنا مَحْفُوظة وأَحْسَابُنَا مَمْنُوعة وعَشَائرنا فينا سَامعـة مُطيعة إن نَؤُب لَكَ حَامِدِين خَيْرا فلك بذلك عُمُوم مَحْمَدَتِنا وان نَذُمّ لم نُخَصّ بالذَمّ دُونَهَا قال كسرى ياحاجب ماأشبه حَجَر التِلال بألوان صَخْرها قال حاجب بل زَئير الأُسْد بصَوْلَتها قال كسرى وذلك

ثم قام الحــارث البكرى فقال دامت لك المملكة باســتكمال جزيل حظها وعُلُوّ سَنائها مَن طال رِشاؤه كَثُر مَتْحُه ومن ذَهَب مالُه قَلّ مَنْحُه تَنَاقُل الأقاويل يُعَرّف اللُّبّ وهذا مقام سيُوجِف بما تَنْطق به الرَّكْب وتَعرِف به كُنْه حَالِنا العَجَم والعَرَب ونَحْنُ جيرانُك الأدْنَوْن وأعْوانُك المُعِينون خُيولُنا جَمّة وجُيوشَنا فَخْمة ان اسْتَنْجَدْتَنَا فَغيرُ رُبُض وان اسْتَطْرَقْتَنا فَغَيْرُ جُهْض وان طلبتنا فغير غُمْض لاننْثَنى لِذُعْر ولا نَتَنَكَّر لدَهْر رِماحُنا طِوال وأعْمَارنا قصــار قال كسرى أنْفُسٌ عَزيزة وأمّةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأنّى يكون لضعيفٍ عِزّة أو لصغيرٍ مِرّة قال كسرى لو قَصُرَ عُمْرُك لم تَسْتَوْلِ على لِسَانك نَفْسُك قال الحارث أيهــا الملك ان الفارس اذا حَمَل نَفْسَه على الكَتِيبة مُغَرّرا بنفسه على الموت فهى مَنِيّة اسْتَقْبَلَها وجِنَانٌ اســتَدْبَرَها والعَرَب تَعْلَم أنى أبْعَث الحرب قُدُما وأحبِسها وهى تَصَرَّفُ بها حتى اذا جاشَتْ نَارُها وسَعَرَتْ لَظَاها وكَشَفَتْ عن ساقِها جَعَلْتُ مَقَادَها رُمْحِى وبَرْقَها سَيْفى ورَعْدَها زَئِيرِى ولم أقَصّر عن خَوْض خَضْخَاضِها حتى أنْغَمِس فى غَمَرَات لُجَجِها وأكُونُ فُلْكًا لِفُرسَانِى الى بُحبُوحة كَبْشِها فأسْتَمْطِرُها دَمًا وأتْرُكُ حُمَاتَها جَزَرَ السِّبَاعِ وكُلّ نَسْرٍ قَشْعَم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هُوَ قالوا فَعالُهُ أنْطَق مِن لِسَـانِه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وَفْدًا أحْشَد ولا شُهُودا أوْفَد

ثم قام عمرو بن الشَرِيد السُّلَمِي فقال أيها الملك نَعِم بَالُك ودَامَ في السرور حَالُك انَّ عَاقبة الكلام مُتَدَبَّرة وأشْكال الامور مُعْتَبَرة وفي كثيرٍ ثِقْلة وفي قليل بُلْغة وفي المُلُوك سَوْرَة العزّ وهذا مَنْطِقٌ له مابَعْده شَرُف فيه مَنْ شَرُف وخَمَل فيه من خَمَل لَمْ نَأتِ لِضَيْمك ولم نَفِدْ لسُخْطك ولم نَتَعرّض لِرِفْدك انَّ في أموالِنَا مُنْتَقَدا وعلى عِزِّنا مُعْتَمَدا إن أوْرَيْنَا نارا أثْقَبْنَا وإن أوِدَ دَهْرٌ بِنَا اعْتَدَلْنَا إلا أنَّا مع هذا لِجِوارِك حافظون ولِمَن رَامَك كافُون حتى يُحْمَدَ الصَّدَر ويُسْتَطَاب الخَبَر قال كسرى مايقوم قَصْدُ مَنْطقك بِافراطك ولا مَدْحُك بِذمّك قال عمرو كَفَى بقليل قَصْدِي هَادِيا وبأيْسر إفراطي مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَن غَرَبَتْ نَفْسُه عمّا يَعْلَم ورَضِيَ من القَصْد بما بَلَغ قال كسرى ما كُلّ مايَعرِف المرء يَنْطِق به اجلس

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال أحْضَرَ اللهُ المَلِك إسعادا وأرْشَده إرْشادا إن لِكُلّ مَنْطِقٍ فُرْصَة ولِكُلّ حاجة غُصّة وعِيُّ المَنْطق أشَدّ من عِيِّ السُكُوت وعِثار القَوْل أنْكأ مِن عِثار الوَعْث وما فُرْصة المَنْطق عندنا إلا بما نَهْوَى وغُصَّة المَنْطق بما لا نَهْوَى غيرُ مُسْتَسَاغة وتَرْكِي ماأعلَم مِن نَفْسي ويُعْلَمُ مِن سَمْعِي أنّني له مُطِيق أحَبُّ إليّ من تَكَلُّفِي ماأتَخَوَّف ويُتَخَوَّف مِنّي وقد أوْفَدَنا اليك مَلِكُنا النُعْمان وهو لك مِن خَيْر الأعْوان ونِعْمَ حامِل المَعْروف والاحسان أنْفُسنا بالطاعة لَكَ باخعة

ورقابُنا بالنَصيحة خاضعة وأيْدِينا لكَ بالوَفاء رَهِينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعَقْل وسَمَرْتَ بفضل وعَلَوْت بنُبْل

ثم قام عَلْقمة بن عُلاثة العامرى فقال نَهَجَت لك سُـبُل الرَشاد وخَضَعَت لك رِقابُ العباد انّ للاَقاوِيل مَناهِج وللآراء موَالِج ولِلعَوِيص مَخارِج وخَير القَول أصْدَقه وأفْضَل الطَلَب أنْجَحُه إنّا وان كانت المَحَبَّة أحْضَرَتْنا والوِفادة قَرَّبَتْنا فليس من حَضَرَكَ منّا بأفْضَل مّمن عَزَب عنك بَل لَوْ قِسْتَ كُلّ رجل منهم وعَلِمْتَ منهم ماعَلِمْنا لَوَجَدْتَ له فى آبائه دُنْيا أنْدادا وأكْفاء كُلُّهم الى الفَضْـل مَنْسوب وبالشَرَف والسُودَد مَوْصوف وبالرّأى الفاضل والأدَب النافذ معروف يَحْمِى حِماه ويُرْوِى نَداماه ويَذُود أعْدَاه لا تَخْمُدُ ناره ولا يَحْتَرِز منه جارُه أيّها الملك مَن يَبُلُ العَرَب يَعرِف فَضْلَهم فاصْطَنِع العرب فانها الجِبال الرَواسى عِزّا والبُحور الزَوَاخِر طَمْيا والنُجوم الزَوَاهِر شَرَفا والحَصَى عَدَدا فانْ تَعْرِف لهم فَضْلَهم يُعزّوك وان تَسْـتَصْرِخْهُم لايَخْذُلُوك قال كسرى وخَشِى أن يأتىَ منـه كَلَام يَحْمِله على السُخْط عليه حَسْبُك أبْلَغْتَ وأحْسَنْتَ

ثم قام قَيس بن مسـعود الشَيْبَانى فقال أطابَ اللهُ بك المَرَاشِـد وجَنَّبَك المَصائب ووَقاك مَكْرُوهَ الشَصَائب ماأحَقَّنا إذْ أتَيْناك باسْماعك مالا يُحْنِق صَـدْرَك ولا يَزْرَع لَنا حِقْدا فى قَلْبك لم نَقْـدَم أيُّها الملِك لمُساماة ولم نَنْتَسِب لمُعاداة ولكن لتَعْـلَم أنت ورَعِيّتُـك ومَن حَضَرك

مِن وُفُود الأمَم أنّا فى المَنْطِق غَـيرُ مُحْجِمين وفى النـاس غير مُقَصّرين ان جُورِينا فغير مَسْبُوقِين وان سُومِينا فغير مَغْلُوبِين قال كسرى غَيْرَ أنّكم اذا عاهَدْتُم غيرُ وافِين وهو يُعَرِّض به فى تركه الوفَاء بضَمانِهِ السَوَاد قال قيس أيهـا الملك ما كُنْتُ فى ذلك إلّا كَوافٍ غُدِرَ به أو نَخـافر اُخْفِرَ بِذِمّتِه قال كسرى ما يكون لِضَعِيفٍ ضَمان ولا لذَلِيلٍ خِفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فِيما أُخْفِرَ مِن ذِمّتِي أحَقّ بِالزامِي العارَ مِنْك فيما قُتِلَ مِن رَعِيّتك وانْتُهِكَ مِن حُرْمتك قال كسرى ذلك لِان مَن أُتُمِنَ الخـانَة واسْتُنْجِد الأثَمَة نالَهُ من الخَطَأ ما نالَنِي وليس كلّ الناس سَواء كيف رأيتَ حاجِبَ بن زُرارة لَمْ يُحكِم قُواهُ فَيُبْرِم ويَعْهَد فيُوفِي ويَعِدُ فيَنْجز قال وما أحَقّه بذلك وما رأيْتُهُ إلّا لِي قال كسرى القَوْمُ بُزُلٌ فأفْضَلُها أشدها

ثم قام عامر بن الطُفَيل العامرى فقـال كَثُرَ فنُونُ المَنْطِق وليس القول أعْمَى من حِنْدِس الظَلْماء وانما الفَخْر فى الفِعَال والعجْز فى النَجْدَة والسُؤدَد مُطاوعةُ القُدْرة وما أعْلَمَك بقَدْرنا وأبْصَرَك بفَضْلنا وبالحَرَا إن أدالَتْ الأيّام وثابَتْ الاحْلام أن تُحْـدِث لنا أمُورا لهـا أعْلام قال كسرى وماتلك الأعلام قال مُجْتَمَع الأحْياء من ربيعةَ ومُضَر على أمر يُذْكَر قال كسرى وما الأمْرُ الذى يُذْكَر قال مالى علم بأكثر ممـا خَبّرنى به مُخَـبِر قال كسرى مَتَى تكاهَنْتَ يابن الطفيـل قال لستُ بكاهن ولكنّى بالرُمْح طاعِن قال كسرى فان أتاك آتٍ مِن جِهَة عَيْنك العَوْراء

ماأنْتَ صانع قال ماهَيْبَتِي فى قفاىَ بِدُون هَيْبَتِي فى وَجْهِى وما أذْهَب عَيْنِي عَيْث ولكن مُطاوَعةُ العَبَث

ثم قام عمرو بن مَعْديكَربَ الزبيدى فقال انمـا المَرْء بأصْغَرَيْه قَلْبِـه ولِسانِه فَبلاغ المَنْطِق الصَواب ومِلاك النَجْدة الارْتِياد وعَفْو الرَّأى خيرٌ من اسْـتِكْرَاه الفِكْرة وتَوْقِيف الخِبْرة خَيْر من اعْتِساف الحَيْرة فاجْتَبِـذْ طاعَتَنا بلَفْظك واكْتَظِم بادِرَتَنا بحِلْمك وألِنْ لنا كَنَفَك يَسْلَس لَكَ قِيادنا فانّا أناس لم يُوَقِّس صَفَاتَنا قِراعُ مَناقِيرِ مَن أرادَ لنا قَضْما ولكن مَنَعْنا حِمانا مِن كُلّ مَن رامَ لَنا هَضْما

ثم قام الحـارث بن ظالم المُرّى فقال انّ من آفة المَنْطِق الكَذِب ومِن لُؤْم الاَخْلاق المَلَق ومِن خَطَل الرَّأى خِفّة المَلِك المُسَلَّط فإن أعْلَمْناك أنّ مُواجَهَتَنا لكَ عن ائْتِلاف وانْقِيادنا لك عن تَصاف ماأنْتَ لِقَبول ذلك مِنّا بِخَلِيق ولا للاعتماد عليـه بحَقِيق ولكن الوَفاء بالعُهُود وإحكام ولْث العُقُود والأمْرُ بَيْنَنا وبَيْنَك مُعْتَدِل ما لم يَأْت مِن قِبَلِك مَيْل أو زَلَل قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال انّ فى أسماء آبائِك لَدَليلا على قِلّة وَفائِك وأن تكون أوْلَى بالغَدْر وأقْرَبَ من الوِزْر قال الحارث ان فى الحَقّ مَغْضَـبَة والسَرْوُ التَغافُل ولَنْ يَسْتَوجب أحَدٌ الحِلْم الّا مَعَ القُدْرة فَلْتُشْـبِهْ أفعالُك مَجْلسَك قال كسرى هذا فَتَى القوم ثم قال كسرى قد فهِمْتُ مانَطَقَت به خُطَباؤكم وتَفَنّن فيه مُتَكَلّموكم

ولولا أنِّي أعْلَمُ أنَّ الأدَب لَمْ يُثقّف أوَدَكُمْ ولَمْ يُحكم أمْرَكم وأنّه ليس لكم مَلك يَجْمَعُكم فتنْطقون عنده منْطق الرَّعِيّة الخاضـعة الباخعة فنطقْتُم بمـا اسْتَوْلَى على ألْسنَتِكم وغَلَب على طِباعِكم لَمْ أُجْزِلكم كثيرا مما تكَلَّمْتُمْ به وانِّي لأكْرَه أن أجْبَـه وفُودِى أو أخْنِق صُـدُورَهم والذى أحبّ من إصلاح مُدَبّرِكُمْ وتألُّف شَوَاذِّكم والاِعْذار الى الله فيما بَيْنِي وبَيْنَكم وقد قَبِلْت ما كان فى منْطِقِكم من صَوَاب وصَـفَحْت عمّـا كان فيه من خَلَل فانْصَرِفوا الى مَلِكِكم فأحْسِـنوا مُوازَرَتَه والتزموا طَاعَتـه وارْدَعوا سُفَهاءَكم وأقيمُوا أوَدَهُمْ وأحْسنوا أدبَهم فان فى ذلك صَـلاحَ العامّة

قصيدة السموءل فى الفخر

اذا المَرْء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضُه ... فكُلُّ رداء يرتديه جَميـــلُ
وان هو لم يَحْمل على النفس ضَيْمَها ... فليس الى حُسْـــن الثناء سبيل
تعـيِّرنا أنّا قليـــل عَـــدِيدنا ... فقلت لها ان الكرامَ قليـــل
وما قَـل مَن كانت بَقَايَاه مثْلَنا ... شَـبَابٌ تَسَـامَى للعُـلى وكُهُول
وما ضَـــرَّنا أنّا قَلِيـــل وجَارُنا ... عَـــزيز وجَار الاكْثرين ذَلِيـــل
لنَـا جَبَـــلٌ يَحْتَـــلُّه مَن نُجِيره ... مَنيع يرُدّ الطَـرْف وهو كليـــل
رَسَا أصْلُه تحتَ الثرَى وسَمَـا بِهِ ... الى النَجْـم فرع لايُنَـال طوِيل
هو الاَبْلَق الفَرْد الذى شاع ذِكْرُه ... يَعَـــزّ على مَن رَامَه ويَطُول

وإنّا لَقَوْم لانَرَى القَتْـل سُـــبّةً اذا مارأتْه عامِرٌ وسَـــــلُول
يُقَـرّب حُبُّ الموتِ آجالَنَا لَنَـا وتَـكْرَهُــه آجالُهُــم فتَطُول
وما مات منّا سَــيِّدٌ حَتْفَ أنفِـه ولاطُلّ يوما حيث كان قتِيـــل
تَسِيل على حَدّ الظُبَات نُفُوسُــنا ولَيْست على غَيرِ الظُّبَات تسِـيل
صَــفَوْنا ولم نَـكْدَرْ وأخْلَص سِرّنا إناثٌ أطَـابتْ حَمْلَنـا وفُحُـــول
عَلَوْنا الى خَـــيْر الظُّهور وحَطّنا لِوَقْتٍ الى خَيْر البُطُون نُزُول
فنَحن كَماء المُزْن مافى نِصَـابنا كَهَامٌ ولا فِينـا يُعَــدّ بَخِيـــل
ونُنْكِر إنْ شِئْنا على الناس قَوْلَهم ولا يُنْكِرون القولَ حين نَقُول
اذا سَيّد منّـا خلا قام سَــيّدٌ قَؤول لِمَـا قال الـكِرَام فَعُـــول
وما أُخْمِدَتْ نارٌ لَنَـا دُونَ طَارِقٍ ولا ذَمّنـا فى النـازِلِين نَزِيل
وأيّامُنا مَشْــهُورة فى عَــدُوّنَا لهـا غُـــرَر مَعْـــلُومَةٌ وحُجُول
وأسْـــيَافُنا فى كل شَرْق ومَغْرِب بهـا مِنْ قِراع الدّارِعِين فُلُول
مُعَوّدَةٌ أنْ لاتُسَــلّ نِصالُهَـا فتَغْـــمَد حتى يُسْتَبَاحَ قَتِيـــل
سَلِي إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنّا وعَنْهُمُ فلَيْس سَـــواءً عالم وجَهُـــول
فانّ بَنِى الدّيَّان قُطْبٌ لقَومهم تَدُور رَحَاهُـــم حَوْلَهُــم وتَجُولُ

خطبة قس بن ساعدة الايادى جاهلى

يأيّها الناس اسمَعُوا وَعُوا واذا وَعَيتم شــيْأ فانتفعوا انه مَن عاش مات ومَن مات فَاتَ وكُلُّ ماهُوَآت آت مَطَــرٌ ونبَـات وأرزَاق

واقوات وآباءٌ وأمّهات وأحياء وأموات جَمْع وأشْتَات وآياتٌ بَعْدَ آيات انّ في السماء لخبرا وانّ في الارض لعبرا لَيْلٌ دَاج وسَمَاءٌ ذاتُ أبْرَاج وأرضٌ ذات فِجَاج وبِحَار ذَاتُ أمْواج مالِي أرَى الناس يَذْهبون ولا يَرْجعون أرَضُوا بالمُقَام فَأقَامُوا أمْ تُرِكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا أقسم قُسٌّ قسما حقّا لاحَانِثاً فيه ولا آثِمًا انّ لله دِيناً هو أحَبُّ اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونَبِيًّا قَدْ حَانَ حِينُه وأظَلَّكُمْ أوَانُه وأدْرَكَكُمْ إبَّانُه فطُوبَى لمن أدْرَكَه فَآمَنَ به وهَدَاه وَوَيْلٌ لِمن خَالَفه وعَصَاه ثم قال

تَبًّا لأرْباب الغَفْلة والأمَم الخالِيــة والقُرُون المـاضِية يامَعْشَر إيَادٍ أيْنَ الآباءُ والاجْداد وأيْنَ المَرِيضُ والعُوَّاد وأين الفَرَاعنــة الشّــداد أيْنَ مَن بَنَى وشَيَّد وزَخْرَفَ ونَجَّد أين المال والوَلَد أين من بَغَى وطَغَى وجَمَــعَ فأوْعَى وقال أنَا رَبّكُم الأعْلَى ألم يَكُونوا أكْثرَ منكم أمْوَالًا واطوَل منكم آجَالًا طَحَنَهم الثّرَى بكَلْكَله ومَزَّقَهـــم بطُوله فَتِلْكَ عِظَامهم بَالِيَة وبُيُوتُهم خَالِيــة عَمَرَتْها الذِئابُ العَاوِية كَلّاَ بَلْ هو اللهُ الواحِد المَعْبُود ليس بوَالِدٍ ولا مَوْلُود ثم أنشأ يقول

فى الذاهبين الأوّلِيــ ـنَ مِنَ القُرُون لَنَا بَصَـائِرْ
لَمّـا رَأيْتُ مَــوَارِدًا لِلْموتِ ليس لهـا مَصَادِرْ
ورأيتُ قَــوْمِى نَحْوَهـا يَمْضِى الأصَاغِر والاكَابِرْ
لايَرْجِـع المـاضى اِلَيــ ـىّ ولا من الباقين غَابِرْ
أيْقَنْتُ أنّى لا محَـا لَةَ حيثُ صَارَ القَوْم صَائِرْ

وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دَفَنَتْه
قامت على قبره وقالت

والله يابُنَىّ لقد غَذَوْتُك رَضيعا وفَقَـدْتُك سريعا وكأنّه لم يكن بين الحالَين مُدّة ألتذّ بعَيْشك فيها فأصبحتَ بعدَ النضَارة والغضَارة ورَوْنَق الحَيَـاة والتَنَسّم فى طِيب رَوائحها تحتَ أطْبَاق الثَرَى جَســدا هامدا ورُفَاتًا سحِيقا وصَعيدا جُرُزًا أىْ بُنَىّ لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذْيَالَ الفَنا وأسْكَنَتْك دَارَ البِلَى ورمَتْنِى بعْدَك نَكْبَةُ الرَدَى أى بُنَىّ لقد أسْفَرَ لى عن وجه الدُنْيَا صَبَاحٌ دَاجٍ ظَلَامه . ثم قالت

أىّ رَبِّ ومنك العَــدْلُ ومن خَلْقك الجَوْر وهَبْتَه لى قُرّة عين فلَمْ تُمَـتِعْنِى به كَثيرا بَلْ سَلَبْتَنِيه وَشيكا ثُمّ أمَرْتَنِى بالصَبْر ووعَدْتَنِى عليــه الأجْر فَصَــدَّقْتُ وَعْدَكَ ورَضِيتُ قَضَاءَكَ فرَحِمَ اللهُ مَنْ تَرَاحَمَ على مَن اسْتَوْدَعْتُه الرَدْم ووَسَّدْتُه الثَرَى اللهم ارحمْ غُرْبَتَه وآنِس وحْشَتَه واسْتُرْ عوْرَتَه يوم تُكْشَف الهنَات والسوْآت

فلما أرادت الرجوعَ الى أهلها قالت

أىْ بُنَىّ إنّى قد تَزَوّدْتُ لِسَفَرِى فَلَيْتَ شِعْرِى مَازَادُكَ لبُعْد طَرِيقك ويَوْم مَعَادِك اللهم إنّى أسْألُكَ له الرِضى بِرِضَائِى عنه . ثم قالت

اسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ اسْــتَوْدَعَكَ فى أحْشَائِى جَنِينا وأثْكَلَ الوَالِدات ماأمضّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنّ وأقْلَقَ مَضَاجِعَهُنّ وأطْوَلَ لَيْلَهُن وأقْصَر

نهـارهن وأقل أنسهن وأشـــد وحشـتهن وأبعـدهن من السرور وأقربهن من الأحزان

وقالت الجمانة بنت قيس بن زهير تنصح جدها الربيع بن زياد

ان كان قيس أبي فانك يا ربيع جدي وما يجب له من حق الأبوة علي الا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي والرأي الصحيح تبعثه العنـاية وتجلي عن محضـه النصيحة انك قد ظلمت قيساً بأخذ درعه وأجد مكافأته إياك سوء عزمه والمعارض منتصر والبادي أظلم وليس قيس ممن يخوف بالوعيـد ولا يردعه التهـديد فلا تركنن الى منابذته فالحزم في متاركتـه والحرب متلفة للعباد ذهابة بالطارف والتـلاد والسلم أرخى للبال وأبقى لأنفس الرجال وبحق أقول لقد صـدعت بحكم وما يدفع قولي الا غير ذي فهم ثم أنشأت تقول

أبي لا يرى أن يترك الدهر درعه وجدي يرى أن يأخذ الدرع من أبي
فرأي أبي رأي البخيـــل بماله وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم

يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبـع الجائـع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم طي فقال لهـا

النبيُّ صلى الله عليه وسلم ياجاريةُ هــذه صِفَةُ المُــؤْمِن لو كان أبوكِ إسْلامِيّا لترحَّمْنا عليه خَلُّوا عَنْها فان أبَاها كان يُحِبُّ مَكَارِمَ الاَخْلاق

وقال زهير بن ابى سلمى من معلقته المشهورة

وأعْلَمُ عِلْمَ اليَـوم والاَمْسِ قَبْــلَه ... ولكــنَّنِي عن عِلْم مافى غَدٍ عَمى
رَأيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْه ومَنْ تُخْطِئْ يُعمَرْ فَيهْــرَمِ
ومَن لايُصَانِـعْ فى أمورٍ كثـيرة ... يُضَــرَّس بِأنْياب ويُوطَأْ بِمَنْسِمِ
ومَن يجْعَلِ المَعْروفَ مِن دُون عِرْضِه ... يَفِرْهُ ومن لايَتَّق الشَّـتْمَ يُشْتَمِ
ومَن يَكُ ذا فَضْل فَيبْخَلْ بفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِه يُسْتَغْنَ عَنـه ويُذْمَمِ
ومَن يُوفِ لايُذْمَمْ ومَن يُهْـدِ قَلْبَه ... الى مُطْمَئِنّ البِـرِّ لايَتَجَمْجَمِ
ومَن هَابَ أسْبَابَ المَنَايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسْبَابَ السَماءِ بِسُلَّمِ
ومن يجعل المعروف فى غير أهله ... يَكُنْ حَمْدُه ذَمّا عليــه ويَنْدَمِ
ومَن يَعْصِ أطْـرَافَ الزِّجَاجِ فَانَّه ... يُطِيـعُ العَوَالِى رُكّبَتْ كُلّ لَهْــذَمِ
ومَن لم يَذُدْ عَن حَوْضِه بسلاَحه ... يهَــدَّم ومن لايَظْلِم النَـاسَ يُظْلَمِ
ومَن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوّا صَدِيقَه ... ومن لايُكَــرِّم نَفْسَــه لا يُكَرَّمِ
ومَهْمَا تكُنْ عند امْرِئٍ من خَلِيقةٍ ... وان خَالَهَا تَخْفَى على النَاس تُعْـلَمِ
وكائِنْ تَرَى مِنْ صَامتٍ لَكَ مُعْجِب ... زِيادَتُه أو نَقْصُــه فى التَــكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُه ... فلَمْ يبْـقَ الاّصُــورةُ اللَّحْمِ والدَمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلى)

خرج أبو سُــفْيان فى جماعة من قريش يريدون العِراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جَمَعَهم أبو سفيان فقال لهم انّا مِن مَسيرنا هــذا لَعَلَى خَطَر مَاقُدُومُنا على مَلك جَبّار لَمْ يَأذَن لَنَا فى القدوم عليــه ولَيْسَتْ بلادُه لَنَا بِمَتْجَر ولكن أيّكُمْ يَذْهَبُ بالعِيرِ فان أُصِيبَ فَنَحْن بَرَاءٌ مِنْ دَمِهِ وان غَنِم فله نِصْفُ الرِّبْح فقال غَيْلاَن بن سلمة دَعُونِى اذًا فَأنَا لَهَــا فلمّا قَدِم بلادَ كسرى تَخَلّق ولبِس ثَوْبَيْنِ أَصْــفَرَيْن وشَهَرَ أمْرَه وجَلَسَ بباب كسرى حتَّى أذِن له فَدخَل عليه وبَيْنَهُمَا شُبّاك من ذَهَب فخرج اليه التَرْجُمان وقال له يقول لك المَلك ماأدْخَلَكَ بِلَادِى بغَير إذْنِى فقال قُلْ له لَسْتُ من أهْل عَدَاوَةٍ لَكَ ولا أَتَيْتُك جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِنأَضْدَادك وانّما جِئْتُ بِتِجارَةٍ تَسْتَمْتع بهــا فان أرَدْتَهَا فَهِىَ لَكَ وإِن لم تُرِدْهــا وأذِنْتَ فى بَيْعِها لِرَعِيَّتك بِعْتُها وان لم تَأذَنْ فى ذلك رَدَدْتُها قال فانّه ليَتَكَلَّم اذْ سَمِــع صَوْتَ كِسْرَىفَسَجَدَ فَقَالَ له الترجمان يَقُوللك الملك لِمَسَجَدْتَ فقال سَمِعْتُ صَوْتًا عالِيًا حَيْثُ لايَنْبَغِى لِاَحَد أنْ يَعْلُوصَوْتُه إجْلالا للملك فَعلِمْتُ أنّه لم يُقْدِم علىرَفْع الصوت هناك غَيْرُالمَلك فسجدت إعظاما له قال فاسْتَحْســَن كسرى مافَعَل وامَرَ له بِمِرْفَقَة تُوضَع تَحْتَــه فَلَمّا أُتِى بها رَأَى عليها صوزةَ المَلك فَوَضَــعَها على رَأســـه فاسْــتَجْهَلَه كسرى واسْتَحْمَقه وقال للتَرْجُمان قُلْ له انّمــا بَعَثْنا بهذه لتَجْلِسَ عَلَيْها قال قد

عَلِمْتُ ولكنّي لمّا أُتِيتُ بها رَأَيْتُ عليها صورة المَلِك فلم يَكُنْ حَقّ صُورَتِه على مِثْلِي أنْ يَجْلِس عليها ولكن كان حَقُّها التعظيم فوضَعْتُها على رأسي لأنّه أشْرَف أعْضَائِي وأكْرَمُها عَلَيّ فاسْــتَحْسَنَ فِعْــلَه جِدّا ثم قال له أَلَكَ وَلَدٌ قال نعم قال فأيُّهُــمْ أَحَبُّ اليْك قال الصَّــغِير حتى يَكْبَرَ والمَرِيض حتى يَبْرَأ والغائب حتى يَؤُوبَ فقال كسرى زِهْ ماأدْخَلَكَ عليّ ودَلّك على هَذَا القَوْل والفِعْلِ إلّا حَظّك فهــذا فِعْــل الحُكَماء وكلامُهُم وأنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لاحِكْمَة فيهم فما غِذَاؤك قال خُبْزُ البُرّ قال هــذا العَقْل من البُرّ لا مِن اللّبَن والتَمْر ثم اشْــتَرَى منه التِّجارة بأضْعاف ثَمَنها وكَسَاه وبَعَث مَعَه مِن الفُرْس مَنْ بَنَى له أُطُمًا بالطائف فكان أوّل أُطُم بُنِيَ بِهَا

صورة كتاب أرسله الاسكندر الى شيخه الحكيم أرسْطُو

يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلى)

عليك أيُّها الحكيم مِنّا السـلام أما بعد فان الافلاك الدائِرة والعِلَل السَّمَاوِيّة وان كانت أسْعَدَتْنا بالأُمور التي أصبح الناس لنا بها دائنين فانّا جِدُّ واجِدِينَ لِمَسّ الاضــطرار الى حِكْمَتِك غَيْرُ جاحِدِين لفَضْــلك والاقْرار بمَنْزِلتك والاستِنامة الى مَشُورتِك والاقتداء برأيك والاعتِماد لأمْرِك وفَهْمك لِمـا بَلَوْنا مِن إجْداء ذلك عَلَيْنا وذُقْنا مِن جَنَى مَنْفَعَته

حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسّخه فى أذهاننا كالغذاء لنا فما ننفكّ نعوّل عليه ونستمدّ منه استمداد الجداول من البحور وتعويل الفروع على الاصول وقوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سيق إلينا من النصر والفلج وأتيح لنا من الظفر والقهر وبلغنا فى العدوّ من النكاية والبطش ما يعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان من ذلك انْ جاوزنا أرض سورية والجزيرة الى بابل وأرض فارس فلما حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم لم يكن إلّا ريثما تلقّانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا وطلباً للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلّة ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمةً أجسامهم واحلامهم حاضرةً ألبابهم وأذهانهم رائعــةً مناظرهم ومناطقهم دليـلا على أن مايظهر من روائهم ومنطقهم وراءهُ من قوة أيديهــم وشــدة نجدتهم وبأسهم مالا يكون معه لنا سبيل الى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم لولا أن القضاء أدالنا منهم وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم ولم نر بعيدا من الرأى فى أمرهم أنْ نستأصل شأفتهم ونجتثّ أصلهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك الى الأمن من جرائرهم وبوائقهم فرأينا أن لانعجل باسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليه بمشورتك فارفع الينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك وتقليبك إيّاه بجلىّ نظرك والسلام لاهل السلام فليكن علينا وعليك

اجابة الحكيم ارسطو الى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لِكُلّ تُرْبة لامحالة قسما من الفَضائل وانّ لفارِس قِسْمَها من النَجْدة والقُوّة وانّك إنْ تَقْتُل أشْرافَهُم تُخَلّف الوُضَعاء على أعقابهم وتُورِثْ سِفْلَتَهم منازِلَ عِلْيَتِهم وتُغَلّب أدنياءهم على مراتب ذوى أخْطارهم ولم يُبْتَل المُلُوك قَطّ ببَلاء هو أعْظم عليهم وأشَدّ تَوهينا لِسُلْطانهم مِن غَلَبة السِفْلة وذُلّ الوُجُوه فاحذر الحَذَر كُلّه أنْ تمكّن تِلكَ الطَبَقَةَ مِن الغَلَبة والحَرَكة فانّهم إنْ نَجَم مِنهم بَعْد اليَوْمِ على جُنْدك وأهْل بلادك ناجِمٌ دَهَمَهُم منه مالا رَوِيّةَ فيه ولا بَقِيّة مَعَه فانْصرِف عن هذا الرأى الى غيره واعْمِد الى مَن قِبلَك مِن أولِئك العُظَماء والاحرار فوَزّعْ بينهم مَمْلَكتَهُمْ وألْزِمْ اسمَ المَلِكِ كُلّ مَن وَلّيْتَهُ منهم واعقِد التاجَ على رأسه وان صَغُرَ مُلْكُه فان المُتَسَمّى بالمَلِكِ لازِمٌ لاسْمِه والمَعْقُود التاج على رأسه لايَخْضَع لِغَيره فليس يَنْشَب ذلك أنْ يُوقِع كُلُّ مَلِكٍ منهم بَيْنَه وبَيْنَ صاحبه تَدابُرا وتَقاطُعا وتَغالُبا على المُلْك وتَفاخُرا بالمال والجُنْد حتى يَنْسَوْا بذلك أضْغانَهم عَلَيك وأَوْتارَهُم فيك ويَعُودَ حَرْبُهم لك حَرْبا بَيْنَهم وحَنَقُهم عَلَيك حَنَقا منهم على أنْفُسهم ثم لايَزْدادُون فى ذلك بَصيرةً إلّا أحْدَثوا لك بها استِقامة إنْ دَنَوْت منهم دَنَوْا لك وإنْ نَأَيْت عنهم تعزَّزُوا بِكَ حتى يَثِبَ مَن مَلَك منهم على جاره باسْمك ويَسْتَرْهِبَه بجُنْدك وفى ذلك شاغِلٌ لَهُمْ عَنْك وأمانٌ لِإحْداثِهم بعْدَك وإنْ كان لاأمانَ

للدّهر ولا ثِقَـةَ بالايام وقد أدّيتُ الى المَلك ما رأيتُه لِى حَظًّا وعلىّ حَقًّا مِن إجابَتِى إيّاه الى ماسأَلَنِى عنه ومَحَضْتُه النَصيحة فيه والمَلِكُ أعْلى عَيْنًا وأنْفَذُ رَوِيّةً وأفضَـل رَأيًا وأبعَدهمّة فيما استَعان بِى عليه وكَلّفَنى تَبْيِنَه والمَشُورَة عَلَيه فِيه لازالَ المَلك مُتعرِفًا مِن عَوائد النِعَم وعواقِب الصُنْع وتوطِيد المُلْك وتنفيس الأجَل ودَرْك الأمَل ما تأتِى فيه قُدْرته على غاية أقْصَى ماتناله قُدْرة البَشَر والسلام الذى لاانقِضاء له ولا انتِهاء ولا غَاية ولا فَناء فليكن على الملك

انَ غَدًا لنَاظره قَريب

أى لمنتظِره يقـال نظـرته أى انْتَظَرْته وأول من قال ذلك قُرَاد ابن أجْدَع وذلك أن النعمان بن المُنْذِر خرج يتصيَّد على فَرَسه اليَحْموم فأجراه على إثْرِ عَيْرٍ فذهب به الفَرَس فى الارض ولم يقدِر عليه وانْفَرَد عن أصحابه وأخَذَتْه السماءُ فَطَلَب مَلْجَأ يَلْجَأ اليه فَدَفع الى بِناءٍ فاذا فيه رَجُلٌ مِن طَيّءٍ يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له فقال لهما هَلْ مِن مَأْوَى فقال حنظلة نَعَمْ فَخرج اليه فأنْزَلَه ولم يكُن للطّائِى غَيْرُ شاةٍ وهو لايعَرِف النُعْمان فقال لامرأته أرَى رَجُلًا ذا هيئة وما أخْلَقَه أن يكون شرِيفا خَطيرا فَمَا الحِيلة قالت عندى شئ من طَحين كنتُ ادَّخَرْتُه فاذْبَح الشاةَ لأتَّخذ من الطَّحين مَلّة قال فأخْرجت المَرْأة الدَّقيق فَخَبَزَتْ منه مَلَّةً وقام الطائِىّ الى شاته فاحْتَلَبَها ثم ذَبَحَهَا فاتَّخذ من لحمها مَرَقة مَضِيرة وأطْعَمَه

من لَحْمِها وسقاه مِن لَبَنِها واحْتَالَ له شَرَابًا فسقاه وجَعَل يُحَدِّثه بَقِيَّة لَيْلَتِه فَلَمَّـا أصْبَحَ النعمان لبس ثِيَـابَه ورَكِب فَرَسه ثم قال ياأخا طَيِّئ اطلُبْ ثَوَابك أنَا المَلِك النُعمان قال أفْعَلُ ان شاء الله ثم لِحق الخيلَ فمضى نحو الحِيرة ومكث الطائى بعـد ذلك زمانا حتى أصابته نَكْبَـةٌ وجَهْدٌ وساءت حَالُه فقالت له امرأته لو أتَيْتَ المَلِك لأحسن اليـك فأقبـل حتى انتهى الىَ الحِيرة فوافق يومَ بُؤس النعمان فاذا هو واقف فى خَيْله فى السلاح فلما نظر اليه النعمان عَرَفه وساءه مَكَانُه فوقَفَ الطائى المَنْزُول به بين يَدَى النعمان فقال له أنت الطائى المنزول به قال نعم قال أفلاَ جئتَ فى غير هذا اليوم قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما كان علْمى بهذا اليوم قال والله لوسنح لى فى هـذا اليوم قَابُوس إِبنى لَمْ أجِدْ بُدًّا مِن قَتْله فاطْلُبْ حاجَتَك من الدنيـا وسل مابَدَالك فانك مَقْتُول قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما أصْنَع بالدُّنيا بعد نَفْسِي قال النعمان انّه لاسبِيلَ اليها قال فان كان لابُدَّ فَأجِّلْنِي حتى أُلِمَّ بأهْلِي فَأوصِى اليهم وأهَيِّء حَالَهُمْ ثم أنصَرِف اليك قال النعمان فأقمْ لى كَفِيلا بمُوَافَاتِك فالتَفَتَ الطـائى الى شَرِيك بن عمرو بن قيس من بنى شَيْبَان وكان يُكْنَى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحبَ الرِّدافَة وهو واقف بجَنْب النعمان فقال له

يا شريكا يابنَ عمرو هل مِنَ الموت مَحَالَهْ
ياأخا كل مُضـاف يا أخَا مَن لا أخَالَهْ

يا أخا النعمان فُكَّ الْ يَوْمَ ضَيفا قد أتى لَهْ
طَالَمَا عَالَجَ كَرْب الْ مَوْت لا يُنْــعِم بَالَهْ

فَأبى شَريك أن يَتَكَفَّل به فَوَثَبَ اليه رجل من كَلْب يقال له قُرَادُ ابن أجْدَع فقــال للنعمان أبيْتَ اللَّعن هو عَلَىّ قال النعمان أفَعَلْتَ قال نَعَمْ فَضَمَّنَهُ إيَّاه ثم أمَرَ للطائى بخمسمائة ناقةٍ فَمَضَى الطائى الى أهله وجَعَلَ الأجَل حَوْلا مِن يَوْمِه ذلك الى مثْــل ذلك اليوم مِن قابِل فلمّا حَالَ عليــه الحول وبقى من الاَجَل يَوْمٌ قال النعمان لقُرَاد ما أراك الّا هَالِكا غَدًا فقال قراد

فان يك صَدْرُ هذا اليوم وَلّى فانّ غَدًا لِنَــاظِرِه قَــرِيب

فلما أصبح النعمان ركبَ فى خَيْله ورَجْله مُتَسَلّحا كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيّيْنِ فَوَقف بَيْنَهما وأخْرَج مَعَــه قُرَادًا وأمَرَ بقتْــله فقال له وُزَرَاؤه ليس لك أن تَقْتله حتى يستوفَى يَوْمه فتركَه وكان النعمان يشتهى أنْ يَقْتَل قُرَادٌ لِيُفْلتَ الطائِى من القَتْل فلما كادت الشمس تجب وقُرَادٌ قائم مُجَرَّد فى إزَار على النطَع والسَّــيَّاف الى جَنْبه أقْبَلَت امرأتُه وهى تقول

أيَا عَيْنُ بَكّى لِى قُرَادَ بْنَ أجْدَعَا رَهِينــا لِقَتْــل لا رَهِينــا مُوَدّعا
أتَتْــه المَنَايَا بَغْتَــةً دُونَ قَوْمه فأمْسَى أسِيرًا حَاضِرَ البَيْت أضْرَعا

فَبَيْنَا هم كَذَلِك إذْ رُفِعَ لهم شَخْصٌ مِن بَعِيــد وقد أمَرَ النُعْمان بقَتْل قُرَاد فقِيل له ليس لك أن تَقْتُلَه حتى يَأتِيَكَ الشَخْصُ فَتَعْــلم مَنْ هو

فَكفّ حتى انْتَهَى إِلَيْهِم الرَّجُل فاذا هو الطّائِيّ فَلَمَّـا نَظَر اليــه النُّعْمان شَقّ عليــه مَجِيئهُ فقال له ماحَمَلَكَ على الرُّجُوع بَعْد إفْلاَتِك من القَتْل قال الوَفَاء قال وما دَعَاك الى الوَفَاء قال دينِي قال النعمان وما دِينُك قال النصرانيــةُ قال النعمان فاعْرِضْها عَلَيّ فَعَرَضَها عليــه فَتَنَصَّر النعمان هو وأَهْلُ الحِيرة أجمعون وكان قبل ذلِك على دِين الجاهلية فَتَرَكَ القَتْل مُنْذُ ذلك اليوم وأَبْطَل تلك السُّنّة وأَمَرَ بهَدْم الْغَرِيَّيْنْ وعَفَا عن قُرَاد والطائيّ وقال والله ماأَدْرِى أيهما أَوْفَى وأَكْرَمُ أَهَذَا الذى نَجَا من القتل فعاد أَمْ الّذى ضَمِنَه والله لاأَكونُ أَلْأَمَ الثلاثة فأنشأ الطائىّ يقول

ما كُنْتُ أُخْلِف ظَنّه بعدالذى   أَسْدَى الىَّ منَ الفَعَال الخَالى
ولقد دَعَتْنِي للخِلاف ضَلاَلَتِي   فأَبَيْتُ غيرَ تَمَجُّدى وفَعَالِى
إِنِّى امرُؤٌ مِنِّي الوَفَاء سجِيَّــة   وجَــزَاء كُلّ مُــكَارِم بَذَّال

وقال أيضا يَمْدَح قُرَادا

الّا انّمــا يَسْمو الى المَجْد والعُلَي   مَخَارِيقُ أَمْثَالُ القُراد بنِ أَجْدَعا
مَخَارِيقُ أَمْثَال القُرَاد وأَهْــلِه   فانهُّــم الاخْيار مِنْ رَهْطِ تُبَّعَا

انتهى هذا هو المشهور والصحيح ان صاحب الغَرِيَّيْنِ ويوم البؤس هو المنذر الاكبر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بمالى أو غيره اذا جعلْته أُسْوَةً لكَ وَوَاسَيْتُ لُغَة فيه ومَعْنَى المَثَل أنّ أخاك حقيقةً من قَدَّمَك وآثرك على نَفْسه يُضرَب

فى الحثّ على مراعاة الاخوان وأوّل مَن قال ذلك خُزَيم بن نَوْفل الهَمْدانِى وذلك أنّ النّعمان بن ثوَاب العَبْدى ثم الشَّنّى كان له بنُون ثلاثة سـعد وسعيد وساعِدة وكان أبُوهم ذا شَرَف وحكْمة وكان يُوصِى بَنِيه ويَحْمِلهُم عَلَى ادَبِه أمّا ابْنُه سـعد فكان شجاعا بَطَلا من شياطين العَرَب لايُقَام لسبيله ولم تَفُتْه طَلِبَتُه قَطّ ولم يَفِرّ عن قِرْن وأمّا سعيد فكان يُشْبه أباَه فى شَرَفه وسُودَده وأمّا ساعدة فكان صاحبَ شرَابٍ ونَدَامى وإخْوَانٍ فلَمّـا رأى الشيخُ حالَ بَنِيـه دعا سعدا وكان صاحب حَرْب فقال يابُنَىّ انّ الصَّارِم يَنْبُو والجَوَاد يَكْبُو والأَثَر يَعْفُو فاذا شَهِدت حَرْبا فرأيْتَ نَارَها تَسْـتَعِر وبَطَلَها يَخْطِر وبَحْـرَها يَزْخَر وضَـعيفَها يُنْصَر وجَبانَها يَجْسر فأقْلِل المُكْث والانتِظار فان الفِرَار غيْرُ عَار اذا لَم تكُن طَالبَ ثار فانمـا يُنْصَرون هُمْ وإيّاك أن تكونَ صَـيد رِمَاحِها ونَطِيح نِطَاحِها وقال لابنه سـعيد وكان جَوَادا يابُنَىّ لايَبْخَل الجَوَاد فابذل الطَارِفَ والتِلَاد وأقْلل التَّلَاح تُذْكَر بالسماح وابلُ إخْوَانَك فان وافِيهِم قَلِيل واصْنَع المَعْروف عند مُحتَمله وقال لابْنه ساعدة وكان صاحبَ شَرَاب يابُنَىّ ان كَثْرَة الشَرَاب تُفْسِـد القَلْب وتُقَلِّل الكَسْب فأبْصِر نَديمَك واْحمِ حَرِيمَك وأعِن غَرِيمَك واعلم أن الظَمَأ القَامِح خَيْرٌ من الرِّىّ الفَاضِح وعليك بالقَصْد فان فيه بَلَاغا ثم انّ أباهُم النُعْمان بنَ ثَوَاب تُوُفِّى فقال ابنُه سَعِيد وكان جوَادا سَيِّدا لآخُذَنّ بوَصِيّة أبِى ولأَبْلُوَنّ إخْوَانِى وثِقَاتِى فى نفسى فعَمَد الى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه فى ناحية خِبائِه وغَشّاه

ثوبا ثم دعا بعضَ ثِقاتِهِ فقـال يا فلان ان أخاكَ مَن وَفَى لك بِعَهْده وحاطَك بِرِفْده ونَصَرَك بوُدّه قال صَـدَقْت فهل حَدَث أمْر قال نعم انّى قَتَلْت فُلانا وهو الذى تَرَاه فى نَاحِية الخِباءِ ولا بُدّ من التَعاوُن عليه حتى يُوارَى فَمَا عنـدك قال يَالَها سَوْأَة وَقَعْتَ فيهـا قال فانِّى أرِيد أن تُعِينَنى عليه حتّى أُغَيِّبَـه قال لَسْتُ لك فى هـذا بصَاحِب فتَرَكَه وخرج فبَعَث الى آخَرَ مِن ثِقَاتِهِ فأَخْبَرَه بذلك وسَأَلَ مَعُونَتَه فرَدّ عليه مثلَ ذلك حتى بعث الى عَدَد منهم كُلُّهم يَرُدُ عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث الى رجل من اخوانه يقـال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له ياخُزَيم مالِى عندك قال مايَسُرّك وما ذَاكَ قال انّى قَتَلْت فلانا وهو الذى تراه مُسَجّى قال أيْسَر خَطْب فتُرِيد مَاذَا قال أرِيد أن تُعِينَنى حتّى أُغَيِّبَـه قال هَانَ مافَزِعْت فيه الى أخيك وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غيرغُلَامك هذا قال لا قال انظُرْ ماتَقُول قال ماقُلْتُ الّا حَقّا فأهْوَى خُزَيم الى غُلامه فضَرَبه بالسـيف وقتَله وقال ليس عَبْد أخَا لَكَ فأرسلهَا مثلا وارتاع سعيد وفَزِع لِقتْل غُلامه فقال وَيْحك ماصَـنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم إن أخَاكَ من آساكَ فأرْسَلَها مَثَلًا قال سعيد فانِّى أرَدْت تَجرِبَتَك ثم كَشَف عن الكَبْش وخَبَّره بمـا لَقِى مِن إخْوانه وثِقَاتِهِ وما ردّوا عليـه فقال خزيم سَـبَق السَّيْفُ العَذَل فَذَهبَتْ مَثَلًا

ألَا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بِنَوْم

قالوا ان أوّل من قال ذلك ذُو رُعَيْنِ الحِمْيَرِى وذلك انّ حِمْيَر تَفَرَّقَت على مَلِكِها حَسّان وخَالَفَتْ أَمْرَه لسوء سِيرته فيهم ومالوا الى أخيـه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبوه فى المُلْك ووعدوه حُسْنَ الطاعة والمُوَازَرة فَنَهَـاه ذُو رُعَيْن مِن بين حِمْيَر عن قَتْل أخيه وعَلِم أنّه ان قَتَل أخَاه نَدِم ونَفَرعَنْه النَّوْم وانتقضت عليه أُمُورُه وأنه سَيُعَاقِب الذى أشارعليه بذلك ويَعْرِف غِشّهم له فلمّا رَأى ذُورُعَين أنّه لايَقْبَل ذلك منه وخَشِيَ العواقِبَ قال هذين البيتين الآتِيَيْن وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هـــذه وديعة لى عندك الى أن أطلبها منك فأخذها عمـــرو فدفعها الى خازنه وأمَره برَفْعها الى الخزانة والاحتِفاظ بها الى أن يَسأل عنها فلمّا قَتَلَ أخَاه وجلس مَكَانَه فى المُلْك مُنِـع منه النَّوْم وسُلّط عليه السَّهَر فَلَمّا اشتدّ ذلك عليه لم يَدَعْ باليَمن طَبِيبا ولا كَاهِنا ولا مُنَجّما ولاعَرّافا ولا عَائِفا الاّ جَمَعَهُم ثم أخْبَرَهم بقِصّتِه وشَكا اليهم مابِه فقالوا له ماقتَل رَجُلٌ أخَاهُ أو ذَا رَحِم منــه على نحو ماقَتَلْتَ أخَاكَ الاّ أصَابَهُ السَّهَر ومُنِـع منه النَّوْم فلما قالوا له ذلك أقْبَلَ على مَن كَانَ أشَارَ عليه بقَتْل أخيه وسَاعَدَه عليه من أقْيَال حِمْيَر فقَتَلَهُم حَتّى أفْنَاهُم فَلَمّا وَصَل الى ذِى رُعَيْن قال له أيُّها المَلِك ان لى عنـــدك بَرَاءة مما تُرِيد أنْ تَصْنَع بى قال وما بَرَاءَتُك وأمَانُك قال مُرْ خازِنَكَ أن

يُخْرِج الصَحِيفة التى اسْتَوْدَعْتُكَهَا يوم كذا وكذا فأمَرَ خازِنَه فأخْرَجَها فنظر الى خاتمه عليها ثم فَضّها فاذا فيها

الَا مَن يَشْتَرِى سَهَرًا بِنَوْم سَعِيدٌ مَن يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فأمّا حِمْيرٌ غَدَرَتْ وخَانَتْ فَمَعْـذِرَة الالَه لِذِى رُعَيْنِ

ثم قال أيُّها المَلِك قد نَهَيْتُك عن قَتْل أخِيك وعَلِمْتُ أنّك إن فَعَلْتَ ذلك أصَابَك الذى قد أصابك فكَتَبْتُ هذين البَيْتين بَرَاءَةً لى عنـدك مما عَلِمْت أنّك تَصْنَع بمَن أشَار عَليك بقَتْل أخِيك فقَبِل ذلك منه وعَفَا عَنْه وأحْسن جَائِزَتَه

انَّ العَصَا مِنَ العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصْمَعِىّ وأنَا أحْسِبُه العُصَيَّة من العَصَـا الا أن يُرَاد أن الشئ الجليل يكون فى بَدْء أمْرِه صَغيرا كما قالوا إن القَرْم مِنَ الأفِيلِ فيَجُوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقَال العَصَا من العُصَـيَّة قال المُفَضّل أوّل مَن قال ذلك الافْعَى الجُرْهُمِىّ وذلك أن نِزَارا لَمّـا حَضَرَتْه الوَفَاة جَمَع بَنِيه مُضَرَ وإيَادًا ورَبِيعةَ وأنْمَارًا فقال يابَنِىّ هذه القُبّة الحَمْرَاء وكانت من أدَم لِمُضَرَ وهـذا الفَرَس الادْهَم والخِبَـاء الاسْوَد لِرَبيعَة وهذه الخَادِم وكانَتْ شَمْطاء لإيادٍ وهذه البَدْرَة والمَجْلِس لأنْمَـار يَجْلِس فيــه فانْ أشْكَلَ عَلَيكُم كَيْفَ تَقْتَسِمون فأتُوا الافْعَى الجُرْهُمِىّ ومَنْزِلُه بِنَجْرانَ فَتَشاجَرُوا فِى مِيرَاثِه فتَوجَّهُوا إلَى الافْعَى الجُرْهُمِى فَبيْنَمَا هُمْ

فى مَسيرهم اليه اذ رأى مُضَر أثرَ كَلَأٍ قد رُعِىَ فقال إنّ البَعير الّذى رَعَى هَذَا لأعورُ قال ربيعة إنَّه لأزوَرُ قال إياد إنّه لأبترُ قال أنمارُ انّه لَشَرُودٌ فساروا قليلا فاذاهُم بِرَجُل يُنْشد جَمَلَه فَسَأَلَهُم عن البَعير فقال مُضَر أهُو أعْور قال نعَمْ قال ربيعــة أهُو أزْوَر قال نعم قال إياد أهُو أبترُ قال نعم قال أنمار أهُو شَرُودٌ قال نعم وهذه واللهِ صفةُ بَعيِرِى فَدُلُّونِى عليه قالوا واللهِ مارَأيْناهُ قال هــذا واللهِ الكَذِب وتَعَلّق بهم وقال كيف أصدّقكم وأنتم تَصفُون بَعيرِى بصفته فساروا حتى قَدموا نَجْرانَ فَلَمّا نَزَلُوا نادى صاحبُ البَعــير هؤلاء أخَذُوا جَمَلِى ووَصَفُوا لِى صِــفَتَه ثم قالوا لَمْ نَرَه فاخْتَصَمُوا الى الافْعَى وهو حَكَم العرب فقال الافْعى كيف وصفتموه ولم تَرَوْهُ قال مُضَر رأيتُه رَعَى جانِبًا وتَرَكَ جانِبًا فعلِمْتُ أنَّه أعْوَرُ وقال ربيعة رَأيْتُ إحْدَى يدَيْه ثابِتَةَ الأثَر والأُخْرَى فاسدَتَه فعَلِمْتُ أنّه أزوَر لأنّه أفْســدَه لِشدّة وَطْئِه لازوِرَارِه وقال إيَادٌ عَرَفْتُ أنه أبتَرُ باجْتِماعِ بَعرِه ولو كان ذيَّالاً لَمَصَعَ به وقال أنْمَــار عَرَفْتُ أنه شَرُود لانّه كان يَرْعَى فى المَكَان المُلْتَفّ نَبْتُه ثم يجُوزُه الى مكانٍ أرَقّ منه وأخْبَث نَبْتًا فعَلِمْتُ أنّه شَرُود فقَال لِلرجُل لَيْسُوا بأصْحَاب بَعيرك فاطْلُبْــه ثم سألَهُم مَنْ أنْتُم فَأَخْبَرُوه فَرَحّب بِهِمْ ثم أخْبَرُوه بما جاءَ بِهِم فقــال أتَحْتَاجُون إلىّ وأنتم كما أرَى ثُمَّ أنْزَلَهم فَذَبَحَ لهم شَاةً وأتاهُم بخَمْرٍ وجَلَس لهم الافْعى حَيْثُ لا يُرَى وهو يَسْمع كَلامَهُم فقال رَبِيعَةُ لَمْ أرَ كاليَوْم لَحْمًا أطْيَبَ منه لولا أنّ شاتَه غُذِيَتْ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ فقال مُضَر لَمْ أرَ كاليَوْم خَمرا أطْيَبَ

منه لولا أنّ حُبلَتَها نَبَتَتْ على قَبْرٍ فقال إِيادٌ لَمْ أَرَ كاليوم رَجُلًا أسرى منه لولا أنّه لَيْس لِابيه الذى يُدْعَى لَهُ فقال أنمار لَمْ أرَ كاليَوْم كلَاما أنفعَ فى حاجَتنا مِن كَلامنا وكان كَلامُهم بأذُنِه فقال ماهؤلاء الّا شَياطين ثُمَّ دَعَا القَهرَمَانَ فقال ماهذه الخَمْرُ وما أمْرُها قال هى من حُبْلَةٍ غَرَسْتُها على قَبْرِ أبِيكَ لَمْ يكُن عِندنا شَرابٌ أطْيَبُ من شَرابها وقال للرّاعى ماأمْرُ هَذه الشاة قال هى عَنَاقٌ أرْضَعتُها بِلَبَن كَلْبَة وذلك أنّ أمّها كانت قد مَاتَتْ ولم يَكُنْ فى الغَنَم شَاةٌ ولَدَتْ غَيْرها ثم أتَى أمه فَسَألَهَا عَنْ أبِيه فأخْبَرَته أنّها كانتْ تَحْتَ مَلِكٍ كَثير المَال وكان لا يُولَدُ له قالَتْ نَخفتُ أنْ يَمُوتَ وَلَا وَلَدَ لَهُ فَيَذْهَبُ المُلْك فأمْكَنْتُ مِن نَفْسِى ابْنَ عَمّ لَهُ كانَ نَازلاعَلَيــه فخَرَجَ الأفْعى إلَيْهم فَقَصّ القَوْمُ عليه قِصَّتَهم وأخْبَروه بِمَـا أوْصَى بهِ أبُوهُمْ فقال ماأشْــبهَ القُبَّةَ الحَمْرَاءَ مِنْ مَالٍ فهو لِمُضَر فذهب بالدّنانير والإبل الحُمْر فَسُمّى مُضَر الحَمْراء لذلك وقال وأمّا صَاحبُ الفرَس الأدْهَم والخِبَاء الأسْود فَلَهُ كُلُّ شئ أسْوَد فصارت لِرَبيعة الخَيْل الدُّهْم فَقِيل رَبيعــة الفَرَس وما أشْــبَه الخَادمَ الشَمْطَاء فهو لإيادٍ فصار له المَاشيَة البُلْقِ من الحَبلَق والنَّقَد فَسُمّى إيَاد الشَمْطَاء وقَضَى لِأنمار بالدّرَاهِم وبِمَـا فَضَل فسمّى أنمـار الفَضْل فَصَــدَرُوا من عنده على ذلك فقال الأفْعى إنّ العَصَا مِنَ العُصَــيّة وإن خُشَيْنا مِنْ أخْشَن ومُساعدة الخَاطِل تُعَــدّ مِن البَاطِل فأرسلهنّ مثلا وخُشَــيْن وأخْشَن جَبَلَانِ أحدُهما أصغرُ مِنَ الاخر والخَاطِل الجَاهِل والخَطَل فى الكلام

اضْطرابه والعُصَـــيَّة تَصْغير تكبِير مِثْـل أنَا عُذَيقُها المُرَجَّب وجُذَيلُها المُحَكَّك والمُراد أنهم يُشبِهُون أباهُمْ فى جَوْدة الرَّأي وقيل انَّ العَصَا اسمُ فَرَس والعُصَيَّة اسم أمّه يُرَاد أنَّه يَحْكِى الأم فى كَرَم العرْق وشَرَف العِتْق

خطب يســـير فى خطب كبير

قاله قَصِير بن سَعْد اللَّخْمِىّ لجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الذى يُقَـال له جَذِيمة الأبْرَش وجَذِيمة الوَضّاح والعرب تقول للّذى بِهِ البَرَص بِهِ وَضَحَ تَفَادِيًا من ذِكْر البَرَص وكان جَذِيمة مَلِكَ ماعَلَى شاطِئ الفُرَات وكانت الزّبّاء مَلِكَة الجَزِيرة وكانت مِن أهل باجَرْمَا وتَتَكَلَّم بالعربية وكان جَذِيمة قد وتَرَها بقَتْل أبِيها فلمـا استجمَعَ أمْرُها وانتظَمَ شَمْلُ مُلْكها أحَبَّتْ أنْ تَغْزُوَ جَذِيمَةَ ثم رَأت أنْ تَكْتُبَ اليه أنها لم تَجِدْ مُلْكَ النساء إلاَّ قَبِيحا فى السَماع وضَعْفًا فى السُلْطان وأنّها لم تجِـدْ لِمُلْكها موْضِعا ولا لِنَفْسها كُفُؤا غَيْرَك فأقبِلْ إلىَّ لِأجْمعَ مُلْكِى إلى مُلْكِكَ وأصِلَ بِلادِى ببلادك وتُقَلِّد أمْرِى مع أمْرِك تريد بذلك الغَدْر فلمـا أتَى كتابُها جَذِيمة وقدِمَ عليه رُسُلها استخَفَّه مادعَتْـه اليه ورَغِب فيما أطْمَعَتْه فيه فَجَمعَ أهْلَ الحِجا والرّأي من ثِقَاتِه وهو يومئذ بِبَقّة من شاطِئ الفُرات فعَرَضَ عليهم مادَعَتْه اليه وعَرَضَـتْه عليه فاجْتَمع رأيُهم على أن يَسِـير اليها فَيستَوْلِى على مُلْكها وكان فيهم قَصِير وكان أرِيبًا حازِما أثِيرا عند جَذِيمة فَخَالَفَهُمْ فيما أشَاروا به وقال رَأْىٌ فاتِر وغَدْر حاضِر فَذَهَبَت كلمته مَثَلا ثم قال

لَجذيمة الرَّأى أنْ تَكْتُبَ اليها فان كانت صادِقة فى قوْلها فلتُقْبِلْ اليك وإلّا لَمْ تمكِّنْها مِن نَفْسك ولَمْ تَقع فى حِبالَتِها وقد وتَرْتَهَـا وقَتَلْتَ أبَاها فلم يُوَافِق جَذِيمة ماأشار به فقال قِصير

إنّى امْرُؤ لايَميل العَجزُ تَرْوِيَتِى اذا أتَتْ دُونَ شَأْنِى مِرّةُ الزَّزِمِ

فقال جَذِيمة لاَ ولَكِنَّك امْرُؤ رَأيُك فى الكِنّ لافى الضِّحّ فذهبَت كلمتُه مَثَـلا ودَعَا جَذِيمة عَمْرو بنَ عَدِيٍّ ابنَ أخْتِـه فاستشاره فشجَّعه على المسير وقال انّ قَوْمِى مع الزّبَّاء ولَوْ قَدْ رَأوْكَ صاروا مَعَك فأحَبَّ جَذِيمة ماقاله وعَصَى قَصِيرا فقال قَصير لايُطاع لقَصيرٍ أمْرٌ فَذَهَبَت مَثَلا واسْتَخْلَف جَذِيمةُ عَمْرو بن عَدِيٍّ عَلَى مُلْكه وسُلْطانِه وجَعَـلَ عَمْرو ابنَ عبدِ الجِنّ معه على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمة فى وُجُوه أصحابه فأخذ على شاطِئ الفُرَات من الجانب الغَرْبِيّ فلما نَزَل دعا قصِـيرا فقال ماالرَّأىُ ياقَصِـير فقال قصِـير ببَقَّة خَلَّفْتُ الرَّأىَ فَذَهَبتْ مَثَـلا قال وما ظَنُّك بالزَّبَّاء قال القَوْلُ رِدَاف والحَزْم عَثَرَاتُه تُخَاف فذهبت مثلا واسْتَقْبلَه رُسُل الزَّبَّاء بالهدَايا والألْطاف فقال ياقصير كيف تَرَى قال خَطْبٌ يَسِير فى خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَاك الخُيُول فانْ سَارتْ أمَامَك فالمَرأة صادِقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْك وأحَاطَتْ بك مِن خَلْفك فالقَوْم غَادِرُون بك فاركَبِ العَصَا فانّه لايُشَقُّ غُبارُها فَذَهَبتْ مثـلا وكانت العصا فَرَسا لِجَذِيمة لاتُجَارَى وإنّى رَاكِبها ومُسَايِرُك عليها فَلَقِيَتْه

الخُيُول والكَتَائِب فحَالَتْ بَيْنَـه وبَيْن العَصَا فركبَها قَصـير ونظر اليه جَذِيمَة على مَـتْن العصا مُوَلِّيا فقال وَيْلُ أمِّه حَزْما على مَتْن العَصَـا فذَهَبَتْ مثـلا وجَرَت به الى غروب الشمس ثم نَفَقَت وقد قَطَعَت أرْضا بَعِيدة فَبَنَى عليها بُرْجا يقـال له بُرْج العَصَا وقالت العرب خَيْرُ مَّا جَاءت به العَصَـا فذهبت مثلا وسار جذِيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دَخَل على الزَّبَّاء فرآها على غير أهْبـة العَرُوس فقال بَلَغ المَـدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْرٍ أرَى فذهبت مثلا ودَعَت بالسيف والنِطَع ثم قالت انّ دِماءَ المُلُوكِ شِفَاء من الكَلَب فأمَرَت بطَسْت من ذَهَب قد أعَدَّتْه له فَسَقَته الخمرَ حتى سَكِر وأخَذَت الخمرُ منه مَأخَذَها فأمَرَتْ بِرَاهِشَيه فقُطِعا وقَدّمتْ اليه الطَّسْت وقد قِيل لها إنْ قَطَر مِن دَمه شئ فى غير الطَّسْت طُلِب بِدَمه وكانت المُلُوك لا تُقْتَل بضَرْب الأعْناق إلا فى القِتَال تَكْرِمة لِلمَلِك فلَمّا ضَعُفَتْ يَدَاهُ سَقَطَتَا فقَطَر مِن دَمه فى غير الطست فقالت لا تُضَيِّعوا دَمَ المَلِك فقال جَذِيمة دَعُوا دَمًا ضَيَّعه أهْلُه فذهبت مثلا فهَلَك جَذِيمة وجَعَلَت الزَّبَّاء دَمَه فى رَبْعَةٍ لها وخَرَج قَصِير من الحَىّ الذى هَلَكت العَصَا بين أظهُرِهِم حتى قَدِم على عَمْـرو بن عَدِىّ وهو بالحِيرة فقال له قَصِير أثائِرٌ أنْتَ قال بَلْ ثائِر سَـائِر فذَهَبَتْ مثلا ووافَقَ قصير الناسَ وقد اختَلَفُوا فصَارت طائفة مع عَمْرو بن عدِىّ اللّخْمى وجماعة منهم مع عمرو بن عبدِ الجِنّ الجَرْمِىّ فاختَلَف بَيْنهما قصِير حتى اصْطَلَحَا وانْقَاد عَمْرو بن عَبْـدِ الجِنّ لعَمْرو بن عَدِىّ فقال

قصير لعَمْرو بن عَدِىّ تَهيَّأ واسْتَعِدّ ولا تَطُلَّنّ دم خالك قال وكَيْفَ لِي بها وهي أمْنَعُ مِن عُقَابِ الْجَوّ فذهبَتْ مَثَلًا وكانتَ الزّبّاء سألَتْ كاهنَة لها عن هَلَاكِها فقالت أرَى هَلَاكَكِ بسَبَب غُلَام مَهين غيْر أمِين وهو عَمْرو بن عَدِىّ ولَنْ تَمُوتِي بيَدِه ولكن حَتْفُك بِيَدِك ومِنْ قِبَله مايكونُ ذَلِك فَحَذِرتْ عمرا واتَّخَـذَتْ لَهَا نَفَقًا من مَجْلسها الذى كانت تَجْلس فيــه الى حِصْنٍ لهــا فى داخل مَدِينتها وقالت ان فَجَأنى أمْرٌ دَخَلْتُ النَّفَق الى حِصْنِي ودَعَتْ رجُلا مُصوِّرا مِنْ أجْوَد أهْل بِلادِهم تصوِيرا وأحسنِهِم عَمَلا فجَهَّزَتْه وأحْسَنَتْ اليه وقالت سِرْ حَتَّى تَقْدَم على عَمْرو ابن عَدِىّ مُتَنكِّرا فَتخْلُو بحَشَمه وتَنْضَمّ اليْهم وتُخَالِطُهم وتُعْلِمُهم ماعنْدَك من العِلْم بالصُّوَر ثم أثبِتْ لِي عَمْرو بن عدِىّ مَعْرِفَةً فَصَوِّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومُتَفَضِّلا ومتسَلِّحا بِهيْأته ولِبْسته ولَوْنِه فاذا أحْكَمْتَ ذلك فأقْبِلْ إلَىّ فانْطَلَقَ الْمُصَوِّر حتى قدِم على عمرو بن عدى وصَــنَعَ ما أمَرَتْه به الزّبّاء وبَلَغ من ذلك ما أوْصَتْه به ثم رَجَع الى الزباء بِعَمَلِ ماوَجَّهَتْه له من الصُّورة على ماوَصَفَتْ وأرادَتْ أنْ تَعْرِف عَمْرو بنَ عدى فلا تَرَاه على حالٍ إلّا عَرَفَتْه وحَذِرَتْه وعَلِمَتْ عِلْمَه فقال قصير لعمرو بن عدى اجْدَعْ أنْفِي واضْرِبْ ظَهْرِى ودَعْنِي وإيَّاها فقال عمرو ماأنَا بفاعل وما أنتَ لذلكَ مُسْتَحِقًا عندى فقال قصير خَلّ عَنِّي اذًا وخَلَاكَ ذَمٌّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنْتَ أبْصَر فجَدَع قصير أنفه وأثَّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامرٍ مّا جَدَع قَصِير أنْفَه وفى ذلك يقول المتلمس

وفي طَلَب الأوْتَار ماحَزّ أنْفَـه   قَصيرورَامَ المَوْتَ بالسيف بَيْهَس

ثم خَرَج قصير كأنّه هارِبٌ وأظْهر أنّ عَمْرًا فَعَل ذلك به وأنّه زَعَم أنّه مكَرَ بخَاله جَذِيمة وغَرّه من الزَّبّاء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمَرَت به فأُدْخل عليها فاذا أنْفُه قد جُدِعَ وظَهره قد ضرب فقالت ماالّذِى أرَى بِكَ ياقصير قال زَعَم عَمْرو أنِّي قد غَرَرْتُ خَالَه وزَيَّنْت له المَصير اليك وغَشَشْتُه ومَالأْتُك فَفَعَل بِي ماتَرَيْنَ فأقبلْتُ اليك وعَرَفْت أنّي لاأكُون مَعَ أحَدٍ هو أثقَلُ عليــه منْك فأكْرَمَتْــه وأصَابَتْ عندَه مِن الحَزْم والرَّأى ماأرَادَتْ فَلمّا عَرَف أنها اسْتَرْسَلَتْ اليه ووثِقَتْ به قال إنّ لى بالعِرَاق أموالا كثيرة وطَرَائف وثِيَاباً وعِطْرًا فابْعثِيني الى العراق لأحْمل مالِي وأحْمِل اليك من بُزُورها وطَرائفها وثيابها وطِيبها وتُصيبِينَ فى ذلك أرباحا عِظَامًا و بَعْضَ مَالاَغِنًى بالمُلُوك عنــه وكان أكْثَرَ مايُطْرِفُها من التَمْر الصَّرَفَان وكان يُعْجِبُها فلَمْ يَزَل يُزَيِّن ذلك حتى أذِنَتْ له ودفعَتْ له أموالا وجَهَّزَت معه عَبِيدا فَسَار قصير بمـا دَفَعَتْ اليه حتى قدم العِرَاق وأتى الحيرَة مُتَنَكِّرًا فدخل على عَمْرو فأخبَرَه الخَبَر وقال جَهِّزْنِى بصُنُوف البَزّ والامْتِعَة لَعلّ الله يُمْكن مِنَ الزَّبّاء فَتُصِيبَ ثَأْرَكَ وتَقْتُل عَدُوّكَ فأعْطَاهُ حاجَتَه فَرَجَعَ بذلك الى الزَّبّاء فأعْجَبَهَا مارأتْ وسَرّها وازْدادَتْ به ثِقَةً وجَهَّزَتْه ثَانِية فسار حتّى قَدِم على عَمْرو فجَهّزه وعادَ إلِيها ثم عادَ الثالثة وقال لعمرو اجْمَعْ لِي ثِقَاتِ أصْحابِك وهَيِّئِ الغَرَائِر والمُسُوح واحْمِلْ كُلّ رَجُلَيْنِ على بَعير فى غِرَارَتَيْنِ فاذا دَخَلوا مَدِينةَ الزَّبّاء

اقْمِتْك على باب نَفَقها وخَرجَت الرِّجال من الغَرَائر فصَاحُوا بأهل المدينة فمَنْ قاتلهُم قتلُوه وان أقبلَت الزبّاء تُريد النفق جلّلتَها بالسَّيف فَفَعل عَمْرو ذلك وحَمَل الرِّجال فى الغرائر بالسـلاح وسار يَكْمُنُ النَّهار ويسير اللَّيْلَ فلما صار قريبا من مَدينَتِها تَقدّم قصــير فَبَشَّرَها وأعْلَمَها بمـا جاء به من المَتاع والطَّرائف وقال لهـا آخِر البَزّ على القَلُوص فأرْسَلَها مثلا وسألَها أن تَخْرُج فتنظُر الى ماجاء به وقال لها جئتُ بمـا صاء وصَمَت فذهَبَتْ مثــلا ثم خرجت الزَّبّاء فأبصَرت الابِلَ تكاد قوائِمها تَسُوخ فى الأرض مِن ثِقَل أحْمَالِها فقالت ياقصير

ما لِلْجمال مَشْيُها وَئِيــدا أجَنْدَلًا يَحْمِلْن أمْ حَدِيدَا
أمْ صَرفَانًا تَارِزًا شَدِيدا

فقال قصير فى نَفْسه

بَل الرِّجالَ قُبَّضًا قُعُودا

فدَخلَت الإبِلُ المدينــةَ حتى كان آخِرها بعيرا مَرّ على بَوّاب المدينة وكان بيده مِنْخَســة فنَخَس بها الغِرارة فأصابَتْ خاصِرة الرَّجُل الذى فيها فسُمِع منــه صَوْتٌ فقال البَوّاب بالرُّومِيّة مامعناه شَرٌّ فى الجُوالِق فأرْسَلها مَثَلا فلما توسّطت الابِل المدينة أُنيخَتْ ودَلّ قَصــير عَمْرا على باب النَفَق الذى كانت الزباء تَدْخله وأرَته ايّاه قبْــل ذلك وخَرجَت الرِجال من الغَرائر فصاحُوا بأهْل المدينة ووضَــعُوا فيهم السِلَاح وقام عَمْرو على باب النَفَق وأقبَلَت الزّبّاء تُرِيد النفَق فأبصَرَتْ عَمْرا فعرَفَتْــه

بالصورة التِي صُوِّرَت لهــا فمَصَّت خاتَمها وكان فيه السّمّ وقالت بِيَدِى لَا بِيَدِ ابن عَدِيٍّ فَذَهَبَتْ كَلِمَتُها مَثَلا وتَلَقّاها عَمْرو فجَلَّلها بالسيف وقَتَلها وأصاب ماأصاب من المدينة وأهلِها وانْكَفَأ راجِعا الى العِراق

صارت الفتْيانُ حُمَماً

هـــذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بنى تَمِيم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هِنْد المَلِكِ فَنَذر عَمْرو لَيَقْتُلَنّ بِأخيه مائةً مِنْ بَنِي تميم فجَمَع أهْــل مَمْلَكتِه فسارَ اليهم فَبَلَغَهُمُ الخَبَر فتَفَرّقُوا فى نَواحِى بِلادِهم فأتَى دارَهُم فَلَم يَجِد إلَّا عَجُوزا كَبِيرة وهى الحَمْراء بنْت ضَمْــرة فَلَمّا نَظَر اليها وإلَى حُمْرَتِها قال لها إنّى لَأحْسـبك أعْجَمِيّة فقــالت لا والّذى اسْألُه أنْ يَخْفض جَناحَك ويَهُدّ عِمادَك ويَضَع وِسادك ويَسْلُبَك بِلادَك ما أنا بأعْجَمِيّة قال فَمَن أنتِ قالت أنا بِنْتُ ضَمْرة بن جابر سـادَ مَعَدًّا كابرًا عن كابِر وأنا أُخت ضَمْرة بن ضمــرة قال فَمَن زَوْجُك قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفين مَكانَه قالت هــذه كلمة أحْمَق لو كُنْتُ أعْلَمُ مكانه حالَ بَيْنَك وبَيْنِي قال وأىّ رَجُل هُو قالت هذه أحْمَق من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْـئَلُ هُوَ والله طَيّب العِرْق سَمِينُ العَرْق لايَنام لَيْلَةَ يَخافُ ولا يَشْبَع لَيْلَةَ يُضاف يَأْكُل ماوَجَد ولا يَسْأل عَمّـا فَقَد فقال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنّى أخاف أنْ تَلِدى مِثْل أبِيكِ واخِيــك وزَوجِك لَاسْتَبْقَيْتُكِ فقالت وأنتَ والله لاتَقْتُــل الا نِساء

اعاليها ثُدِىّ وأسافلها دُمِىّ والله ما أدْرَكْتَ ثارًا ولا مَحَوْتَ عارا وما مَنْ فَعَلْت هذه به بِغافِلٍ عنك ومعَ اليَوْم غَد فأمَر باحْرَاقِها فلَمَّـا نظَرَتْ الى النار قالت ألَا فتًى مَكان عَجُوز فذَهَبَتْ مثـلا ثم مكثت ساعةً فلم يَفْدِهَا أحَد فقالت هيهات صارَتْ الفِتْيانُ حُمَماً فذَهَبت مثلا ثم أُلْقِيتْ فى النّار ولَبِث عمرو عَامَّة يَوْمِه لايَقْدر على أحَدٍ حتى اذا كان فى آخر النَهار أقْبَلَ راكِب يُسَمَّى عَمَّارا تُوضِعُ به رَاحِلَتُه حتى أنَاخ اليه فقال له عَمْرو مَن أنْتَ قال أنَا رَجُل من البرَاجِم قال فما جاءَ بِكَ اِلَيْنَـا قال سطع الدُّخَان وكُنْت طَوَيْتُ مُنْـذ أيَّام فظَنَنْتُه طَعَاما فقال عمرو ان الشَّقِىّ وافِدُ البَراجِم فذهبَتْ مَثَلا وأمَرَ به فأُلْقِيَ فى النّار فقال بَعْضُهم مابَلَغنا أنه أصَـابَ مِن بَنى تَمِيم غَيْرَه وانمـا أحْرَق النِساءَ والصِبْيَان وفى ذلك يقول جرير

وأخْزَاكُمُ عَمْرو كما قد خَزِيتُمُ ... وأدْرَكَ عَمَّـاراً شَقِيَّ البرَاجِم

ولذلك عُيرت.بَنُو تِميم بحُبّ الطعام لِمَا لَقِيَ هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات مَيْتٌ مِن تَمِيم ... فَسَرَّكَ أنْ يَعيش فَجِئْ بِزَاد

بخُبْز أو بلَحْــم أو بتَمْـــرٍ ... أو الشَيْءِ المُلَفَّف فى البِجَاد

تَرَاه يُنَقِّب الآفَاق حَـوْلا ... لِيَأكُل رَأس لُقْمان بْنِ عَادِ

عند جُهينَة الخَبَرُ اليَقِين

قال هِشـام بن الكَلْبى كان مِن حَديثه أنّ حُصينَ بن عَمْرو بنِ مُعاوِيَة بن كلاب خرج ومعَــه رَجُلٌ مِن جُهَيْنَة يقال له الاخنس بن

كَعْب وكان الاخنس قد أحدَث فى قومه حَدَثا نخرج هارِبا فلقِيَــه الحُصَيْن فقال مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أمُّك فقال له الاخنس بَلْ مَنْ أنت ثكلتك أمّك فردّدَ هذا القَوْلَ حتى قال الاخنس أنَا الاخنس بن كَعْب فأخبِرْنِى مَنْ أنتَ وإلّا أنفَذْتُ قَلْبَكَ بهذا السِّنَان فقال له الحصين أنا الحصين بن عَمرو الكلَابى ويقـال بل هو الحصين بن سُبَيْع الغَطَفانِى فقال له الاخنس فما الذى تريد قال خرجت لِمَا يَخْرُجُ له الفِتْيـان قال الاخنس وأنَا خَرَجْت لِمثْل ذلك فقال له الحصين هَلْ لك أنْ نَتَعَاقَدَا أنْ لانلْقَ أحَدًا من عَشـيرتك أو عَشـيرتِى إلّا سلَبْنَاه قال نَعَمْ فتعاقَدَا على ذلك وكلَاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحبَه فَلَقِيَا رَجُلا فَسَلَبَاه فقال لهما هل لَكُما أن تَرُدَّا علىَّ بَعْضَ ما أخَذْتُمـا مِنّى وأدُلُّكما على مَغْنَم قالا نَعَمْ فقال هــذا رَجُل مِن لَخْم قد قَدِمَ مِن عندِ بعض الملوك بمَغْنَم كثير وهو خَلْفِى فى موضع كذا وكذا فرَدَّا عليــه بعضَ ماله وطَلَبـا اللَّخْمىَّ فوجَدَاه نازِلا فى ظِلّ شَجَرة وقُدّامَــه طَعَـام وشَرَاب فَحَيَّيَـاهُ وحَيَّاهُما وعَرَض عليهما الطَعَام فكَرِه كلُّ واحد أنْ ينزِلْ قبْلَ صاحبه فيَفْتِك به فَـنَزَلا جَمِيعا فأكلا وشَرِبا مَعَ اللَّخْمِىّ ثم انّ الاَخْنَس ذَهَب لبَعْض شَأنِه فرَجَعَ واللَّخمِىُّ يَتَشَحَّط فى دَمِه فقال الجُهَنِىّ وهو الاخنس وسَل سيفَه لانّ سيف صَاحبه كان مَسْلولا ويْحَك ويْحَك فَتَكْتَ بِرَجُل قد تَحَرَّمْنا بطعَامه وشَرَابه فقال اقْعُدْ يا أخا جُهَينة فلِهَذا وشِبْهِه خَرَجْنا فَشَربا سَاعة وتَحَدّثا ثم انّ الحُصَين قال يا أخَا جُهَينةَ أتَدْرِى ماصَـعْلة

وما صَعْل قال الجهنى هذا يومُ شُرْب وَأَكْل فسكت الحُصَيْن حتى اذا ظنّ أن الجهنى قد نسِى مايُرَاد به قال ياأخاجُهَيْنَة هل أنْتَ للطَّير زَاجِرُ قال وما ذَاكَ قال ماتقولُ هذه العُقَاب الكاسر قال الجهنى وأيْنَ تَرَاها قال هِيَ ذِهْ وتَطَاوَلَ ورَفَع رَأسه الى السَّماء فوضعَ الجُهَنى بادِرَة السيف فى نَحْـره فقال أنَا الزّاجِرُ والنّـاحِر واحْتَوى على مَتَاعه ومتاع اللخمى وانْصَرَف راجعا الى قَوْمه فَمرّ ببَطْنَيْنِ مِن قَيْس يُقَال لهما مَرَاحٌ وأَنْمَارُ فاذا هو بامْرَأةٍ تَنْشُد الحُصَين بن سبيع فقال لها مَنْ أنْتِ قالت أناصَخْرَة امرأة الحصين قال أنا قَتَلْتُه فقالت كَذَبْتَ مامِثْلُك يَقْتُل مِثْلَه أمَا لَوْلَمْ يكُن الحَىُّ خِلْوًا ماتَكَلَّمْتَ بهـذا فانْصَرَف الى قومه فأَصْلَح أمرهم ثم جاءهم فوقَف حيث يُسْمِعُهم وقال

وَكَمْ مِن ضَيْغَم وَرْدٍ هَمُوسٍ — أبِى شِبْلَيْنِ مَسْكَنُه العَرِينُ
عَلَوْتُ بيَاضَ مَفْرِقِه بعَضْبٍ — فأضْحَى فى الفلاة لَه سُكُونُ
وأضْحت عِرْسُه ولَهَا عليـه — بُعَيْـدَ هُـدُوءِ لَيْلَتِها رَنِينُ
وكَـمْ من فارِسٍ لاتَزْدَرِيه — اذا شَخَصَتْ لمَوْقعه العيُون
كصَخْرة إذْ تُسائِلُ فى مَرَاح — وأنْمَـارٍ وعِلْمُهُـما ظنُونُ
تُسائل عن حُصَين كُلَّ رَكْبٍ — وعنْـد جُهَينَةَ الخَبَرُ اليَقين
فَمَنْ يك سائلا عنه فعِندى — لِصَاحِبـه البَيَـان المُسْتَبِينُ
جُهَينَةُ مَعْشَرِى وهم مُلوك — اذا طَلَبُوا المَعَـالِى لم يَهُونوا

قال الأَصْمَعِيّ وابن الأَعْرابى هو جفينة بالفاء وكان عِندَه خَبَر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تُسائلُ عَن أبيها كُلَّ رَكْبٍ وعنـد جُفَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ

قال فسألوا جُفَيْنة فأخْبَرهُم خَبَرَ القَتِيل وقال بعضهم هو حُفَينة بالحاء المهملة يُضْرَب فى معرفة الشئ حقيقة

كِلاهُما وتَمْراً

ويُرْوَى كِلَيْهِما أول مَن قال ذلك عَمْرو بن حُمْران الجعْدى وكان حُمْران رجلا لَسِـنا مَارِدًا وأنّه خَطَب صَدُوف وهى امرأة كانت تأبد الكَلَام وتَسْجَع فى المنطِق وكانت ذات مالٍ كثير وقد أتاهـا قوم كثير يخطِبُونهـا فردّتْهم وكانت تتعنت خُطَّابَهَـا فى المسألة وتقول لاأتزوّج إلَّا مَنْ يَعْلَم ما أسْألُه عنه ويُجِيبُنى بكلامٍ على حدّه لايعدُوه فلما انتهى اليهـا حُمْران قام قائمـا لايجلس وكان لايأتيها خاطبٌ الَّا جَلَس قبل إذْنِها فقالت مايَمْنعُك من الجلوس قال حتى يُؤْذَنَ لِى قالت وهل عليك أمِير قال ربّ المَنْزل أحَقّ بِفِنائه وربُّ المـاء أحَقّ بِسِـقَائه وكُلٌّ لَهُ مَافِى وِعائه فقالت اجْلِسْ فجلس قالت له ماأرَدْتَ قال حَاجَة ولم آتِك لِحَـاجَة قالت تُسِرّها أمْ تُعْلِنها قال تُسَرّ وتُعْلَن قالت فمـا حَاجَتُك قال قَضَاؤها هَيّن وأمْرُها بَيّن وأنتِ بها أخْبَر وبِنُجْحها أبْصَر قالت فأخْبِرْنى بها قال قد عَرَّضْتُ وان شِئْتِ بَيَّنْتُ قالت مَن أنْتَ قال أنا بَشَر

وُلِدْتُ صَغيرا ونَشَأْتُ كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسْمُك قال مَنْ شاء أَحْدَث اسمًا وقال ظُلْمًا ولم يَكُن الاسم عليه حَتْمًا قالت فَمَنْ أبوك قال والدِى الذى وَلَدَنِى ووالدُه جَدّى فلم يَعِش بَعْدى قالت فما مَالُك قال بَعْضه ورِثْتُه وأكْثَره اكْتَسَبْته قالت فَمَّن أنْت قال من بَشَرٍ كثيرٍ عَدَدُه معروف وَلَدُه قَلِيلٌ صُعُدُه يُغْنِيه أَبَدُه قالت ماورَّثَكَ أبُوك عن أوّلِيه قال حُسْن الهِمَم قالت فأيْنَ تَنْزِل قال على بِساط واسِع فى بَلَد شاسع قرِيبُه بَعِيد وبَعيده قَريب قالت فَمَنْ قَوْمُك قال الذين أنْتَمى اليهم وأجْنِى عليهم وَوُلِدت لَدَيهم قالت فَهَلْ لك امْرأةٌ قال لو كانت لِى لم أطْلُب غَيْرَها ولَمْ أضَيِّعْ خَيْرَها قالت كأنَّك لَيْسَتْ لك حَاجَة قال لولم تكن لِى حاجة لم أُنِخْ بِبَابِك ولم أتَعَرّض لِجَوَابك وأتَعَلَّق بأسْبابِك قالت انك لَحُمْرَان بن الاقرع الجَعْدى قال انّ ذلك لَيُقَال فَزَوَّجَتْه نفسها وفَوَّضَت اليه أمْرها ثم انها وَلَدَتْ له غُلَامًا فسمّاه عَمْرا فَنَشَأ مارِدا مُفَوَّهًا فلما أدْرَك جَعَلَه أبُوه رَاعيا يرعَى له الابِل فَبَينا هو يوما اذ رُفِع اليه رجُل قد أضَرّ به العَطَش والسُّغُوب وعَمْرٌو قاعد وبَيْنَ يَدَيه زُبد وتَمْر وتَامِكٌ فدنا منه الرَجُل فقال أطْعِمْنِي من هذا الزُّبْد والتامِك فقال عمرو نَعَمْ كلَاهُمَا وتَمْرًا فأطْعَمَ الرَجُل حتى انْتَهى وسَقَاهُ لَبَناً حتى رَوِىَ وأقام عنده أيّامًا فذَهَبَتْ كَلِمتُه مَثَلًا ورَفَع كلَاهما أى لَكَ كلَاهما ونَصَبَ تمرا على معنى وأزِيدُك تمرا ومن رَوَى كِلَيْهما فانما نَصَبَه على معنى أطْعِمُك كليهما وتمرا وقال قَوْمٌ مَنْ رَفَع حَكَى انّ الرَجُل قال أنِلْنِي مِمّا بَيْنَ يَدَيك

فقال عَمْرو أيُّما أَحَبّ اليك زُبْدٌ أَمْ سَنَام فقال الرجل كلاهما وتمرا أى مطلوبى كلاهما وأَزِيد مَعَهما تمرا أو وَزِدْنِى تمرا

ان المُنبَتّ لا أَرْضًا قَطَع ولا ظَهْرًا أَبْقَى

المُنْبَتّ المُنْقَطِع عن أصحابه فى السَفَر والظَهْرُ الدابّة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجْتَهَد فى العِبادة حتى هَجَمَتْ عَيْنَاه أى غَارَتَا فلما رآه قال له ان هذا الدّينَ مَتِين فأَوغِلْ فيه بِرِفْقٍ انّ المُنْبَتّ أى الذى يَجِدُّ فى سَيْره حتى يَنْبَتّ أخيرا سَمّاه بما تَؤُول اليه عَاقِبَتُه كقوله تعالى «انّك مَيّتٌ وإِنّهم مَيّتُون» يُضرَب لمن يُبَالِغ فى طلب الشئ ويُفْرِط حتى رُبّما يُفَوّته على نَفْسه

انّ الدّوَاهى فى الآفات تَهْتَرِس

ويُرْوَى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرِس من الهَرْس وهو الدَّقّ يعنى أن الآفات يَمُوج بَعْضُها فى بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَثْرَةً يُضْرَب عند اشتداد الزمان واضطراب الفِتَن وأَصْلُه أنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يارَبّ إمّا مُهْرَةً أو مُهْرًا فأنكَر عليه ذلك وقال لا يكون الجَنِين الا مُهْرَة أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيّا الخَلْقِ مُخْتَلِفَه فقال الرجل عند ذلك

قد طَرَّقَتْ بِجَنِين نصفُه فَرَس ان الدّواهىَ فى الآفات تهترس

انّ البَلَاء مُوَكّل بالمَنْطق

قال المُفَضّل يقال انّ أوّلَ مَن قال ذلك أبو بكر الصّدِّيق رضى الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثَنِي علِيّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لَمَّـا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرِض نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأنَا مَعَه فَدَفَعْنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان نَسَّابَةً فسَـلَّم فرَدُّوا عليه السـلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعـة فقـال أمِن هَامَتِها أمْ من لَهَازِمها قالوا مِن هَامتِهـا العُظْمَى قال فأىّ هَامتِها العُظْمَى أنْتُم قالوا ذُهْـل الأكْبَر قال أفمنـكم عَوْف الذى يقال له لاحُرّ بِوَادِى عَوْف قالوا لا قال أفمنـكم بِسْـطَام ذواللِواء ومُنْتَهى الاَحْيَاء قالوا لاقال أفمنكم جَسَّاس بن مُرَّة حَامِى الذّمَار ومانِـع الجَار قالوا لا قال أفمِنكم الحَوْفَزَان قاتِل المُلُوك وسالِبُها أنْفُسَها قالوا لا قال أفمنكم المُزْدلِف صاحب العمَامة الفَرْدة قالوا لا قال فأنْتُم اخْوَال المُلُوك مِن كِنْدَة قالوا لا قال فَلَسْـتُم ذُهْلا الأكْبَر أنْتُم ذُهْـل الاَصْغَر فقام اليه غُلَام قد بَقَل وَجْهُه يقال له دَغْفَل فقال

انّ على سائِلنا أنْ نَسْأَلَهْ والعِبْءُ لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَهْ

ياهذا انك قَدْ سَأَلْتَنا فلم نكْتُمْكَ شيأً فَمِن الرَّجُل أنْتَ قال رجل من قُرَيش قال بَخٍ بَخٍ أهْلُ الشَرَف والرآسة فمِن أىّ قُرَيش أنت قال مِن تَيْم ابن مُرَّة قال أمكَنْتَ والله الرامِىَ مِن صَفَا الثُغْرة أفمِنكم قُصَىّ بن كِلاب الذى جَمَع القَبائل من فِهْر وكان يُدْعى مُجَمّعا قال لا قال أفمنـكم هاشم

الذى هشم الثَّرِيد لقومه ورِجال مكّة مُسْنِتُون عِجَافٌ قال لا قال أفمنكم شَيْبَةُ الحَمْدِ مُطْعِمُ طَيْرِ السَّماء الذى كأنّ فى وَجْهِه قَمَراً يُضِىءُ لَيْلَ الظلام الداجِى قال لا قال أفَمِن المُفِيضِين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهْـل النَّدْوَة أنت قال لا قال أفمن أهْل الرِفَادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحِجَابة أنت قال لا قال أفمن أهل السِقَاية أنت قال لا قال واجْتَذَب أبو بكر زِمَامَ ناقَتِه فَرَجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دَغْفَل صادَفَ دَرْءُ السَّـيْل دَرْأً يَصْدَعُه أمَا والله لو ثَبَتّ لَأُخْبرَنّك أنك من زَمَعَات قريش أوْ مَا أنَا بدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال علىّ قُلْتُ لأبى بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابى على بَاقِعة قال أجَلْ إنّ لِكُلّ طَامّة طَامّة وإنّ البَلَاء مُوَكّل بالمَنْطق وفى قِصّـة المَثَل أمثال قوله (لاحُرَّ بوادى عَوْف) يُتَمَثّلُ به فى هضم من يَتَعاظم بنَواحى من يَقْدر على قَهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمَثّل به ظاهر وقوله (والعِبء لاتَعرِفه أو تَحمِـلَه) يُتَمَثّل به فى طَلَب الاختبار وتَرْك الإكتفاء بما يَبْدو فان الشئ الذى تُرِيدُ حَمْلَه فيكونُ عِبْأً رُبّما يكون كبيرا فى النَظَر خفيفا فى الوَزْن وربما كان ثَقِيل الوَزْن وهو صغير الجِرْم

انْ تَرِد المــاءَ بمــاء أكْيَسُ

يُتَمَثّل به عند الأمْر بالإقتصاد فى المَعيشة والمحافَظة على قَليله وان كان واثِقا بحُصُول كثيرله فى المستقبل وأصْلُه فى المسافر عَرف قُرْبَه من المَنْهَل فأسْرَف فى استعمال ماحَمل من المــاء

انمـــا يُعاتَب الأَديم ذو البَشَرة

المُعاتَبة المُعاوَدَة وبَشَرة الأَديم ظـاهِرُه الذى عليه الشَّعر أى انمـا يُعـاد الى الدبّاغ من الأديم ماسَلِمتْ بَشَرتُه يُضرَبُ لمَنْ فيه مُراجعة ومُسْتَعْتَب قال الاصْمعى كُلّ ما كان فى الأَدِيم مُحتَمَلٌ ماسَلِمت البَشَرة فاذا نَغِلَت البَشَرة بَطَل الأدِيم ومِن هُنا أُخذ العِتَاب بين الاخوان لذكر الهَفوات ثم الاعْتِذار أو الاعْتِراف والمُسامحة والعَوْد الى المُصافاة فيكون ذلك بمنزلة دَبْغ الجِلْد لازالة فَضَلَاته

انّ العصَا قُرِعَت لذى الحِلْمْ

قيل ان أوّلَ مَن قُرِعت له العصا عَمْرو بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سَعْد ابن مالك الكنانى وذلك ان ســعدا أتى النعمانَ بنَ المنذر ومعه خَيل له قادَها وأخرى عرّاها فقيل له لِمَ عَرَّيْتَ هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُدْ هذه لأَمْنَعَها ولم أُعَرِّ هذه لِأَهَبَها ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال أما مَطَرُها فَغَزِير وأما نَبْتُها فكثير فقال له النعمان انّك لقَوّال وان شئت أتَيْتُك بما تَعْيَا عن جوابه قال نعم فأمر وَصِيفا له أن يَلْطِمه فلَطَمه لَطْمة فقــال ماجواب هذه قال سَــفِيهٌ مأمورٌ قال الْطِمْه أُخْرى فلَطَمه قال ماجواب هذه قال لو أُخِذ بالأُولَى لم يَعُدْ للأُخْرى وانمـا أراد النُعمانُ أن يَتَعدّى سَعْد فى المَنْطِق فيَقتُله قال الْطِمْه ثالثةً فلَطَمَه قال ماجوابُ هذه قال رَبٌّ يُؤدّب عَبْدَه قال الطِمْه أُخْرى فلَطَمه قال ماجواب هذه قال

مَلَكْتَ فأسجح فَأرْسَلها مثلا قال النعمان أَصَبْتَ فامكُث عندى وأَعْجَبَه ما رأى منه فمكث عنده ما مَكَث ثم بَدَا للنعمان أن يبعث رائدا فبعث عَمْرا أخا سَعْد فأبطأ عليه فأغْضَبه ذلك فأقسم لئن جاء ذامًّا للكلأ أو حامدًا له ليَقْتُلَنّه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذنُ أنْ أُكَلِّمه قال اذَنْ يُقْطَع لِسانُك قال فأُشِير اليه قال اذَنْ تُقْطَع يَدُك قال فأقْرَع له العصا قال فاقْرَعْها فتناول سعد عَصَا جَلِيسه وقَرَعَ بعَصَاه قَرْعَةً واحدة فعرَف أنه يقول له مَكَانَك ثم قرع بالعصا ثلاثَ قَرَعَات ثم رفَعَها الى السماء ومَسَحَ عصاه بالارض فعرَف أنه يقول له لَمْ أجدْ جَدْبا ثم قرع العصا مِرارًا ثم رفَعَها شيئًا وأومَأ الى الارض فعرَف أنه يقول ولا نبَاتاً ثم قرع العصا قَرْعَة وأقبل نحوَ المَلِك فعرف أنه يقول كَلِّمْه فأقْبَلَ عَمْرو حتى قام بين يدى الملك فقال له أخْبِرْنى هل حَمِدْتَ خِصْبًا أو ذَمَمْتَ جَدْبا فقال عمرو لم أذْمُم هُزْلا ولم أحْمَد بَقْلا الارضُ مُشْكِلة لا خِصبُها يُعْرَف ولا جَدْبُها يُوصَف رائدُها واقِف ومُنْكِرُها عارِف وآمِنُها خائف قال المَلِك أوْلَى لك فقال سعد بن مالك يذكر قرع العصا

قَرَعْتُ العصَا حتى تَبَيَّنَ صاحبي ولم تكُ لولا ذاكَ فى القَوْم تُقْرَعُ
فقال رأيتُ الارض ليستْ بمُمْحِلٍ ولا سارِح فيها على الرَّعْى يَشْبَع
سَوَاء فلا جَدْب فيُعرَف جَدْبُها ولا صَابَها غَيْث غَزِير فتمرَع
فَنَجَّيَا بها حَوْبَاءَ نفسٍ كَرِيمة وقد كادَ لولا ذاك فيهم يُقَطَّع

هذا قول بعضهم وقال آخرون فى قولهم ان العصا قُرِعت لذى الحِلْم ان ذَا الحِلم هذا هو عَامِر بن الظَرِب العَدْوَانى وكان من حُكماء العرب لاتَعْدل بفَهْمه فَهْمًا ولا بحُكْمه حُكْمًا فلما طَعَن فى السّنّ أنْكَرَ من عَقْله شيئًا فقال لبَنِيه انه قد كَبِرَتْ سِنّي وعَرَض لى سَهْو فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقْرَعُوا لِى المِجَنّ بالعَصَا وقيل كانت له جارية يقال لها خُصَيْلة فقال لها اذا أنا خُولِطْتُ فاقْرَعى لى بالعصا وأُتِى عامر بخُنْثَى ليَحكُم فيه فلم يَدْر ما الحُكْم فجعل يَنْحَرُ لهم ويُطْعمهم ويُدَافِعهم بالقضاء فقالت خُصَيلة ماشأنُك قد أتْلَفْتَ مالك نخبَرَها أنه لايَدْرى ماحُكْم الخُنْثَى فقالت أتبِعْه مَبَالَهُ قال الشَعْبِي فحدَّثنى ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سُنّة فيه وعامر هو الذى يقول

أَرَى شَعَرَاتٍ عَلى حاجِبَيّ بِيضًا نَبَتْنَ جميعا تُؤَامَا
ظَلِلْت أُهَاهِي بهنّ الكلَا بَ أحْسبهنّ صُوَاراً قِيَامَا
وأحِسب أنفِي اذا مَامَشَيْ تُ شَخْصًا أمَامِي رَآنِي فقَامَا

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذى يقول

تقول ابْنَتِى لَمَّا رَأتنِي كَأنّنى سَلِيمُ أفَاعٍ لَيْله غَيْرُ مُودَع
وَما المَوتُ أفْنَانِى ولكن تَتَابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ من مَصِيف ومَربَع
ثَلَاثُ مِئين قد مَرَرْنَ كَوامِلًا وهَا أنَا هذا أرْتَجِي مَرَّ أرْبَع
فأصْبَحت مِثل النَسْر طارت فِراخُه اذا رامَ تَطْيَارًا يُقَال له قَعِ

أُخَبِّرِ أخبَـارَ القُرُونِ التى مَضَتْ   ولا بُدَّ يَوْمًا أنْ يُطَـارَ بِمَصْرَعِى

قال ابن الاعرابى أوّل مَن قُرِعَت له العَصا عامِرُ بْنُ الظرِبِ العَدْوانى وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذى الجَدَّيْن وتَمِيم تقول بل هو ربيعة بن مُخَاشِن أحد بنى أَسِيد ابن عمرو بن تميم واليَمَن تقول بل هو عمـرو بن حُمَمَةَ الدَوْسِى قال وكانت حُكّام تميم فى الجاهلية أَكْثَم بن صَيْفِىّ وحاجِب بن زُرَارَةَ والأقْرَع بن حَابِس ورَبِيعة بن مُخَاشِن وضَمْرة ابن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكم فأخذ رِشْوة فغَدَر . وحُكّام قَيس عامر بن الظَرِب وغَيْلان بن سَلَمة الثَقَفِى وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُم فيه بين الناس و يوم يُنْشد فيه شِعْره ويوم ينظر فيه الى جَمَـاله وجاء الاسلام وعنده عَشر نِسْوة فخيَّره النبى صلى الله عليه وسلم فاخْتار أرْبعًا فصارت ســنّة . وحُكّام قُرَيش عبد المُطَّلِب وأبو طالب والعاصِى بن وَائِل . وحَكِيمات العَرَب صُخْرة بنت لُقْمان وهِند بنْتُ الخُسّ وجُمُعَة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذى يقال له ذو الحِلْم قال المُتَلَمِّس يُرِيدُه

لِذِى الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ماتُقْرِعِ العَصَا   وما عُلِّم الانْســان إلّا لِيَعْلَمَـا

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبّه انْتَبه

أيَّاك أعْنِى واسْمَعى ياجَارَة

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَــزَارِىّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْياء طَيِّئ فسأل عن سيِّد الحَىّ فقيل له حارثة بن لَأم فَأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُه انْزِل فى الرَّحْب والسَعَة

فَنَزَل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَتْ مِن خِبَائِها فرأى أجْمَل أهلِ دَهْرِها وأكْمَلَهم وكانت عَقِيلةَ قَوْمِها وسـيّدة نِسائها فوقَعَ فى نفسـه منها شئ فجعل لايَدْرِى كيف يُرْسِــل اليها ولا مايُوَافِقها من ذلك فجلس بِفِناء الخِباء يوما وهى تسمع كلامَه فجعل ينشد ويقول

يا أُخْتَ خَيْرِ البَدْوِ والحَضارَهْ كَيْفَ تَرَيْنَ فى فَتَى فَــزارَهْ
أصْـبحَ يَهْوى حُرَّةً مِعْطارَهْ إيّاكِ أعْــنِى واسْمَعِى ياجارَهْ

فلما سمِعت قولَه عَرَفَت أنّه اياها يَعْنِى فقالت ماذا بقَوْلِ ذى عَقْل أرِيب ولا رأيٍ مُصِيب ولا أنفٍ نَجِيب فَاقِم ماأَقَمْتَ مُكْرَمًا ثم ارْتَحِل متى شئتَ مُسَلَّما ويقال أجابَتْه نَظْمًا فقالت

انّى أقول يافَــتَى فَــزارَهْ لاأبْتَغى الزَوْجَ ولا الدّعارَهْ
ولا فِرَاقَ أهل هذِى الجارَهْ فارْحَلْ الى أهْلِك باستِخارَهْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ماأَرَدْتُ مُنْكَرًا واسَوْأَتَاه قالتْ صَدَقْت فكأنها اسْتَحْيَت من تَسَرُّعِها الى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى النُعمانَ فحَيّاه وأكْرَمه فلما رَجَع نَزَلَ على أخِيها فبَيْنَا هو مُقِيم عندهم تَطَلَّعَتْ اليه نفسُها وكان جَمِيلا فأرسَلَتْ اليه أن اخْطُبْنِى ان كانَ لك الىّ حاجَة يَوْما من الدهْر فانّى سَرِيعَةٌ الى ماتُرِيد فخَطَبَها وتَزَوّجَها وسارَ بها الى قَوْمِه يُضْرَب لِمَن يَتَكَلّم بكلام ويُرِيد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنْتَ كَذُوبا فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَب للرَجُل يكذِب ثم يَنْسَى فيُحَدِّث بخلاف ذلك

اذا اشْتَرَيْتَ فاذْكُرِ السوق

يعنى اذا اشْتَرَيت فاذكر البَيْع لِتَجْتَنِب العُيُوب

بَلَغَ السَّـــيْل الزُّبَى

هى جَمْع زُبْية وهى حُفْرة تُحْفَر للاَسَـــد اذا أرادُوا صَـيْدَه وأصْلُها الرَّابِية لايعلُوها المـاءُ فاذا بَلَغَها السَّيْل كان جَارِفا مُجْحِفا يُضْرَب لِمن جَاوَزَ الحَدّ قال المُؤَرِّج حدّثنى سعيد بن سِمَاك بن حرب عن أبيه عن ابن المُعْتَمِر قال أَتى مُعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قَتَلَهُم أسَد فى زُبْيَة فلم يَدْر كيف يُفْتِيهم فسأل عَليًّا رضى الله عنـــه وهو مُحْتَب بِفناء الكَعْبة فقال قُصّوا عَلَىّ خَبَرَكُم قالوا صِدْنا أَسَدا فى زُبْيَة فاجْتَمَعْنا عليه فَتَدَافَعَ الناسُ عليه فَرَمَوْا بِرَجُل فيها فَتَعَلّق الرَجُلُ بآخَر وتَعَلَّق الآخَرُ بآخَر فَهَوَوْا فيها ثَلاَثَتُهُم فَقَضَى فيها عَلِىّ رضى الله عنه أنّ للاول رُبع الدِّيَة وللثانى النصف وللثالث الدية كُلّها فأخْبَرَ النبىّ صـلى الله عليه وسـلم بقَضَائه فقال لَقَدْ أَرْشَدَكَ اللهُ للحقّ

تَطْلُب أَثَرا بَعْدَ عَيْن

العَين المُعَايَنَة يُضْرَب لمن تَرَكَ شيئا يَرَاه ثم تَبِـع أَثَرَه بعد فَوْت عَيْنه قال البَاهِلى أوّلُ من قال ذلك مَالك بن عمرو العَاملى وفى كتاب أبى عُبَيد مالك بن عمرو البَـاهِلِىّ قال وذلك انّ بعض مُلُوك غَسّان كان يَطْلُب فى عَامِلَة ذَحْلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالِك وسِمَاك ابْنَــا عَمْرو

فاحْتَبَسَهُما عنده زَمَانًا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انى قَاتِلٌ أحدَكُما فأيّكُما أقتُل فَجَعَل كُلّ واحدٍ منْهُما يقول اقْتُلْنِى مَكان أخى فلما رَأى ذلك قَتَل سِمَاكا وخَلّى سبيل مَالك فقال سِماك حين ظَنَّ أنه مَقْتُول

ألَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهْ كما أبدًا لَيْـلَةٌ واحِـدَهْ
فأبْلِغْ قُضَاعَةَ إِن جئتَهُم وخُصَّ سَرَاةَ بَنى سَاعدَهْ
وأبْلِغْ نِزَارا على نَأيِها بأنّ الرِمَاح هى العَائده
وأقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مالِكا لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَه
برَأس سَبيلٍ على مَرْقَبٍ ويومًا على طُرُق وارِدَه
فأُمَّ سِمَاكٍ فلا تَجْزَعى فَلِلْمَوْت ماتَلِد الْوالِدَهْ

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان رَكْبًا مَرُّوا وأَحَدُهُمْ يَتَغَنّى بهذا البيت

وأقْسِم لو قَتَلُوا مَالِكا لكنتُ لهم حَيَّة راصده

فسمعت بذلك أمّ سِماك فقالت يامَالِك قَبّح اللهُ الحَياةَ بعدَ سِماك اخْرُجْ فى الطّلَب بأخيك فخَرَج فى الطّلَب فلَقِىَ قَاتِلَ أخيه يَسير فى ناسٍ من قومه فقال مَنْ أَحَسّ لِى الجَمَلَ الأحْمَرَ فقالوا لَهُ وعَرَفوه يامالكُ لكَ مِئَةٌ من الإبِلِ فَكُفّ فقال لاأطْلُب أثرا بعد عيَن فذهبت مثلا ثم حَمَل على قاتِل أخيه فقَتَلَه وقال فى ذلك

يارَاكِبًا بَلِّغَا ولا تَدَعَا بَنِى قُمَيْر وانْ هُمُوا جَزِعُوا
فَلْيَجِدُوا مثل ماوَجَدْتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِينا قد مَسّنى وَجَعُ

لاأسمعُ اللهوَ فى الحديث ولا ... ينفعنى فى الفراش مُضطجعُ
لاوجدَ ثكلى كما وجدتُ ولا ... وجدَ عجولٍ أضلها رُبعُ
ولا كبير أضلّ ناقته ... يومَ توافى الحجيجُ واجتمعوا
ينظُرُ فى أوجه الركاب فلا ... يعرف شيئاً والوجهُ ملتمعُ
جللته صارمَ الحديدة كالْـ ... مِلحِ وفيه سفاسقٌ(١) لُمَعُ
بين ضُمير وباب جِلّق فى ... أثوابه من دمائه بقعُ
أضربه بادياً نواجذه ... يدعو صداهُ والرأس مُنصدع
بنى قُمير قتلتُ سيدكم ... فاليومَ لارنّة ولا جزع
فاليومَ قمنا على السواء فانْ ... تجووا فدهرى ودهرُكم جَرع

جاوِرينا واخبُرينا.

قال يونُس كان رجُلان يتعشقان امرأةً وكان أحدُهما جميلا وسيما وكان الآخر دميما تقتحمه العين فكان الجميلُ منهما يقول عاشرينا وانظُرى الينا وكان الدميم يقول جاوِرينا واخبُرينا فكانت تُدنى الجميل فقالت لأختبرنّهما فقالت لكل واحد منهما أن ينحر جزوراً فأتتهما متنكرة فبدأت بالجميل فوجدته عند القدر يلحس الدسم ويأكل الشحم ويقول احتفظوا كلّ بيضاء لِيهْ يعنى الشحم فاستطعمته فأمر لها بثيل الجزور فوضع فى قصعتها ثم أتت الدميم فاذا هو يقسم لحم الجزور ويعطى

(١) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقط تلمع فى صفائه

كُلّ مَنْ سأَلَه فَسَأَلْتَه فأمَرَ لها بأطَايِب الجَزُور فَوُضِع فى قَصْعَتها فرفعت الذى أعْطَاها كُل واحدٍ منهما على حِدَةٍ فلما أصْبَحا غَدَوْا اليها فَوَضَعَتْ بين يَدَىْ كُلِّ واحدٍ منهما ماأعْطَاها وأقْصَت الجَميـل وقَرّبت الدَميم ويقال انها تَزَوّجَتْه يُضْرَب فى القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أرْوَى والرَشيفُ أنْقَعُ

الرَشْف والرَشـيف المَصّ للمـاء والجَرْع بَلْعُه والنَقْع تَسْكين المـاء للعَطش أى أنّ الشَّرَاب الذى يُتَرَشّف قليلا قليـلا أقْطَعُ للعَطش وأنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أرْوَى أى أسْرَع رِيًّا وقوله أنْقع أى أثْبَت وأدْوَم رِيًّا من قولهم سُمٌّ ناقع أى ثابِت يُضْرَبُ لمَنْ يَقَع فى غَنِيمة فيُؤْمَرُ بالمُبَادَرَة والاقتِطاعِ لمَا قَدَر عليه قبل أن يأتِيَه مَن يُنَازِعه وقيـل معناه ان الاقتصاد فى المَعيشة أبْلَغ وأدْوَم من الاِسراف فيها

الجَـارُ ثُمّ الدَّارُ

هذا كقولهم الرّفيق قبل الطَّريق وكلاهُما يُرْوَى عن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال أبو عُبَيد كان بعض فُقَهاء أهل الشام يُحَدّث بهذا الحديث و يقول معناه اذا أرَدْتَ شِراء دارٍ فَسَلْ عن جِوارِها قبل شِرائها

حَسْبُكَ من شَرّ سَمَـاعُه

أى اكْتَفِ من الشّر بسَمَاعِه ولا تُعَـايِنْه ويجوز أن يُريد يَكْفيك سماعُ الشّر وان لم تُقْدِم عليـه ولم تُنْسَب اليـه قال أبو عبيد أخْبَرَنى

هشَام بن الكَلْبي أنّ المَثَـل لأمّ الرَبيع ابن زِيَاد العَبْسِيّ وذلك أن ابْنَهَا الرَبيع كان أخذ من قيس بن زُهَير بن جَذِيمـة دِرْعا فَعَرض قيس لأمّ الربيع وهي على رَاحِلتها فى مَسير لها فأرَادَ أنْ يَذْهب بها لَيَرْتَهِنَها بالدّرْع فقالت له أيْن عَزَب عَنْـك عَقْلُك ياقيس أتُرَى بَنى زيَاد مُصَالحِيـك وقد ذَهَبْت بأمّهم يَمينا وشمالا وقال الناسُ ماقالوا أو شاؤُا وانّ حَسْبَك من شَرٍّ سَمَاعُه فذَهَبَتْ كلِمَتُها مَثَلًا تقول كَفَى بالمَقَالَة عَارًا وان كان باطلا يُضْرَب عنـد العَـارِ والمَقَالة السيّئة وما يُخَاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سَـائل بِنَـا فى قَوْمِنا وليَكْفِ مِن شَرٍّ سَمَاعُهْ

وكان المُفَضَّل فيما حُكِى عنه يَذْكُر هـذا الحَديث ويُسَمّى أمّ الرَبيع ويقول هي فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بنى أنْمار بن بَغِيض

حِلْمى أصَمُّ وأُذْنى غَيرُ صَمَّاء

أى أعْرِضُ عن الخَنا بحِلْمى وان سَمِعْتُه بأُذُنى

حَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ وَرِىّ

أى اقْنَعْ من الغِنى بما يُشْبعك ويُرْوِيك وجُدْ بما فَضَـل وهذا المثل لامرئ القيس يَذْكر مِعْزًى كانت له فيقول

اذا مالم تَكُنْ إبِلٌ فَمِعْـزًى كَأنّ قُرُونَ جِلّتها العِصِىُّ
فَتَمْلأُ بَيْتَنا أقِطـا وسَمْنـا وحَسْبُك مِن غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أعْطِ كلَّ ما كان لك وراءَ الشِبع والرِيّ والآخَرُ القَناعة باليسير يقول اكتفِ به ولا تَطْلُب ماسِوَى ذلك والاول الوَجْه لقوله فى شِعْره له آخَرَ وهو

ولو أنّما أَسْـعَى لأَدْنَى مَعيشة كفانى ولم أَطْلُبْ قليلٌ من المال
ولـكنّما أَسْـــعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّـل وقد يُدْرِك المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمثـالى
وما المَرْء مادامَتْ حُشَاشَةَ نَفْسه بمُدْرِك أَطْرَافَ الخُطوب وَلَا آلِ

فقد أخْبَرَ بِبُعْد هِمَّتِه وقَدْرِه فى نَفْسه

الحَديثُ ذُو شُجُون

أى ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَوَاجِن أَوْدِيَةٌ كثيرة الشجَر الواحدة شَاجِنة وأَصْل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشِجْنة الشَجَرة المُلْتَفّة الاَغْصان يُضرب هذا المثل فى الحديث يُتَذَكَّر به غَيْرُه وقد نظم الشيخ أبو بكر على بن الحسين القِهِستانى هـذا المَثَل ومَثَلا آخَرَ فى بيت واحد وأحسَنَ ماشاء وهو

تَذَكَّرَ نَجْدًا والحَديث شُجُون فَجُنّ اشتياقا والجُنُون فُنُون

وأوّل مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أُدِّ بن طابِخَةَ بن الْيَاس بن مُضَرَ وكان له ابْنَانِ يُقال لأحَدِهما سَـعْد وللآخَر سُعيد فنَفَرت إِبِل لِضَبّة تحت الليل فوجّه ابْنَيه فى طَلَبها فتَفَرّقا فَوجَدَها سَـــعْد فرَدّها ومَضَى سُـعَيد فى طَلَبِها فلَقِيَه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرْدانِ فسأله

الحارث إيّاهما فأبَى عليــه فَقَتَـله وأخذ بُردَيْه فكان ضَـبّة اذا أمسى فرَأى تَحْت الليل سوادًا قال أَسَعْد أمْ سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضْرب فى النَجَاح والخَيْبة فمَكَث ضَـــبَّة بذلك ماشاء الله أن يَمْكُث ثم انه حَجَّ فَوَافَى عُكَاظَ فَلَقِيَ بها الحارثَ بن كَعْب ورَأى عليه بُرْدَى ابنه سُـعَيد فَعَرَفَهُما فقال له هل أنْتَ مُخْبِرِى ماهذان البُرْدَان اللّذان عليك قال بَلَى لَقِيتُ غُلَاما وهُمَا عليــه فسألته ايَّاهُما فأَبَى عَلَيّ فَقَتَلْتُهُ وأخَذْتُ بُرْدَيه هذين فقال ضَـبّة بسَيفك هذا قال نعم فقال فأعْطِنِيه أنْظُر اليــه فانى أظُنُّــه صارما فأعطاه الحارث سـيفَه فلما أخَذَه من يَده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجُون ثم ضَرَبه به حتى قَتَلَه فقيــل له ياضَـبّة أفِى الشَهْر الحرام فقال سَبَق السّيفُ العَذَل فهو أول من سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لاتأمَنَنَّ الحَرْبَ انّ اسْتعارَها كَضَبّة اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يوم السّقيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيُّها النــاس نحنُ المهاجرون أولُ الناس اسلاما وأكْرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دَارًا وأحْسَنُهُم وُجُوها وأكْثر الناس وِلادَةً فى العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا فى القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابِقون الاوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين

اتّبعوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخوانُنا فى الدّين وشُرَكاؤُنا فى الفَيء وأنصارُنا على العَدُوّ آويتُم وواسيتُمْ فجزاكم الله خيرا فنحن الأُمَراء وأنتم الوُزَراء لاتَدِينُ العَرَبُ الاّ لهذا الحَيّ من قُرَيش فلا تنفسُوا على اخوانكم المهاجرين مامنحهم الله من فضله

خطبة أبى بكر الصـــديق رضى الله عنـــه

عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

أيُّها الناسُ من كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبدُ الله فان الله حَيٌّ لايَموت وان الله قد تَقَـدّم اليكم فى أمْرِه فلا تَدَعوه جَزَعا وان الله قد اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم وقَبَضه الى ثوابه وخَلّف فيكم كِتَابَه وسُـنّةَ نبيه فَمَنْ أخَذَ بِهما عُرِف ومَن فَرّق بينهما أنْكَر يأيُّها الذين آمنوا كُونُوا قَوّامِين بالقِسْط ولا يَشْغَلَنّكم الشَيطانُ بمَوْتِ نبيكم ولا يَفْتِنَنّكم عن دِينِكم فعاجِلُوه بالذى تُعْجِزونه ولا تَسْتَنْظِروه فيلحق بكم

عهد أبى بكر رضى الله عنه عند موته

ممـا رُوِى عنــه رضى الله عنــه حيث عَهِد عنـــد موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخِر عَهْده بالدُّنيا وأوّل عهده بالآخرة فى الحال التى يُؤْمِن فيها الكافِر ويَتَّقِى فيها الفَاجِر انّى اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمَرَ بنَ الخطاب فان بَرّ وعَدَلَ فذلك عِلْمِى به ورَأْيِى فيه وانْ جارَ وبَدّل فلا عِلْمَ لى بالغَيْب

والخَيْرَ أَرَدْتُ ولِكُلِّ امْرِئٍ ماا كْتَسَب وسَـــيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثرمن هذه الآداب ويُقَدَّمُ قولُ عُمَرَ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خُطْبَةٍ خَطَبَها قال العُتْبِى لم أر أقلَّ منها فى اللفظ ولا أكثر فى المعنى حَمِدَ الله وأثنَى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّه والله مافيكم أحَدٌ أقْوَى عِندى من الضَعِيف حتى آخُذَ الحَقّ له ولا أضْعَفُ عندى من القَوِىّ حتى آخُذَ الحق منه ثم نَزَل

قال أبو الحَسَن قد رَوَينا هذه الخطبة التى عزَاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومن ذلك رسالته فى القَضَاء الى أبى موسى الأشْـعَرِىّ وهى التى جَمَع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعـدَه يَتَّخِذونها إماما ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ولا ظالِمٌ عن حدودِها مَحِيصا

رسالة عمر رضى الله عنه فى القضاء لأبى موسى الأشعرى

بسم الله الرحمن الرحيم من عبــد الله عُمَر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلامٌ عليك أما بعد فانّ القضاء فريضــة مُحكَمَة وسُــنّة مُتّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلِىَ اليك فانّه لاينْفَع تكَلُّمٌ بحَقٍ لانَفاذَ له آسِ بين الناس فى وَجْهك وعَدْلك ومَجْلِسك حتى لايَطْمَع شَرِيف فى حَيْفك

ولا يَيْأس ضَعيف مِن عَدْلك البَيّنة على من ادّعى واليمين على مَن أنكر والصُلْحُ جائز بين المسلمين الّا صُلْحًا أحَلّ حراما أو حَرّم حلالا لا يَمْنَعَنَّك قضاءٌ قَضَيْتَه اليومَ فَرَاجَعْت فيه عقلَك وهُدِيت فيه لرُشْدك ان تَرْجع الى الحَقّ فان الحَقّ قَدِيم ومُراجَعةُ الحق خيرٌ من التمَـادِى فى الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَج فى صَدْرك مما ليس فى كِتاب ولا سُنَّة ثم اعْرِف الأشْياء والأمْثال فَقس الامُور عند ذلك واعْمِد الى أقْرَبِها الى الله وأشْبَهها بالحَقّ واجْعل لمن ادّعى حَقّا غائِبا أو بَيّنة أمدًا يَنتهِى اليه فان أحْضَر بَيّنَتَه أخَذْت له بحَقّه والا اسْتَحْلَلْتَ عليه القَضِيّةَ فانه أنْفى للشَكّ وأجْلى للعَمَى المسلمون عُدُول بعضُهم على بعض الّا مَجْلُودا فى حَدّ أو مُجرَّبا عليه شَهادةُ زُور أو ظَنِينا فى وَلاءٍ أو نَسَب فان الله تَوَلَّى منكم السَرائر ودَرأ بالبَيّنات والأيْمان و إياك والغَلَق والضَجَر والتَأذّى بالخُصُوم والتنكُّر عند الخُصُومات فانّ الحَقّ فى مَواطِن الحَقّ يُعْظِم اللهُ به الأجْر ويُحْسِن به الذُّخْر فمن صَحّت نيّتُه وأقبَـل على نَفْسه كفاهُ اللهُ ما بَيْنَه و بين الناس ومن تَخَلَّق للنـاس بمـا يَعلم اللهُ أنّه ليس مِن نَفْسه شانَه اللهُ فما ظَنُّك بثَوابِ غير الله عز وجل فى عاجِل رِزْقه وخَزائن رَحْمَتِه والسلام

خطبة لسيدنا على

تحدثَ ابنُ عائشة فى اسـنادٍ ذَكَره أنّ عليـا رضى الله عنه انتهى اليه أنَ خَيْلا لمُعاوِية وَرَدَت الأنْبار فَقَتَلوا عامِلًا له يقال له حَسَّان بن

حسّان فخرج مُغضَبا يجرّ ثوبه حتى أتى النُخَيلة واتّبعه الناسُ فرَقِى رَباوةً من الارض فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجِهادَ بابٌ من أبواب الجنة فمن تَرَكه رَغْبةً عنه ألبَسَه اللهُ الذّل وسِيماءَ الخَسْف ودُيِّث بالصّغار وقد دَعَوْتكم الى حَرْب هؤلاء القَوم ليلا ونهارا وسِرّا واعلانا وقلت لكم اغْزوهم مِن قَبْل أن يَغْزُوكم فوالذى نَفْسى بيده ماغُزِى قومٌ قَطُّ فى عُقْر دارِهِمْ الّا ذَلّوا فتخَاذلتم وتواكَلْتُم وثَقُل عليكم قَوْلِى واتَّخَذْتُمُوه وراءكُم ظِهْرِيا حتى شُنَّت عليكم الغارات هـذا أخو غامد قد وردَت خَيْله الأنْبَار وقَتَلُوا حَسّان ابن حَسّان ورجَالا منهم كثيرا ونساء والذى نَفْسى بيده لقد بَلَغَنى انه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة والمُعاهَدة فتنتزَع أحجالَها ورِعاثَهُما ثم انْصَرَفوا مَوْفُورِينَ لم يكْلَمْ أحَدٌ منهم كَلْمًا فلو أنّ امْرَأ مسلما مات من دُون هذا أسَفًا ما كان عندى فيه مَلُوما بل كان به عندى جَدِيرا ياعَجَبا كُلّ العَجَب عَجَبٌ يُميت القَلْب ويَشْغَل الفَهْم ويُكْثِر الأحْزَانَ من تَضافُر هؤلاء القوم على باطِلِهم وفَشَلِكُمْ عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعْصَى اللهُ عز وجل فيكم وتَرْضَوْن اذا قلت لكم اغْزُوهُمْ فى الشّتاء قُلْتُم هـذا أوان قَرٍّ وصِرّ وان قلت لكم اغزوهم فى الصَيف قلتم هذا حَمارَّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرِم الحَرُّ عَنّا فاذا كنتم من الحَرّ والبَرْد تَفِرُّون فأنتم والله من السَّيْف أفَرّ ياأشْباهَ الرّجال ولا رجال ويا طَغَام الأحْلام ويا عُقُول رَبّات الحِجال والله لقد

أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لارأي له في الحرب لله درّهم ومن ذا يكون أعلم بها منّي أو أشدّ لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لارأي لمن لايطاع يقولها ثلاثا فقام اليـه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الانصار) فقال ياأمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى رب إنّي لا أملك الاّ نفسي وأخي فمُرنا بأمرك فوالله لننتهينّ اليـه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنـه أنّ قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انّي سأخبركم عنّي وعن أبي بكر انه لما توفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها وأجمع رأينا كلّنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له ياخليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمدّه الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لاطاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصـديق أوكلّكم

رأيُه على هــذا فقلنا نَعَم فقال واللهِ لَأن أخِرَّ من السماء فتتخطّفنى الطيرُ أحَبُّ الىّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبرَ فحمد الله وكبّره وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وسـلم ثم أقبَل على الناس فقال أيُّها الناس مَن كان يعبُد محمدا فانّ محمدا قد مات ومن كان يعبُدُ الله فان الله حَيٌّ لايموت أيها الناس أإنْ كَثُر أعداؤُكم وقَلَّ عددكم ركِبَ الشيطان منكم هذا المَرْكَب والله لَيُظْهِرنّ اللهُ هذا الدينَ على الأديانِ كلِّها ولو كَرِه المشركون قولُه الحقُّ ووعْدُه الصِدْق بل نَقْذِفُ بالحق على الباطلِ فيَدْمَغُه فاذا هو زاهِقٌ وكَمْ مِن فئةٍ قليلة غلَبَت فئـةً كثيرةً باذن الله واللهُ مع الصابرين والله أيها الناس لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهَدْتُهم فى الله حَقَّ جِهادِه حتى أُبْلِي بنَفْسى عُذْرًا أو أُقْتَل قَتْلًا والله أيها الناس لو مَنَعونى عقالا لجاهَدْتُهم عليه واسْتعَنْتُ عليهم الله وهو خيرُ مُعِين ثم نَزَل فجاهد فى الله حق جهاده حتى أذْعَنَت العَرب بالحق

وكتب أبو عُبيْدة بن الجَرَّاح ومُعاذ بن جَبل الى أمير المؤْمنين عمر بن الخطاب ينْصحانه رضى الله تعالى عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب سلام عليك فانّا نَحْمَد اليك الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فانّا عَهِدناك وأمْرِ نفسِك لك مُهِمّ فأصْبَحْتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هذه الأُمّة أحْمَرِها وأسْوَدِها

يَجْلِس بين يديك الصَديق والعَدوّ والشريف والوضيع ولكلٍّ حِصَّةٌ من العدل فانْظُر كيف أنت ياعمر عنـد ذلك وانا نُحَذِّرُك يومًا تَعْنُو فيـه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقَطِع فيه الحُجَج بحُجَّة مَلِكٍ قَهَرَهم بجَبَرُوته والخَلْقُ داخِرون له يَرْجُون رَحْمَتَـه ويخافون عِقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أَمْر هذه الأمّة يرجِع فى آخر زمانِها أن يكون إِخْوان العَلانِيـة أعداءَ السَريرة وانّا نَعُوذ بالله أَنْ تُنْزِل كِتابَنا سوى المَنْزِل الذى نَزَل من قلوبنا فانّا انمـا كَتَبْنا اليك نصيحةً لك والسلام فكتب اليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل سـلام عليكما أحمد اليكما الله الذى لااله الا هو (أما بعد) فقد جاءنى كتابكما تَزْعُمانـ أنه بَلَغكما أنّى وَلِيتُ أمر هذه الأمّة أحْمَرها وأسْوَدها يجلس بين يدىّ الصديقُ والعدُوّ والشريف والوضيع وكتبتما أن انْظُر كيف أنتَ ياعُمَر عند ذلك وانه لاحول ولا قوة لِعُمر عند ذلك الا بالله كتبتُما تُحَذِّرانى ماحُذِّرَت به الأُمَمُ قَبْلَنا وقديمـا كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقَرِّبانِ كلَّ بعيـدٍ ويُبْلِيَان كلَّ جديد ويَأتيانِ بكلِّ موعود حتى يَصير الناسُ الى منازِلهم من الجنة أو النار ثم تُوَفَّى كلُّ نَفْس بمـا كسبت ان الله سريع الحساب كَتَبْتُما تَزْعُمان أنَّ أمْرَ هـذه الأمّة يَرْجع فى آخر زَمانِها أن يكون إِخْوان العَلانِيَـة أعْداءَ السَريرة ولَسْتم بذاك وليس هـذا ذلك الزمانـ ولكن زمانُ ذلك حين تَظْهَر الرَغْبة

والرَّهْبة وكَتَبْتُما تَعُوذان بالله أن أنْزِل كِتابكما منِّي سوى المَنْزِل الذى نَزَل مِن قلوبكما وانمــا كَتَبْتُما نصيحة لِي وقد صَدَقْتُما فَتَعَهَّدانى منكما بكتاب ولا غِنًى بِي عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلّ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفةَ هــذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عَيَّابُونَ طَنَّانونَ يُظْهِرون لكم ماتُحِبُّونَ ويُسِرّون ماتكرَهون يقولون لكم وتقولون طَغام مِثْل النَعام يَتْبَعون أولَ ناعق أحبّ مَوارِدِهم اليهم النازح لقد أقْرَرْتم لابن الخطاب بأكثرَ مما نَقَمْتُم علَيَّ ولكن وَقَمَكم وقَمَعكُم وزَجَرَكم زَجْرَ النَّعــام المُخَزَّمة والله انِّي لأَقرَب ناصِرًا وأعزّ نَفَرًا وأَقْمَن ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتى مِن عمرَ هل تَفْقِدون مِن حُقُوقكم شيئًا فمالِي لاأفْعَل فى الحَق ماأشاء اذًا فَلِمَ كُنْتُ إِماما

ومن كلام سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام فى التحريض على الحرب كان يقوله لاصحابه فى بعض أيام صفّين

معاشرَ المسلمين استشعِروا الخَشْــية وتَجَلْبَبوا السَكينة وعَضُّوا على النَواجِذ فانه أنْبَى للسُّيُوف عن الهامِ وأكْمِلُوا اللّأْمَة وقَلْقِلُوا السيوف فى أغْمــادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافِحُوا بالظُّبا وصِلُوا السُــيوف بالخُطَا واعلموا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَعاوِدُوا الكَرّ واسْتَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ

فى الأعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطِيبُوا عن أنْفُسكم نَفْسا وامْشُوا الى المَوْت مَشْــيا سُجُحًا وعليكــم بهذا السَواد الأعْظَم والرِواق المُطَنَّب فاضرِبُوا ثَبَجَه فانّ الشيطانَ كامِنٌ فى كِسْره قد قَدَّمَ للوَثْبة يَدًا وأخَّر للنُكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجَلى لكم عَمُود الحَقّ وأنْتُمُ الأعْلَوْن واللهُ معَكم ولن يَتِرَكُمْ أعْمالَكُمْ

ومن كلام له عليه السلام

وقد قام اليــه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أىّ الأمْرَين أرْشَــدَ فَصَفَق عليه السلام احْدَى يَدَيْه على الأُخْرَى ثم قال

هذا جَزاءُ مَن تَرَكَ العُقْدة أمَا والله لَوْ أنّى حين أمَرْتُكُمْ بما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْرُوه الذى يَجْعل اللهُ فيه خَيْرًا فان اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكم وان اعْوَجَجْتُم قَوَّمْتُــكم وان أبَيْتُمْ تَدارَكْتُكُمْ لكانت الوُثْقَى ولكن بمَن والى من أُرِيد أنْ أداوِىَ بكم وأنتم دائى كناقِش الشوْكة بالشوكة وهو يعــلم أنّ ضِلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطِبّــاء هــذا الداء الدَّوِىّ وكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرَكِىّ أينَ القومُ الذين دُعُوا الى الاسلام فَقَبِلوه وقرؤا القرآن فأحْكَموه وهِيجُوا الى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقــاح الى أولادهــا وسَلَبُوا السيوفَ أغْمــادَها وأخذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا لا يُبَشَّرُونَ بالأحْياء ولا يُعزَوْن بالمَوْتَى مُرْهُ

العيون من البُكاء خُمْص البُطون من الصِيام ذُبْل الشِفاه من الدُّعاء صُفْرُ الألْوان من السَهَر على وُجوههم غَبَرة الخاشعين أولئك اخوانى الذاهبون فحَقّ لنا أنْ نَظْمَأ اليهم ونَعَضَّ الأيْدى على فِراقهم انّ الشيطانَ يُسَنّى لكم طُرُقَه ويُريد أن يَحُلّ دِينَكم عُقْدَةً عقدة ويُعْطيكم بالجماعة الفُرْقة فاصْدِفوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبَلوا النصيحة ممن أهْداها اليكم واْعقلوها على أنْفُسِكم

ومن كلام له عليه السلام لعُمَرَ بن الخطاب
وقد استشاره فى غَزْوة الفُرْس بنَفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْرُه ولا خِذْلانُه بكَثْرةٍ ولا قِلّة وهو دين الله الذى أظْهَرَه وجُنْدُه الذى أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ مابلغ وطَلَع حَيْثُما طَلَعَ ونحن على مَوْعود مِن الله والله مُنْجِزٌ وَعْدَه وناصرٌ جُنْدَه ومكانُ القَيّم بالامر مكانُ النِظام مِنَ الخَرَز يَجْمَعُه ويَضُمّه فاذا انْقَطع النِظام تفَرّق الخَرَز وذهب ثم لم يَجْتَمع بحَذافيره أبَدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قَليلا فهُمْ كثيرون بالاسلام عَزِيزُون بالاجتِماع فكن قُطْبًا واسْتَدِر الرَّحَى بالعَرَب وأصْلِهِمْ دُونَكَ نارَ الحَرْب فانك ان شَخَصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليك العَرَب من أطْرافِها وأقْطارِها حتى يكون ماتَدَعْ وراءَكَ من العَوْرات أهَمّ اليك مما بين يَدَيك

انّ الاعاجم انْ يَنْظُروا اليـك غَدًا يقولوا هـذا أصـل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم فيكون ذلك أشدّ لِكَلَبهم عليك وطَمَعِهِم فيك فأمّا ماذَكَرْت من مَسِـير القوم الى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لِمَسِـيرِهم منـك وهو أقْدَر على تَغْيير مايَكْرَه وأمّا ماذَكَرْت من عَدَدِهم فانّا لم نكن نُقاتِل فيما مضى بالكثْرَة وانّما كُنّا نُقاتِل بالنَصْر والمَعُونة

ومن خطبة له عليه السلام خَطَبها بصِفّين

أما بعد فقد جَعَـل اللهُ لى عليكم حَقّا بولايَة أمْرِكم ولكم عَلَيّ من الحق مثـل الذى لِي عليكم فالحَقّ أوسَـع الاشـياء فى التَواصُف وأضْيَقُها فى التَناصُف لايَجْرِى لأحدٍ الا جَرَى عليـه ولا يَجْرِى عليه الّا جَرَى له ولو كان لأحد أنْ يَجْرِى له ولا يَجْرِى عليـه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خَلْقه لقُـدْرته على عبـاده ولعَـدْله فى كل ماجَرَت عليه صُرُوفُ قَضائه ولكنه جَعَلَ حَقّه على العِباد أنْ يُطيعوه وجَعَل جزاءَهم عليه مُضاعَفة الثَواب تَفَضُّلا منه وتَوَسُّعا بمـا هو من المَزِيد أهْله ثم جَعَل سبحانه من حُقوقه حُقُوقا افْتَرَضها لبعض الناس على بَعْض فجَعَلها تَتَكافَأ فى وُجُوهها و يُوجِب بعضُها بعضا ولا يُسْتَوجَب بعضُها الّا ببعْض وأعْظَم ماافْتَرَض سبحانه من تلك الحُقُوق حقّ الوالِى على الرّعيّة وحقّ الرّعِيّة على الوالى فريضة فرضها سبحانه لكلٍّ على كُلٍّ فجَعَلها نِظاما لأُلْفَتِهم وعِزًّا لدينهم فليست تَصْـلُح الرّعية الّا بصَـلاح

الوُلاة ولا تَصْلح الوُلاة الاّ باســتقامة الرَعيّــة فاذا أدّت الرّعــيّة الى الوالى حَقَّــه وأدّى الوالى اليهـا حَقّها عَزَّ الحَقُّ بينهم وقامت منــاهج الدّين واعْتَدَلَتْ معالِمُ العَدْل وجَرَت على أذْلالِها السُّنَنُ فَصَلَح بذلك الزمانُ وطُمِــع فى بقاء الدولة ويَئِسَتْ مَطامعُ الأعْداء واذا غَلَبَت الرّعيّةُ وَالِيهَا وأجْحَف الوالِى برَعِيّته اخْتَلَفَتْ هنالك الكَلمة وظَهَرَت مَعالِمُ الجَوْر وكَثُرَ الادْغال فى الدين وتُرِكَت مَحاجّ السُّنَن فعُمِل بالهَوى وعُطّلَت الأحكام وكثُرت عِلَل النُّفوس فلا يُسْــتَوْحَش لِعظيم حقّ عُطِّل ولا لِعظيم باطل فُعِل فهنالك تَذِلُّ الأَبْرار وتَعِزّ الأشْرار وتَعْظُم تَبِعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتَناصُح فى ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتَدّ على رضاءِ الله حِرْصُه وطال فى العمل اجتهادُه ببالغ حقيقة ماالله أهلُه من الطَاعة ولكن مِن واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امْرُؤٌ وان عَظُمَت فى الحق مَنْزِلَتُه وتقدّمت فى الدِين فضيلته بِفَوْقَ أن يُعانَ على ماحَمَّله اللهُ من حَقّه ولا امْرُؤ وان صَغَّرَتْه النُّفوس واقْتَحَمَتْه العُيون بدون أن يُعينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيه الثَناءَ عليه ويَذْكر سَمْعه وطاعتَه فقال عليه الســلام انّ مِن حق مَن عَظُم جلالُ الله فى نفسه وجَلَّ موضِعهُ من قَلْبِه أن يَصْغُر عنده لِعظَم ذلك

كُلِّ ماسواه وانّ أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمَتْ نعمةُ الله عليه ولَطُفَ احسانُه اليه فانه لم تَعْظُم نعمةُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليه عِظَما وان مِن أسْخَف حالاتِ الوُلاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضَع أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ فى ظَنّكم أنّى أحِبّ الاِطْراء واستِماعَ الثّناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحِبّ أن يقال ذلك لتركْتُه انْحطاطا لله سبحانه عن تناوُل ماهو أحَق به من العَظمة والكبرياء وربما اسْتَحْلَى الناسُ الثناءَ بعد البَلاء فلا تُثْنُوا علىّ بجميلِ ثناءٍ لإخْراجى نفسى الى الله واليكم من التَّقِيّة فى حقوقٍ لم أفْرُغْ مِن أدائها وفرائضَ لابُدّ مِن إمْضائها فلا تُكَلّمونى بما تُكَلَّم به الجَبابرة ولا تَتَحفّظوا منّى بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادِرة ولا تُخالِطونى بالمُصانعة ولاتَظُنّوا بِى استثقالا فى حقٍّ قيل لى ولا الْتِماس إعْظامٍ لنفسى فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقال له أو العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مقالةٍ بحق أو مَشُورة بعَدْل فانّى لَسْت فى نفسى بفَوْق أنْ أُخْطِئ ولا آمَنُ ذلك مِن فِعْلِى الّا أن يَكفِيَ اللهُ مِن نفسى ماهو أمْلَك به منى فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لِرَبٍّ لاربَّ غيره يَملك منّا مالا نَملك مِن أنفسنا وأخرَجنا ممّا كُنّا فيه الى ماصَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدى وأعطانا البصيرة بعد العمَى

ومن وصية له عليه السلام وصّى بها جيشا بعثه الى العدوّ

فاذا نَزَلْتم بعَـدُوٍ أو نزَل بِكُم فليكُن مُعسكَرُكم في قَبِيـل الأشْراف وسِفاح الجبال أو أثْناء الأنْهار كَيْما يكون لكم رِدْءا ودونكُم مَرَدًّا ولتَكُنْ مُقاتَلتكُم من وجهٍ واحدٍ أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء في صَياصي الجبال ومَناكب الهِضاب لئلا يَأتيكم العدوّ من مكانِ مَخافةٍ أو أمْنٍ واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدّمة طَلائعُهم وايّاكم والتَفَرُّق فاذا نَزَلتم فانزِلوا جميعا واذا ارْتَحلْتم فارْتَحِلوا جميعا واذا غَشِيَكم الليلُ فاجعلوا الرماح كِفّة ولا تَذُوقوا النَوْم الّا غِراراً أو مَضْمضة

ومن وصية له عليه السلام كانَ يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكَرْنا هنا جُمَلا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عِماد الحقّ ويَشْرَع أمثلةَ العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الله وحده لاشريك له ولا تُرَوِّعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليه كارِها ولا تأخُذَنّ منه أكثَر من حق الله في مالِه فاذا قَدِمْتَ على الحيّ فانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالِطَ أبياتَهم ثم امْضِ اليهم بالسكينة والوَقار حتى تقومَ بينهم فتُسَلّم عليهم ولا تُخْدِج بالتحية لهم ثم تقول عبادَ الله أرْسَلَني اليكم وليُّ الله وخليفتُـه لآخُذَ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتُؤَدُّوه الى وَليّه فان قال قائل

لا فلا تُراجعْه وان أنْعَمَ لك مُنْعِمٌ فانطَلِق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه خُذْ ماأعْطاك من ذهبٍ أو فضة فان كان له ماشية أو إبِل فلا تَدْخُلْها الا باذنه فانّ أكْثَرَها له فاذا أتيْتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ مُتَسَلّطٍ عليه ولاعَنيف به ولاتُنَفِّرَنّ بَهيمة ولاتُفْزِعَنَّهاولا تَسوءنّ صاحبَها فيها واصْدَع المــالَ صَــدْعَين ثم خَيِّرْه فاذا اخْتار فلا تَعَرَّضَنّ لمــا اخْتارَه ثم اصْــدَع الباقى صَدْعين ثم خَيِّره فاذا اختار فلا تَعَرَّضَنّ لمــا اختاره فلا تَزال بذلك حتى يَبْقَى مافيه وَفاءٌ لحق الله فى ماله فاقبِضْ حق الله منه فان اسْــتَقالَك فأقِلْه ثم اخْلِطْهما ثم اصْــنع مِثْل الذى صَنعْت أوّلا حتى تأخذ حق الله فى ماله ولا تأخُذَنّ عَوْدا ولا هَرِمة ولا مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تَأمَنَنَّ عليها الّا مَن تَثِق بدينِه رافِقا بمــال المسلمين حتى يُوَصّــله الى وَلِيّهم فيَقْسمه بينهم ولا تُوَكِّل بها إلّا ناصِحا شَــفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنِّف ولا مُجْحِف ولا مُلْغِب ولا مُتْعِب ثم احْدُر الينا مااجتَمع عندك نُصَيّره حيثُ أمَرَ اللهُ فاذا أخَذَها أمينُك فأوْعِز اليه أن لايَحُول بيْن ناقةٍ و بين فَصيلها ولا يَمْصُر لَبَنَها فيَضُرّ ذلك بوَلَدِها ولا يَجْهَدَنَّها رُكوبًا وليَعْدِل بيْن صَواحِباتِها فى ذلك و بيْنَها وليُرَفِّه على اللاغِب وليَسْتَأْنِ بالنَّقِب والظالِـع وليُورِدْها ماتَمُرُّ به من الغُــدُر ولا يَعْدِل بها عن نَبْت الارض الى جَوادّ الطُرُق وليُرَوِّحْها فى الساعات وليُمْهِلها عند النِطاف والأعْشاب حتى تأتينا باذن

الله بُدْناً مُنْقِياتٍ غيرَ مُتعَبَاتٍ ولا مجهوادت لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لِأَجْرِك وأَقْرَب لرُشْدك ان شاء الله

وقال عليـه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا المُغْتَرّ بغُرورها المَخْدوع بأباطِيلِها ثم تَذُمّها أَتَغْتَرّ بالدُّنْيـا ثم تَذُمّها أَنْتَ المُتَجَرِّم عليها أَمْ هي المُتَجَرِّمة عليك متى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ متى غَرَّتْك أَبِمَصارع آبائك من البِلَى أم بمضاجِع أمّهاتِك تَحْتَ الثَّرَى كم عَلَّلْت بِكَفَّيْك وكم مَرَّضْتَ بِيَدَيْك تَبْغِى لهم الشِفَاء وتَسْتَوصِف لهم الأطِباء لم يَنْفَع أَحَدَهم إشْفَاقُك ولم تُسْعَف بطَلِبَتك ولم تَدْفَع عنه بقُوّتك قد مَثَّلَت لك به الدُّنْيا نَفْسَك و بمصرَعه مَصْرَعَك انّ الدُّنْيا دَارُ صِدْق لِمَن صَدَقها ودارُ عافِيـةٍ لِمَن فَهِم عنها ودارُ غِنًى لمن تَزَوّدَ منها ودارُ مَوْعِظَة لمن اتّعَظَ بها مَسْجِد أَحِبّاء الله ومُصَلّى ملائكة الله ومَهْبَط وَحْى الله ومَتْجَرُ أولياء الله اكْتَسَبُوا فيها الرَّحْمة ورَبِحوا فيها الجَنّـة فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقد آذَنَتْ بِبَيْنِها ونادَتْ بفراقها ونَعَتْ نَفْسَهَا وأَهْلَها فَمَثَّلَتْ لهم بِبَلائِها البَلاء وشَوّقَتْهم بسُرُورِها الى السُّرُور راحَتْ بِعَافِيـة وابْتَكَرَتْ بفَجيعة تَرْغِيبا وتَرْهِيبا وتَخْوِيفا وتَحْذيرا فَذَمّها رِجالٌ غَدَاةَ النَدَامَة وحَمِدها آخَرُون يوم القيامة ذَكَّرَتْهم الدُّنْيا فتَذَكَّروا وحَدّثَتْهم فَصَدَّقوا ووَعَظَتْهم فاتَّعَظُوا

عهد أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه ورضى عنه للاشْتَر النَّخَعى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أَمَرَ به عبد الله علىّ أمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الاشْــتَر فى عَهْده حين ولَّاه مِصْر جِبايَةَ خَراجِها وجهاد عَدُوّها وإصْلاحَ أَهْلِها وعِمارَة بلادِها أَمَرَه بتَقْوى الله وإيثار طاعَته واتِّباع ما أَمَرَ به فى كتابه مِن فرائضــه وسُنَنه التى لا يَسْعَد الّا باتّباعها ولا يَشْقَى الا مع جُحُودها واضاعَتِها وأَنْ يَنْصُر الله ســبحانه بيَده وقَلْبه ولسانه فانه جلّ اسْمُه قد تَكَفَّل بنَصْر مَن نَصَره وإعْزاز مَن أَعَزَّه وأَمَرَه أن يَكْسِر من نفسه عند الشَّهَوات ويَزَعها عند الجَمَحات فانّ النَّفْسَ أَمّارَةٌ بالسُوء إلّا ما رَحِم اللهُ ثم اعْلَمْ يامالكُ أنّى قد وَجَّهْتُك الى بلاد قد جَرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدْلٍ وجَوْرٍ وأن الناس يَنْظُرون من أُمورِك فى مِثْل ما كُنْتَ تنظر فيــه من أمور الوُلاة قبلك ويقولون فيك كما كُنْتَ تقول فيهم وانمــا يُسْتَدَلّ على الصالحين بمــا يُجْرى اللهُ لهم على أَلْسِنَة عباده فَلْيَكُنْ أَحَبّ الذَخائِر اليك ذَخيرة العَمَل الصالح فامْلِك هَوَاكَ وشُحّ بنفسك عمّا لا يَحِلّ لك فانّ الشُّحّ بالنفس الانصاف منها فيما أَحَبَّتْ أو كَرِهَتْ وأشْعِر قلبَك الرَّحْمَة للرَّعِيّــة والمَحَبّة لهم واللُّطْف بهم ولا تكونَنّ عليهم سَــبُعًا ضارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهم فانهم صِنْفانِ إمّا أَخٌ لك فى الدِّين وإمّا نظيرٌ لك فى الخَلْق

يَفْرُط منهم الزَّلَل وتَعْرض لهم العِلَل ويُؤْتَى على أيديهم فى العَمْد والخَطَأ فأعْطهم من عفوك وصَفْحك مِثْل الذى تُحِبّ وتَرْضَى أن يُعْطيَك اللهُ من عفوه وصَفْحه فانك فَوْقَهم ووَالِى الأَمْرِ عليك فَوْقَك واللهُ فوق مَن ولّاك وقد اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُم وابْتَلاك بهم ولا تَنْصِبَنّ نَفْسَك لحَرْب الله فانه لايَدَىْ لك بنقْمته ولا غِنَى بك عن عفوه ورحمته ولا تَنْدَمَنّ على عفو ولا تَبْجَحَنّ بعُقوبة ولا تُسْرِعَنّ الى بادِرَة وجَدْت عنها مَنْـدوحة ولا تقولَنّ انى مُؤَمَّرٌ آمر فأُطاع فان ذلك إِدْغال فى القلب ومَنْهَكَة للدِّين وتَقَرُّبٌ من الغِيَر واذا أَحْدَث لك ماأنتَ فيه من سُلْطانك أُبَّهَةً أو مَخِيلَةً فانظر الى عِظَم مُلْك الله فَوْقك وقُدْرته منك على مالا تَقْـدِر عليه من نفسك فان ذلك يُطامِن اليك من طِماحك ويَكُفّ عنك من غَرْبك ويُفِيء اليك بما عَزَب عنك من عَقْلك وإيّاك ومُسَاماة الله فى عَظَمته والتَشَـبُّه به فى جَبَرُوته فان الله يُذِلّ كُلّ جَبّار ويُهين كُلّ مُخْتال أَنْصِف اللهَ وأنصف الناسَ من نفسـك ومن خاصّـــة أهلك ومَن لك فيـــه هَوًى من رَعِيَّتك فانك ان لاتَفْعَلْ تَظْلِمْ ومن ظَلَمَ عبادَ الله كانَ اللهُ خَصْمه دون عبَاده ومن خاصَمَه اللهُ أَدْحَضَ حُجّتَــه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزِع ويَتُوب وليس شئ أَدْعَى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقْمتـه من اقامة على ظُلْم فان الله سَميعٌ دعوةَ المظلومين وهو للظالمين بالمِرْصـاد ولْيَكُنْ أَحَبَّ الامور اليك أَوْسَطها فى الحق وأعَمّها فى العَدْل وأجْمَعها لِرِضَا الرعيّة فان سُخْط العامّة يُجْحِف بِرضـا الخاصّة

وانّ سُخْط الخاصّــة يُغتَفر مع رضَـا العامّة وليس أحَدٌ من الرعية أثْقَل على الوالى مَؤُنَةً فى الرَخاء وأقَلّ مَعُونَةً فى البَـلاءْ وأكْرَه للانْصـاف وأسْأل بالالْحاف وأقَلّ شُكْرا عنـد الإعْطَاء وأبْطَأ عُذْرا عنـد المَنْع وأخَفّ صَبْرا عند مُلِمّات الدَهْر من أهْل الخاصّة وانمـا عِمَاد الدين وجِمـاع المسلمين والعُدّةُ للاَعْدَاء العامّةُ من الأُمّة فليكُن صَغْوُك لهم ومَيْلُك معهم ولْيَكُن أبْعَـدَ رَعيّتك منك وأشْـنَأهم عنـدك أطْلَبهم لِمعَايب الناس فانّ فى الناس عُيُوبا الوالى أحَقّ مَن سَتَرَها فلا تَكْشِفن عمـا غاب عنـك منها فانمـا عليك تَطْهير ماظَهَر لك والله يَحْكُم على ماغاب عنك فاسْـتُر العَوْرَة مااسْتَطَعْتَ يَسْتُر الله منك ماتُحِبّ سَـتْرَه من رعيّتك أطْلِق عن الناس عُقْدَة كُلّ حِقْدٍ واقْطَع عنك سبَبَ كلِ وَتْرٍ وتَغَابَ عن كل مالا يَصِح لك ولا تَعْجَلَنّ الى تصـديقِ ساعٍ فان الساعىَ غاشّ وان تَشَــبَّه بالنَّاصحين ولا تُدْخِلَنّ فى مَشُورَتِك بَخيــلا يَعْـدِل بك عن الفضـل ويَعِدُك الفَقْر ولا جَبانًا يُضْعِفك عن الامور ولا حَريصا يُزَيّن لك الشَرَهَ بالجَوْر فانّ البُخْل والجُبْن والحرص غَرَائزُ شَتَّى يَجْمَعُها سوءُ الظَنّ بالله انّ شَرّ وُزَرائك مَن كان قبلكَ للاَشْرار وَزيرا ومن شَرِكَهُمْ فى الآثام فلا يكونَنّ لك بِطانة فانهم أعْوان الأثَمَة واخْوان الظَلَمة وأنت واجِدٌ منهم خَيْرَ الخَلَف ممن له مِثْل آرائهم ونَفَاذهم وليس عليـه مِثْل آصارِهم وأوْزَارِهم ممن لايُعاون ظالمـا على ظُلْمه ولا آثمـا على اثْمِه أولئك أخَفّ عليك مَؤُونَةً وأحْسَنُ لك مَعُونةً وأحْنَى عليك

عَطْفا وأَقَلَّ لغيرك إِلْفا فاتَّخذْ أولئك خاصَّةً لِخَلَوَاتِك وحَفَلاتك ثم لْيَكُن آثَرُهُم عندك أَقْوَلَهُم لك بِمُرِّ الحَقّ وأقلَّهُم مساعدة فيما يكون منك مما كَرِهَ اللهُ لأوْليائه واقِعًا ذلك من هَواك حيث وَقَعَ والْصَقْ بأهل الورَع والصِّدْق ثم رُضْهُمْ على أن لا يُطْرُوك ولا يُبَجِّحوك بباطل لم تَفْعَله فان كَثْرة الاِطْراء تُحْدِث الزَهْو وتُدْنى من العِزَّة ولا يكونَنّ المُحسِن والمُسىء عنــدك بمَنْزِلة سَواءٍ فانّ فى ذلك تَزْهيدا لأَهْل الاحسان فى الاحسان وتَدْريبا لأهل الاساءة على الاساءة وأَلْزِم كُلًّا منهم ماأَلْزَمَ نفسه واعْلَمْ أنه ليس شئ بأدْعَى الى حُسْن ظنّ وَالٍ برَعيّته من اْحسـانه اليهم وتَخْفيفه المُؤُونات عليهـم وتَرْكِ استِكْرَاهه إِيّاهُم على ماليس له قِبَلَهم فَلْيَكُنْ منــك فى ذلك أمْر يَجْمَع لك حُسْــن الظَنّ بِرَعيّتك فانّ حُسْن الظَنّ يَقْطَع عنك نَصَبا طويلا وانّ أَحَقّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّك به لمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُك عنـده وانّ أَحَقّ من ساءَ ظَنُّك به لمَنْ ساءَ بلاؤك عنـده ولا تَنْقُضْ سُــنّةً صالِحة عَمِل بها صُدُور هذه الأُمّة واجْتَمَعَتْ بها الأُلْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدِثَنّ سُــنّة تَضُرّ بشئ ممـا مضى من تلك السُّنَن فيكون الأَجْرُ لِمَن سَنَّها والوِزْر عليك بمـا نَقَضْتَ منهـا وأَكْثِر مُدَارسة العُلَماء ومناقشــة الحُكَماء فى تَثْبيت ماصَلَح عليه أَمْر بلادك واقامةِ مااسْــتَقام به الناس قَبْلك واعْلَم أنّ الرعيــة طبقات لا يصلُح بعضُها الّا ببعض ولا غِنًى ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله ومنها كُتّاب العامّة والخاصة ومنها قُضَاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرِفْق ومنها

أهلُ الجزْية والخَرَاج من أهل الذمّة ومُسْلمة الناس ومنها التجّار وأهلُ الصـــناعات ومنهـا الطَبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسْكَنة وكُلًّا قد سَمَّى اللهُ سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضـــةً فى كتابه أو سُـــنَّة نبيـــه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعِزّ الدين وسُبلُ الأمْن وليس تَقوم الرعية الاّ بهم ثم لاقِوام للجُنود الّا بما يُخْرِج اللهُ تعالى لهم من الخَرَاج الذى يَقْوَوْن به فى جِهاد عَدُوّهم ويعتمدون عليـــه فيما يُصْلِحهم ويكونـ من وراء حاجتهم ثم لاقِوامَ لهذَيْن الصِـنْفين الا بالصّـنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكُتّاب لمـا يُحْكِمون من المَعاقد ويَجْمَعون من المنافع ويُؤْتَمنون عليه من خَواصّ الامور وعَوَامّها ولا قِوامَ لهم جميعا الا بالتجّار وذَوى الصّناعات فيما يجتمعون عليـــه من مَرَافقهم ويُقيمونه من أسْواقهم ويكْفُونهم من التَّرَفّق بأيْديهم مالايَبْلُغ رفْق غيرهم ثم الطبقة الســـفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رِفْدُهم ومعُونتهم وفى الله لكُلٍّ سَـعَةٌ ولِكُلٍّ على الوالى حَقّ بِقَدْر مايُصْلِحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ماألْزَمه اللهُ من ذلك الّا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفْسه على لزومه الحقّ والصبر عليـــه فيما خَفّ عليه أو ثَقُل فَوَلّ من جُنُودك أنْصَحَهم فى نَفْسك لله ولرسوله ولامامك وأطْهَرَهُمْ جَيْباً وأفْضَلَهم حِلْما ممن يُبْطِئ عن الغضَب ويَسْتَرِيح الى العُـذْر ويَرْأف بالضُعَفاء ويَنْبُو على الأقوِياء ممن لايُثِيره العُنْف ولا يَقْعُدُ به الضّعْف ثم الْصَقْ بذوِى

المُـرُوآت والاَحْساب وأهـــل البيُوتات الصالحة والسوابق الحَســنة ثم أهـــل النَجْدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جِمـاعٌ من الكَرَم وشُعَب من العُرْف ثم تَفَقّد من أمورهم ما يَتَفَقّده الوالدانِ من ولدهما ولا يَتَفاقَمَنّ فى نفســك شئ قَوّيْتَهم به ولا تَحْقِرَنّ لُطْفا تتعاهَـدُهم به وان قَلَّ فانّه داعِيــةٌ الى بَذْل النَصيحة لك وحُسْن الظَنّ بك ولا تَدَع تَفَقُّد لطيف أمورهم اتّكالا على جَسِيمها فان لليَسير من لُطْفك مَوْضعا يَنْتَفِعُون به وللجَسِيم مَوْقِعًا لايَسْتَغْنُون عنــه وليكن آثَرَ رؤوس جُنْدك عنــدك مَن وَاساهُمْ فى مَعُونته وأفْضَـــل عليهم مِن جِدَته بمـا يَسَعُهم ويَسَـع مَن وراءهم مِن خُلُوف أهْلِيهم حتى يكون هَمُّهم هَمًّا واحدا فى جِهاد العــدوّ فان عَطْفَك عليهم يُعَطِّف قُلُوبَهم عليك وان أفْضَـــل قُرّة عين الوُلاة اسْــتِقامة العَــدْل فى البلاد وظُهُورُ مَوَدّة الرَّعيّــة وانه لاتَظْهر مَوَدّتُهم الا بسلامة صدورهم ولا تَصِحّ نصيحتهم الا بحِيطتهم على وُلاة أمورهم وقِلّة استِثقال دُوَلِهــم وتَرْك استبطاء انقطاع مُدّتهم فافْسَحْ فى آمالهم وواصِـــل فى حُسْن الثَنَاء عليهم وتَعْـديد ماأبْلَى ذوو البــلاء منهم فانّ كَثْرةَ الذِكر لِحُسْن فعالِهــم تَهُزّ الشُجاع وتُحَرّض النا كِلَ ان شاء الله تعــالى ثم اعْرِف لِكُلّ امْرِئٍ منهــم ماأبْلَى ولا تُضيفَنّ بلاءَ امرِئٍ الى غيره ولا تُقَصِّرَنّ به دون غاية بلائه ولا يَدْعُونّك شَرَفُ امرِئٍ الى أن تُعَظِّم من بلائه ما كان صــغيرا ولا ضَعَةُ امرِئٍ أنْ تَسْتَصْغِرَ من بَلائه ما كان عظيما واردُدْ الى الله ورسوله مايُضْلِعك

من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقوم أحب ارشادهم (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر عن الفئ الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظرا بليغا فانّ هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدى الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا . ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا ولا تولهم محاباةً وأثرةً فانهم جماعٌ من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام فانهم أكرم أخلاقا وأصح أعراضا وأقل فى المطامع اشرافًا وأبلغ فى عواقب الأمور نظرًا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوةٌ لهم على استصلاح أنفسهم وغنًى لهم عن تناول ماتحت أيديهم

وحُجّة عليهم ان خالَفُوا أمْرَك أو خانُوا أمانَتَك ثم تَفَقَّدْ أعمالَهم وابْعَث العُيُون من أهل الصِـدقْ والوفاء عليهم فانّ تعاهُدك فى السرّ لأمورهم حَدْوَةٌ لهم على استعمال الامَانة والرِفْق بالرَّعِيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحدٌ منهم بَسَط يَدَه الى خِيانة اجْتَمَعَتْ بها عليه عندك أخْبار عُيُونك اكْتَفَيْتَ بذلك شاهدًا فَبَسَطْتَ عليــه العُقُوبة فى بَدَنه وأخَذْتَه بمـا أصــابَ من عمله ثم نَصَبْتَه بمقام المَذَلّة ووَسَمْته بالخِيـانة وقَلَّدتَه عارَ التُّهَمَة . وتَفَقَد أمر الخَرَاج بمـا يُصْلح أهلَه فان فى صلاحه وصلاحِهم صلاحًا لمن سِواهم ولا صَلاحَ لمن سِواهم الّا بهم لان الناس كُلّهم عيالٌ على الخَراج وأهْلِه وليكن نظرُك فى عمارة الارض أبْلَغَ من نَظَرك فى اسْتِجْلاب الخَراج لأن ذلك لايُدْرَك الّا بالعمارة ومَن طلبَ الخَراج بغير عمارة أخْرَب البلادَ وأهلك العباد ولم يَسْتَقِم أمْرُه الّا قَليلا فانْ شَكَوْا ثِقَلًا أو عِلّة أو انْقطاع شِرْبٍ أو بالّةً أو احالةَ أرض اغْتَمَرها غَرَقٌ أو أجْحَف بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما تَرْجو أنْ يَصْلُح به أمْرُهم ولا يَثْقُلَن عليك شئٌ خَفَّفْتَ به المؤُونة عنهم فانه ذُخْرٌ يعُودون به عليك فى عِمــارة بَلَدِك وتَزْيين وِلايَتك مع استجلابك حُسْنَ ثنائهم وتَبَجُّحك باســتفاضة العَدْل فيهم مُعْتمدًا فَضْــلَ قُوَّتهم بمـا ذَخَرْت عندهم من اجْمــامك لهم والثِقة منهم بمـا عَوّدْتَهم من عَدْلك عليهم فى رِفْقك بهم فربمــا حَدَث من الأمور ماذا عُوِّلَ فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلُوه طَيّبة أنفسُهم به فان العُمْران يَحْتَمِل ماحَمَّلْتَه وانمــا يأتى خَراب الارض من

اعْواز أهْلِها- وانمـا يُعْوز أهْلُها لإشْراف أنفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنّهم بالبَقاء وقلّة انتِفاعِهم بالعِبَر. ثم انْظُر فى حال كُتّابك فَوَلِّ على أُمورِك خَيْرَهم واخْصُصْ رَسائلَك التى تُدْخل فيها مكائدَك وأسرارَك بأجمعهم لوُجوه صـالح الاخْلاق ممن لاتُبْطِره الكَرامة فَيَجْتَرئَ بها عليـك فى خِلافٍ لك بحَضْرة مَلاَ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتبَـات عُمّـالك عليك واصـدار جَواباتِها على الصَواب عنـك فيما يَأخُذُ لك ويُعْطى منـك ولا يُضْعِف عقْـدًا اعْتَقَده لك ولا يَعْجِز عن اطلاق ماعُقد عليك ولا يَجْهَل مَبْلَغ قَدْر نفسه فى الأمور فان الجاهل بقَـدْر نفْسه يكون بقدر غيره أجْهلَ ثم لايكن اختِيارُك اياهم على فِراسَـتك واستنامتك وحُسْـن الظن منك فانّ الرجالَ يَتَعَرّفون لِفراسات الوُلاة بتَصَنُّعهم وحُسن خِدمتِهم وليس وراءَ ذلك من النصيحة والأمانة شئ ولكن اخْتَبِرْهم بما وَلُوا للصـالحين قَبْلك فاعْمد لِأحْسنِهم فى العامّة أثراً وأعْرَفِهم بالأمانة وَجْهًا فان ذلك دليـلٌ على نصيحتك لله ولمن وَليتَ أمْرَه واجعـل لرأس كلٍّ من أمورك رأسا منهم لايَقْهَره كبيرُها ولا يَتَشتَّت عليه صغيرُها ومهما كان فى كُتّابك من عَيب فَتَغابَيْتَ عنه أُلْزِمْتَه . ثم اسْـتَوْص بالتجّار وذَوى الصِناعات وأوْصِ بهم خيرا المُقيم منهم والمُضْـطرِب بمـاله والمُتَرَفّق ببَدَنه فانهم مَوادّ المنافع وأسـباب المَرافق وجُلّابُها من المَباعِد والمَطارِح فى بَرِّك وبَحْرِك وسَهْلك وجَبَلك وحيث لايَلْتَئم الناسُ لمواضعِها ولا يَجْتَرؤون عليها فانهم سِلْمٌ لاتُخاف بائقته

وصُـلْحٌ لاتُخْشى غائلتُه وتَفَقَّدْ أمورَهم بحضْرتك وفى حَواشى بلادك واعْلَم مع ذلك انّ فى كثير منهم ضِـيقا فاحشًا وشُحًّا قبيحا واحتكارا للمنافع وتَحَكُّما فى البِياعات وذلك بابُ مَضَرّةٍ للعـامّة وعَيبٌ على الوُلاة فامْنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله مَنَع منه وليكن البيع بيعا سَمْحا بموازين عَدْلٍ وأسْـعارٍ لاتُجْحِف بالفريقين من البائع والمُبْتاع فمن قارَف حُكْرَةً بعــد نَهْيِك إيّاه فنَكِّلْ به وعاقِب فى غير إسْرافٍ ثم اللهَ اللهَ فى الطَبَقة السُّفْلَى من الذين لاحيلةَ لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسَى والزَّمْنَى فان فى هــذه الطبقة قانعًـا ومُعْـتَرًّا واحْفَظ لله مااسْتَحْفَظَك من حَقّه فيهم واجعــل لهم قِسْما من بَيْت مالك وقِسْما من غَلّات صَوافى الاسـلام فى كل بلد فان للاقْصى منهم مثل الذى للادْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرعِيتَ حقَّه فلا يَشْغَلَنَّك عنهم بَطَرٌ فانك لاتُعْــذَر بتَضْييعك التافِهَ لإحْكامك الكثيرَ المُهِمّ فلا تُشْخِص هَمّك عنهم ولا تُصَعِّر خَدَّك لهم وتَفَقَّد أمورَ مَن لايَصِلُ اليك منهم ممن تَقْتَحمه العيون وتَحْتَقِرُه الرجال فَفَرِّغ لأولئك ثِقتَك من أهل الخَشْية والتواضُع فلْيَرْفَع اليك أمورَهم ثم اعْمَل فيهم بالاعْذار الى الله سـبحانه يوم تَلْقاه فان هؤلاء من بين الرَعيّـة أحْوَجُ الى الانْصاف من غيرِهم فَأعْذِرْ الى الله فى تأدية حقـه اليـــه وتَعَهّـد أهـلَ اليُتْم وذَوى الرِّقّة فى السِّنّ ممن لاحيـلَة له ولا يَنْصِب للمسألة نَفْسـه وذلك على الوُلاة ثَقيل والحَقّ كُلُّه ثَقيل وقد يُخَفِّفه اللهُ على أقوام طَلَبوا العاقبَة فَصَبَّروا

أَنْفُسَهم ووَثِقوا بصــدق مَوعُود الله لهم واجْعَلْ لِذَوِى الحاجات منك قَسْما تُفَرِّغُ لهم فيــه شَخْصــك وتَجْلِس لهم مَجْلِسا عامًّا فتتواضَع فيه لله الذى خَلَقَك وتُقْعِد عنهم جُنْدَك وأعوانَك من أَحْرَاسك وشُرَطك حتى يُكَلِّمك متكلِّمُهم غيرَ مُتَتَعْتِـع فإنِّى سمعتُ رســولَ الله صلى الله عليه وآله يقول فى غيرِ مَوْطِن (لن تُقَدَّس أُمَّةٌ لا يُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القَوِىّ غيرَ مُتَتَعْتَع) ثم احْتَمِل الخُرْق منهم والعِىّ وَنَحِّ عنهم الضِيق والأَنَفَ يَبْسُــط اللهُ عليك بذلك أَكْنافَ رحمتــه ويُوجِبْ لك ثوابَ طاعتِه وأعطِ ما أعْطَيْتَ هنيًا وامْنَعْ فى إجْمالٍ وإعْذارٍ . ثم أُمورٌ من أُمورك لابُدَّ لك من مُباشَرتِها منها إجابةُ عُمَّالك بما يَعْيًا عنــه كُتَّابك ومنها إصْدارُ حاجات الناس يومَ وُرودِها عليك مما تَحْرَج به صدورُ أعوانك وأمْضِ لكل يوم عَمَلَه فإن لكل يوم ما فيــه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت وأَجْزَلَ تلك الاقسام وإن كانت كُلُّها لله اذا صَلَحَتْ فيها النِيّة وسَلِمَت منها الرعِيّة وليكن فى خاصــة ما تُخْلِص لله به دِينَك إقامةُ فرائضــه التى هى له خاصة فأعْطِ الله من بَدَنِك فى لَيْلِك ونَهارِك ووَفِّ ما تَقَرَّبْتَ به الى الله سـبحانه من ذلك كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالِغا من بَدَنِك ما بَلَغ واذا قُمْتَ فى صلاتك للناس فلا تكونَنَّ مُنَفِّرا ولا مُضَيِّعا فإن فى الناس من به العِلّة وله الحاجة وقد سألتُ رسول الله صــلى الله عليه وآله حين وَجَّهَنى اليَمَن كيف أُصَلِّى بهم فقال (صَلِّ بهم كصلاة أضْعَفِهم وكُنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا

بعدُ فلا تُطوِلَنّ احتجابَك عن رَعِيَّتك فانّ احتجابَ الوُلاة عن الرعيــة شُعْبة من الضــيق وقلّة عِلْمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطَع عنهم عِلْمَ مااحتَجَبوا دونه فيصْغُر عنــدهم الكبير ويَعْظُم الصغير ويَقْبُح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانمــا الوالى بَشَرٌ لا يَعْرِف ماتَوارَى عنــه الناسُ به من الأمور وليست على الحق سِماتٌ تُعرَف بها ضُروب الصدق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين إمّا امْرُؤٌ سَخَت نفسُك بالبَذْل فى الحق ففِيمَ احتجابُك مِن واجِب حقٍ تُعْطيه أو فِعْل كريم تُسْـديه أو مُبْتَلًى بالمَنْع فمــا أسْرَعَ كَفّ الناس عن مَسْألتك اذا أيِسُوا من بَذْلِك مع أنّ أكثر حاجات الناس اليك مما لامَؤُنة فيه عليك من شَكاةِ مَظْلَمة أو طَلَبِ انصاف فى مُعامَلة . ثم انّ لِلوالى خاصــةً وبِطانةً فيهم اسْتِئْثارٌ وتَطاوُلٌ وقلة إنْصافٍ فى مُعاملة فاحْسِم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطِعَنّ لأحدٍ من حاشِيَتِك وخاصّتك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك فى اعتقادِ عُقْدةٍ تَضُرُّ بمن يَليها مــن الناس فى شِرْبٍ أو عَمَل مشــتَرَكٍ يَحْملون مَؤونَته على غيرهم فيكون مَهْنَأ ذلك لهم دونَك وعيبُــه عليك فى الدنيا والآخرة وألْزِم الحقّ من لَزِمه من القريب والبعيد وكُن فى ذلك صابِرًا محتسبا واقعا ذلك مــن قَرابتك وخاصّتك حيثُ وَقَع وابْتَغِ عاقِبَتَه بمــا يَثْقُل عليك منه فانّ مغَبّة ذلك محمودة وان ظَنَّت الرعيــة بك حَيْفا فأصْحِرْ لهم بعُــذْرِك واعْدِلْ عنك ظُنُونَهم بإصْحارِك فانّ فى ذلك رِياضَــةً منك لنفسك ورِفْقًا برعيتك

وإعْذَارًا تبلُغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ ولا تدفعنّ صُلْحا دعاك اليه عدُوّك ولله فيه رضًا فانّ فى الصُّلح دعةً لجنُودك وراحةً من هُمومك وأمْنا لبلادك ولكن الحذر كلّ الحذر من عدُوّك بعد صُلْحه فانّ العدُوّ رُبّما قارب ليتغفّل نخذ بالحزم واتّهم فى ذلك حُسْن الظّنّ وان عقدْتَ بيْنك و بين عدُوّك عُقْدة أو ألْبسْته منك ذمّة فحُطْ عهدك بالوفاء وارْعَ ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيتَ فانه ليس من فرائض الله شئٌ الناسُ أشـدُّ عليه اجتماعا مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود وقد لزم ذلك المُشْركون فيما بيْنهم دونَ المسلمين لمـا اسْتوبلُوا من عواقب الغدْر فلا تغْدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهْدك ولا تختلنّ عدُوّك فانه لايجْترئ على الله الا جاهل شـقِيّ وقد جعل اللهُ عهْده وذمّته أمْنًا أفْضاه بين العباد برحمته وحريما يسْكُنُون الى منعته ويسْتفيضون الى جواره فلا إدْغال ولا مُدالسـة ولا خداع فيه ولا تعْقدْ عقْدًا تجوز فيه العللُ ولا تُعوّلنّ على لحْن قوْلٍ بعد التأكيد والتوْثقة ولا يدْعونّك ضيقُ أمْرٍ لزمك فيه عهْدُ الله الى طلب انْفساخه بغير الحقّ فانّ صبْرك على ضيق أمْرٍ ترْجُو انْفراجه وفضْل عاقبته خيْرٌ من غدْر تخاف تبعته وأن تُحيط بك فيه من الله طلبةٌ فلا تسْتقيل فيها دُنْياك ولا آخرتك إيّاك والدّماءَ وسفْكها بغير حلّها فانه ليس شئ أدْعى لنقْمةٍ ولا أعْظم لتبعةٍ ولا أحْرى بزوال نعْمة وانقطاع مُدّة من سفْك الدّماء بغير حقّها واللهُ سـبحانه يتولّى الحُكْم بين العباد فيما تسافكوا من

الدّماء يومَ القيامة فلا تُقوِيَنّ سُلْطَانَك بسَفْك دَم حَرَام فانّ ذلك ممــا يُضْعِفُه ويُوهِنُــه بل يُزيلُه ويَنْقلُه ولا عُذْرَ لك عنــد الله ولا عندى فى قَتْل العَمْد لأنّ فيه قَوَدَ البَدَن وان ابْتُلِيت بخَطأ وأفْرَط عليك سَوْطُك أو سيفُك أو يدُك بعُقُوبة فانّ فى الوَكْزَة فمــا فوقها مَقْتَلَة فلا تَطْمَحَنّ بك نَخْوَة سُلْطانِك عن أن تُؤَدّى الى أولياء المَقْتول حَقَّهم وإيّاك والإعْجَاب بنفسك والثِقَةَ بمــا يُعْجبك منها وحُبَّ الاطْراء فانّ ذلك من أوْثق فُرَص الشَيطان فى نفسه ليَمْحَقَ مايكون من احسان المحسنين وإيّاك والمَنَّ على رَعِيَّتِك باحسانك أو التَزَيُّد فيما كان من فِعْلك أو أن تَعِدهُم فَتُتْبِع مَوعِدَك بخُلْفِك فانّ المَنّ يُبْطِل الاحسانَ والتَزَيُّد يَذْهب بنور الحق والخُلْف يوجب المَقْت عنــد الله والناس قال الله سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وإيّاك والعَجَلة بالأمور قبلَ أوانها أو التَّسَقُّط فيها عند إمكانها أو اللّجَاجَة فيها اذا تَنَكَّرَتْ أو الوَهْنَ عنها اذا اسْــتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَه وأوْقِــعْ كُلَّ عَمَل مَوْقِعَه وإيّاك والاستئْثار بمــا الناسُ فيه أُسْوَةٌ والتَّغَابِيَ عما يُعْنَى به مما قد وَضَحَ للعُيُون فانه مأخوذٌ منك لغَيرك وعما قَليلٍ تَنْكَشِف عنك أغْطِيَةُ الأمور ويُنْتَصَف منك للمظلوم إمْلِكْ حَمِيَّةَ أنْفك وسَوْرَةَ حَدّك وسَطْوَةَ يَدك وغَرْب لسانك واحْتَرِس من كل ذلك بكَفّ البادرة وتأخير السَطْوة حتى يسكُن غَضَبُك فَتَمْلِكَ الاخْتيارَ ولَن تَحْكُمَ ذلك من نفسك حتى تَكثُرَ هُمُومُك بذكْر المَعَاد الى ربّك والواجبُ عليك أن تَتَذَكَّر مامضى

لِمَن تَقَدَّمك من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضلة أو أثرٍ عن نَبِيِّنا صلى الله عليه وآله أو فريضة فى كتاب الله فتَقْتَدِى بما شاهَدْت مما عَمِلْنا به فيها وتَجْتَهِد لنفسك فى اتّباع ماعَهِدْت اليك فى عَهْدِى هذا واسْتَوْثَقْتُ به من الحُجَّة لنفسى عليك لكَيْلا يكونَ لك عِلّة عنـد تَسَرُّع نفسك الى هَواها وأنا أسأل الله بسـعَة رَحْمته وعَظيم قُدْرته على إعْطاء كُلّ رَغْبة أن يُوَفِّقَنى وإيّاك لما فيه رِضاهُ من الاقامة على العُذْر الواضِح اليه والى خلْقه مع حُسْن الثَّناء فى العباد وجميـل الأثَر فى البلاد وتمـام النّعمة وتَضْعيف الكرامة وأن يَخْتِمَ لى ولك بالسَّعادة والشَّهادَة إنا الى الله راغبون والسلامُ على رسول الله صلى الله عليه وآله الطّيّبين الطّاهرين

ومن ظريف أخبار ابن أبى عَتيق أنّ عثمان بن حيّـان المُرّى لمـا دخل المدينـة والِيًا عليها اجْتَمع الأشْراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لاتعمَل عملا أجْدَى ولا أولى من تحريم الغِنـاء والرِّثاء ففعل وأجَّلهم ثلاثا فقدم ابن أبى عتيق فى الليـلة الثالثـة فحَطّ رَحْلَه بباب سَلامة الزَّرْقاء وقال لها بَدَأْتُ بِكِ قبل أن أصير الى مَنْزِلى فقالت أو ماتَدْرِى ماحَدَث وأخْبَرَتْه الخَبَر فقـال أقيمى الى السَّحَر حتى ألْقاه فقالت إنّا نَخاف أن لاتُغْنِيَ شـيًا ونُنْكَظ (أى نُعْجَل) فقال انه لابأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذَنَ عليه فأخْبَرَه أن أحَدّ ماأقْدَمه عليه حُبّ التسليم عليه وقال له انّ من أفْضَل ماعَمِلت به تحريمَ الغِناء والرِّثاء فقال ان أهْلَك أشارُوا علىّ بذلك قال فانك قد وُفِّقْت ولكنى رسول

امرأةٍ اليك تقول قد كانت هذه صناعتى فَتُبْتُ الى الله منها وأنا أسألك أيُّها الامير أن لاتَحُول بينها و بين مُجَاوَرة قبر النبي صلى الله عليه وسـلم فقال عثمان إذَنْ أدَعها لك قال إذَنْ لايدَعها الناس ولكن تَدْعو بهـا فَتَنْظُر اليها فان كانت ممن يُتْرَكُ تَرَكْتها قال فادْعُ بها قال فأمَرَهـا ابن أبى عتيق فَتَقَشَّفَتْ وأخَذَتْ سُبْحَة فى يَدها وصارت اليه وحدَّثَتْه عن مآثر آبائه ففكِه لها فقال لها ابن أبى عتيق اقْرئى للامير فَفَعَلَتْ فأُعْجِبَ بذلك فقال لها فاحْدى للامير فحرَّكه حُدَاؤها ثم قال لهـا غنّى للامير فجعـل يُعْجب بذلك عثمان فقـال له ابن أبى عتيق فكيف لو سَمِعتها فى صِناعتها فقال له قُلْ لها فلْتَقُلْ فأمَرَها فَتَغَنَّتْ

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمّا دَخَلْنَه   بكُلِّ لَبَانٍ واضحٍ وجَبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديهـا ثم قال لا والله ما مِثْلُك يُخْرَجُ عن المدينة فقال له ابن أبى عتيق اذًا يقول الناسُ أذِنَ لسَلامة فى المُقام ومَنع غيرَها فقال له عثمان قد أذِنْتُ لهم جميعا

بعض أخبار الحَجّاج لمـا ولى العراق

قال التَّوَّزِى بَيْنا نحن فى المسجد الجـامع بالكوفة وأهـلُ الكوفة يومئـــذ ذَوُو حال حَسَنَة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آتٍ فقال هــذا الحجاج قد قدِم أميرا على العِراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمًا بعمامة قد غَطّى بها أكْثَر وَجْهه متقلِّدا ســيفا

متنكّبا قوسا يؤُم المِنبر فقام الناس نَحْوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أُمَيَّة حيث تستعمل مثلَ هذا على العِراق حتى قال عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِيُّ ألَا أحْصِبه لكم فقالوا أمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس اليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابْنُ جَلَا وطَلّاع الثَنايا   متى أضع العِمامة تعرِفوني

ثم قال يأهل الكوفة إنّي لأرَى رُؤوسا قد أينَعَتْ وحان قطافُها وانّي لَصاحِبُها وكأنّى أنْظُر الى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى ثم قال

هذا أوان الشَدّ فاشتَدِّى زِيَمْ   قد لَفَّها الليل بسَوّاق حُطَمْ
ليس براعى اِبِلٍ ولا غَنَمْ   ولا بجَزّار على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبِيّ   أرْوَعَ خَرّاج من الدّوِيّ
* مُهاجِر ليس بأعرابِيّ *

وقال

قَدْ شَمَّرَتْ عن ساقها فشُدّوا   وجَدّت الحَرْبُ بكم فجِدّوا
والقَوْس فيها وتَرٌ عُرُدّ   مِثْلُ ذراع البَكْر أو أشَدّ
* لا بُدّ مما ليس مِنه بُدّ *

إنّى واللهِ يأهل العِراق ما يُقَعْقَع لى بالشِنان ولا يُغْمَز جانبي كتَغْماز التِين ولقد فُرِرْتُ عن ذكاءٍ وفُتِّشْت عن تجْربة وان أمير المؤمنين

أطال اللهُ بقاءه نَثَرَ كِنانَتَه بين يديه فعَجَم عِيـدانَها فوَجَدنى أمَرَّها عُودًا وأصْلَبَها مَكْسَرا فرَماكم بِي لأنّكم طالَ ماأوْضَعْتُمْ فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحْزِمَنَّكم حَزْم السَلَمَة ولأضْرِبَنّكم ضَرْبَ غرائب الإِبِل فانكم لَكَأهْل قَريةٍ كانت آمِنة مُطْمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكَفَرت بأنْعُم الله فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوع والخوف بمـا كانوا يصنعون وانّى والله ماأقول الاّ وَفّيت ولا أهُمّ الاّ أمْضَيت ولا أخْلُق الاّ فَرَيتُ وان أمير المؤمنـــين أمَرَنى باعطائكم أعْطِياتِكم وأنْ أُوَجِّهكم لمحاربةِ عدوّكم مع المُهَلّب بن أبى صُفْرة وانى أقسم بالله لاأجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عُنُقَه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبـدالله عبدالملك أمير المؤمنين الى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شـيًا فقال الحجاج اكْفُف ياغلام ثم أقبلَ على الناس فقال أسَـلَّم عليكم أمير المؤمنين فلم تَرُدُّوا عليه شيًا هذا أدَب ابن نِهْية أمَا والله لأُؤَدِّبَنّكم غيرَ هذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنّ اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سـلام عليكم لم يَبْق فى المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشُرْطة بالبصرة قبْل الحجّاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتِهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرْعَش كِبَرا فقال أيُّها الأمير انّى من الضَعْف على ماترى ولِى ابْنٌ هو

اقْوَى على الأسْـــفار مِنّى فَتَقَبَّلْه بَدَلًا مِنّى فقــال له الحجاج نَفْعَل أيها الشيخ فلما وَلّى قال له قائل أتَدْرِى مَن هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير بن ضابِئ البُرْجُمِى الذى يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَل وكدتُ وليْتَنى تركتُ على عثمان تبكِى حَلائلُهْ

ودخل هــذا الشيخ على عثمان مَقْتُولا فوطِئ بَطْنَــه فكسر ضِلعَيْن من أضــلاعه فقال رُدُّوه فلما رُدّ قال له الحَجّاج أيُّها الشيخ هَلّا بَعَثْتَ الى أمير المؤمنين عثمان بَدَلًا يومَ الدار انّ فى قَتْلِك أيها الشيخ لَصَلاحا للمسلمين يا حَرَسِىُّ اضْرِبا عُنُقَــه فجعَل الرجل يَضيق عليه أمْرُه فيرتَحِل ويأمُرُ وَلِيّه أنْ يَلْحقَه بزادِه ففى ذلك يقول عبدالله بن الزَّبِير الأَسَدى

تَجَهَّــز فامّا أنْ تَزُور ابنَ ضــابِئ عُمَــيرًا وإمّا أنْ تَزُورَ المُهَلَّبــا
هما خُطَّتَا خَسْفٍ نَجاؤكَ منهما رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْج أشْهَبَا
فأضْحَى ولو كانت خُرَاسانُ دونَه رآها مكانَ السوق أو هى أقْرَبَا

خُطْبَةُ طارق قبلَ فُتُوح الأنْدَلُس

لَمَّا بَلَغ طارقًا دُنُوّ لَذَرِيق قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البَحْرُ من ورائكم والعدوّ أمامكم وليس لكم والله الا الصــدق والصبر واعلموا أنكم فى هـــذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام فى مَأدُبة اللئام وقد استَقْبَلَكم عَدُوّكم بجيشــه وأسْلِحته وأقْواتُه مَوْفُورة وأنْتُم لاوَزَر لكم

الا سُيوفكم ولا أقوات الّا ماتستخلصونه من أيدى عدوّكم وان امتــدّت بكم الايام على افتقــاركم ولم تُنْجزوا لكم أمرًا ذهب رِيحُكم وتعوّضت القلوبُ من رُعْبهــا عنكم الجُرْأَةَ عليكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم بمُناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مَدِينَتُه الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لَمُمْكِن ان سَمَحْتم لانفسِكم بالموت وانّى لم أحَذِّرْكم أمرًا أنا عنه بنَجْوةٍ ولا حَمَلْتكم على خُطّة أرْخَصُ متاع فيهــا النفوسُ أبْدَأ بنفسى واعلموا انكم ان صَــبَرتم على الاشَــقّ قليلا اسْتَمْتَعتم بالأرْفَه الألَذّ طويلا فلا تَرْغبوا بأنفسكم عن نفسى فمــا حَظُّكم فيــه بأوْفَرَ من حَظّى وقد بَلَغكم ماأنشأتْ هــذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليــد بن عبــدالملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لمُلوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثِقَةً منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حَظُّه (منكم ثوابَ الله على اعلاء كلمته واظهار دِينه بهذه الجزيرة) وليكون مغْنَمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سِواكم والله تعــالى ولىُّ إنْجادكم على ما يكون لكم ذِكرًا فى الدارين واعلموا أنّى أوّل مُجيب الى ما دَعَوْتكم اليــه وانى عنــد مُلْتَقى الجَمْعين حامِلٌ بنفسى على طاغية القوم لَذَريق فقاتلُه ان شاء اللهُ تعالى فاحملوا معى فان هَلَكْتُ بعده فقد كُفيتم أمْرَه ولم يُعْوِزْكم بَطَل عاقل تُسْنِدون أموركم اليه وان هلكتُ قبــل وصولى

اليه فاخلُفونى فى عزيمتى هــذه واحمِلوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العــادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما وَلِىَ الخلافة الى الحسن ابن أبي الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه الحسن رحمه الله

اعلم ياأمير المؤمنين انــ الله جعــل الامام العادل قِوامَ كل مائل وقَصْــد كل جائر وصَلاح كل فاسِــد وقوة كل ضعيف ونَصَفَة كل مظلوم ومَفْزَع كل ملهوف والامام العدل ياأمير المؤمنين كالراعى الشــفيق على إبلِه الرفيق الذى يَرْتاد لهــا أطيبَ المَرْعَى ويَذُودُها عن مَراتع المَهْلكة ويَحْمِيها من السِــباع ويكْنُفُها من أذَى الحــرّ والقَــرّ والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلِّمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدَّخر لهم بعــد مماته والامام العــدل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البَرّة الرفيقة بولدها حمَلَتْه كُرْهــا ووضعته كرها ورَبَّتْه طِفلا تسهر بسَهَرِه وتَسْكُن بسكونه تُرْضِــعُه تارةً وتَفْطِمُه أخْرَى وتفرح بعافيته وتَغْتمّ بشِكايتِه والامام العــدل ياأمير المؤمنين وِصِيّ اليتامى وخازن المساكين يُرَبِّى صــغيرَهم ويَمُون كبيرَهم والامام العــــدل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجَوانح تَصْــلح الجوانح

بصلاحه وتفسُد بفساده والامام العدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله
وبين عباده يَسْمع كلام الله ويُسْمعهم ويَنظر الى الله ويُريهم وينقاد
الى الله ويقودهم فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما مَلّكك الله كعبدٍ ائْتَمَنَه
سيّده واسْتَحْفَظَه مالَه وعيالَه فبَدّد المالَ وشرّد العيال فأفقرَ أهلَه
وفَرّق مالَه واعلم ياأمير المؤمنين ان الله أنزل الحُدودَ ليَزْجربها عن
الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الله أنزل القصاص
حياةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهُم من يَقْتَصّ لهم واذكر ياأمير المؤمنين
الموتَ وما بعده وقلة أشْياعك عنده وأنصارك عليه فتَزَوّدْ له ولما
بَعْدَه من الفَزَع الاكبر واعلم ياأمير المؤمنين ان لك منزلا غيرَ منزلك
الذى أنت فيه يطول فيه ثَوَاؤُك ويُفارقك أحبّاؤُك يُسْلمونك فى قَعْره
فريدا وحيدا فتَزَوّدْ له ما يَصْحَبك يومَ يَفِرّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبَنيه واذكر ياأمير المؤمنين اذا بُعْثِر مافى القُبور وحُصّل
مافى الصدور فالأسْرَار ظاهرة والكتاب لايُغادر صغيرةً ولا كبيرة
الّا أحْصاها فالآن ياأمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجَل
وانقطاع الأمل لاتحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحُكم الجاهلين
ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ولا تُسَلّط المستكبرين على المستضعَفين
فانهم لايَرْقُبون فى مؤمنٍ إلّا ولا ذِمّةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك
وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك ولا يَغُرّنّك الذين يتَنَعّمون بما فيه
بُؤْسُك ويأكلون الطيبات فى دُنياهم بِإذهاب طيّباتِك فى آخرتِك

لاتَنْظُر الى قُدْرتِك اليومَ ولكن انظر الى قدرتِك غدًا وأنتَ مأسورٌ في حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مَجْمَع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنَت الوجوه للحىّ القيُّوم انّى ياأمير المؤمنين وان لم أبْلُغْ بِعظتى مابَلَغَه أولو النُّهَى من قَبْلِى فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونصْحًا فأنْزِل كتابى اليك كمُداوى حبيبه يَسْقيه الأدْويةَ الكريهة لِمَا يَرْجُوله فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته

وللفرزدق فى وصـــف الامام زين العـابدين

رضى الله تعالى عنـــه

هذا الذى تَعْرِف البَطْحاءُ وَطْأتَه ... والبيتُ يعـرفه والحِلّ والحَـرَمُ
هـــذا ابن خير عبـاد الله كلهم ... هـــذا التَّقِىّ النَّقِىّ الطاهر العَـلَمُ
اذا رأته قـــريش قال قائلهـا ... الى مكارم هـــذا ينتهى الـكرم
يُنْمَى الى ذِرْوة العِــزّ التى قَصُرت ... عن نَيْلها عَرَب الاسلام والعجم
يَكاد يُمْسِـــكه عِرْفانَ راحتــه ... رُكْنُ الحَطـيم اذا ماجاء يَسْــتلِم
فى كَفِّه خَيْزُرانٌ ريحُه عَبِـقٌ ... من كَفّ أرْوَع فى عِرْنِينِـه شَمَمُ
يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى من مَهابَتِـه ... فمـا يُكَلَّم إلَّا حين يَبْتَسِـم
يَنْشَـقّ نور الهُدَى من نُور غُرَّته ... كالشمس يَنْجاب عن إشْراقها القَتَم
مُشْــتَقَّة من كِرامِ القوم نَبْعَتُـه ... طابَت عَناصره والخِيمُ والشِّـيَمُ
هذا ابن فاطمةٍ ان كنتَ جاهِـلَه ... بجَــدّه أنْبِيـاءُ الله قـــد خُتِموا

اللهُ شَـــرّفَهُ قَـــدْرًا وعَظّمَـــه جَرَى بذاكَ له فى لَوْحِـــه القَـــلَمُ
وليس قَوْلُك مَن هذا بضائرِه العُرْب تَعْرِف مَن أنكرتَ والعَجَم
كِلْتَـا يَديه غِياثٌ عَمّ نَفْعُهُمـا يُسْتَوْكَفَانِ ولا يَعْـرُوهما عَدَم
سَـــهْل الخَليقة لاتُخْشَى بَوَادِرُه يَزِينه اثنانِ حُسْن الخَلْق والشِّـيَم
حَمّال أثْقـال أقْوامٍ اذا افْتَرَضوا حُـلْو الشَمَائل يَحْلو عنـــده نَعَمُ
ماقال لا قَطُّ الّا فى تَشَـــهُّده لولا التَشَهُّد كانت لاؤه نَعَم
عَمّ البَرِيّةَ بالاحسان فانْقَشَـعَتْ عنها الغَياهب والإمْلاق والعَـدَم
من معشرٍ حُبهم دينٌ وبُغضُـــهم كُفرٌ وقُربُهم مَنجًى ومعتصَـــم
انْ عُدَّ أهلُ التُقى كانوا أئمّتهم أوقيلَ مَن خَيرُ أهلِ الأرض قيل هُمُ
لايَسْــتَطيع جوابا بعـــد غايتهم ولا يُدانيهم قَــومٌ وان كَـرُمُوا
هُمُ الغُيوثُ اذا ما أزْمَـــةٌ أزَمَتْ والأُسْدُ أُسْدُ الشَرَى والبَأْسُ مُحْتَدِم
لاينْقُصُ العُسْرُ بَسْطًا من أكُفّهِم سِـيّانِ ذلك إن أثْرَوْا وان عَدِموا
مُقَـــدَّمٌ بعد ذكرِ الله ذِكْـرهمُ فى كُلِّ بَدْءٍ ومَخْتُــوم به الكَلِم
يأْبَى لَهُمْ أنْ يَحُـلَّ الذَّمُّ ساحتَهم خُلْقٌ كَريمٌ وأيدٍ بالنَـدَى هُضُم
أىُّ الخلائق ليست فى رِقابِهِــم لأوّلِيّـــة هـــذا أوْلَهُ نِـــعَمُ
من يَعْرِفِ الله يَعْرِف أوّليّة ذا فالدِّين من بيتِ هــذا نالَهُ الامم

وخطب واصل بن عطاء وكان ألثغ بالراء فكان لذلك يتجنبها فى كلامه

الحمد لله القــديم بلا غاية والباقى بلا نهاية الذى علا فى دنوه ودنا فى علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ماخلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا فأحسن كل شئ خلقه وتمم مشــيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لامعقب لحكمه ولا دافــع لقضائه تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لسلطانه ووسع كل شئ فضله لايعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم وأشهد أن لااله الا الله وحده الها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الافهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبــل التوبة من عباده ويعفو عن الســيآت ويعلم مايفعلون وأشهد شهادة حق وقول صدق باخلاص نية وصحة طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصــته وصفيه ابتعثه الى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله لا تأخذه فى الله لومة لائم ولا يصده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين فصــلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى وأتم وأنمى وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه وخالصة ملائكته

وأضعافَ ذلك انه حميد مجيد أُوصيـكم عبادَ الله مع نفسى بتقوى الله والعَمَل بطاعتـه والمُجانبة لمعصيته وأحُضكم على مايُدْنيكم منه ويُزْلفكم لَدَيْه فان تقوى الله أفضـلُ زاد وأحسن عاقبـة فى مَعَاد ولا تُلْهِيَنَّكم الحياةُ الدنيا بزِينَتِها وخَدْعها وفوَاتِنِ لذَّاتِها وشَهَوات آمالِها فانها متاعٌ قليل ومُدَّةٌ الى حين وكلُّ شئ منها يَزُول فكم عايَنْتُمْ من أعاجيبها وكم نَصَبَتْ لكم من حَبَائلها وأهْلَكَتْ مَن جَنَح اليها واعْتَمَد عليهـا أذاقتهم حُلْوا ومَزَجَت لهم سُمّا أين الملوك الذين بَنُوا المَدَائن وشَـيّدوا المصـانع وأوثقُوا الأبواب وكاثفوا الحِجاب وأعَدُّوا الجيـادَ ومَلكوا البِلاد واسْتَخْدموا التِلاد قَبَضَتْهُم بمَحْمَلِها وطَحَنَتْهُم بكَلْكَلها وعَضَّتهم بأنْيابِها وعاضَـتْهُم من السَـعة ضيقا ومن العِزّة ذُلا ومن الحَياة فَنَاء فَسَكَنُوا اللُحُود وأكَلَهُـم الدُود وأصْبَحُوا لاترَى الاّ مَسَاكنهم ولا تَجد الاّ مَعَالِمَهم ولا تُحِسّ منهم من أحد ولا تَسْمَع لهم نَبْسا فتَزَوّدُوا عافاكم اللهُ فانّ أفضَـلَ الزاد التَقْوَى واتقوا الله ياأولى الألباب لعلكم تفلحون جَعَلَنا اللهُ وايّاكم ممن يَنْتَفِـع بمَوَاعِظه ويَعْمَل لحَظّه وسَعَادَته وممن يَسْتَمِـع القولَ فيَتّبِـع أحْسَنَه أولئك الذين هَـداهُم الله وأولئك هم أولو الألباب انّ أحْسن قَصَص المؤمنين وأبْلَغ مَوَاعِظ المُتَّقيـن كتابُ الله الزّكيّـــة آياتُه الواضِحة بَيّناته فاذا تُلِى عليكم فَأنْصِتُوا له واسْمَعُوا لعلكم تفلحون أعوذ بالله القَوِىّ من الشيطان الغَوِىّ انّ الله هو السميع العليم قل هو اللهُ أحَد اللهُ الصَمَد لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له

كفوا أحد ثم قال ـ نَفَعنا اللهُ وإياكم بالكتاب الحكيم والوَحْى المُبين وأعاذَنَا وإياكم من العذاب الأليم وأدْخَلَنا وإياكم جنّات النعيم

كتاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الى بعض اخوانه يعاتبـــه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقَنِى الشَــكّ فى أمْرِكَ عن عَزِيمة الرأى فيك وذلك أنك ابْتَــدَأْتَنِى بلُطْفٍ عن غير خِبْرة ثم أعْقَبْتَنِى جَفَاءً عن غير جَرِيرة فأطْمَعَنِى أوّلُك فى اخائك وأيْأسَنِى آخِرُك عن وَفَائك فَلَا أنا فى اليَوْم مُجْمِـعٌ لك اطّراحا ولا أنا فى غَدٍ وانتظارِه منـك على ثِقَة فسبحان مَن لو شاء كَشَفَ بايضاح الرّأى فى أمْرِك عن عَزِيمة الشّكّ فيك فاجْتَمَعْنا على ائْتِلاف أو افْتَرَقْنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو فى السجن الى أبى مسلم صاحب الدعوة يَسْتَعْطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسِير فى يَدَيه بِلا ذَنْبٍ اليه ولا خِلافٍ عليه (أما بعد) فآتاكَ الله حِفْظَ الوَصِــيّة ومَنَحك نَصِيحةَ الرَّعِيّـــة وألْهَمَك عَدْل القَضِــيّة فانك مُسْــتَوْدَع الوَدائع ومُولِى الصَــنائع فاحفظْ ودائعَك بحسن

صَنائعك فالودائع عارِيَّة والصـــنائع مَرعِيّة وما النِّعَمُ عليك وعلينا فيك بمَنْزُورٍ نَدَاهــا ولا بمَبْلُوغ مَدَاهــا فَنَبِّه للتّفكير قلبَك واتّق الله ربّك واعْطِ مِنْ نفسـك مَن هو تحتَك ماتُحِبّ أن يُعطِيَـك من هو فوقَك من العَــدْل والرّأفة والأمْن من المخافة فقد أنعم الله عليــك بأن فوّض أمْرنا اليك فاعْرِفْ لنا لِينَ شُكر المَوَدّة واغتِفار مَسّ الشّـدّة والرضا بمـا رَضِيتَ والقناعة بمـا هَوِيتَ فان علينا مِن سَمْك الحديد وثِقْـله أذى شــــدِيدًا مع مُعالجة الأغلال وقلّة رحمــة العُمّال الذين تَسْهِيلُهم الغِلْظة وتَيْسيرهُم الفظاظة وإيرادُهم علينا الغُموم وتَوْجيهُهُم الينا الهموم زِيارتُهم الحِراسة وبِشارتُهم الإياسة فاليك بعد الله نَرْفَع كُرْبَةَ الشَّكْوَى ونَشْكو شدّة البَلْوى فَمَتَى تُمِلْ الينا طَرْفًا وتُولِنا منك عَطْفًا تجد عندنا نُصْحا صَرِيحا ووُدًّا صحيحا لايُضَيّع مثلُك مثلَه ولا يَنْفِي مثلك أهلَه فارْعَ حُرْمة مَن أدْرَكْتَ بحُرْمته واعْرِف حُجّة من فَلَجْت بحُجّته فان الناسَ مِن حَوْضِك رِوَاء ونَحْن منه ظِماء يمشون فى الآبراد ونحن نَحْجِل فى الأقْياد بعد الخير والسَّــعَة والخَفْض والدَّعة والله المُستعانُ وعليـــه التُّكْلان صَرِيح الأخبار مَنْجَى الأبْرار النـاس من دَوْلَتنا فى رَخاء ونحن منهـا فى بَلاء حين أمِن الخائفون ورَجَع الهـارِبُون رَزَقنا الله منك التَّحَنُّن وظاهَرَ علينا من التَّمَنُّن فانك أمِينٌ مُسْــتَوْدع ورائدٌ مُصْطَنَع والسلام ورحمة الله

رسالة عبدالحميد الكاتب التى أوصى فيها الكُتَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَفِظكم اللهُ يأهل صِناعة الكتابة وحاطَكم ووفَّقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعلَ الناسَ بعد الانبياء والمرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ومِن بَعْد الملوك المكرَّمين أصْنافا وان كانوا فى الحقيقة سواءً وصَرَّفهم فى صُنُوف الصِناعات وضُروب المحاولات الى أسباب معاشِهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشرَ الكُتّاب فى أشْرَف الجهات أهل الأدَب والمُرُوات والعِلْم والرَزانة بكم تنتظِم للخلافة مَحاسنُها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يُصْلِحُ اللهُ للخلق سلطانَهم وتَعْمُر بلْدانُهم لايَسْتَغْنى المَلِك عنكم ولا يُوجَد كافٍ الّا مِنكم فَموْقِعكُم من المُلوك مَوْقِعُ أسْماعِهم التى بها يَسْمَعون وأبْصارهم التى بها يُبْصِرون وألْسِنَتِهم التى بها يَنطِقون وأيديهم التى بها يَبْطِشون فأمْتَعكُم اللهُ بما خَصّكم من فَضْل صِناعَتكم ولا نَزَعَ عنكم ماأضْفاه من النّعْمَة عليكم وليس أحدٌ من أهل الصِناعات كلّها أحْوَجَ الى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيّها الكتّاب اذا كنتم على مايأتى فى هذا الكتاب من صِفَتكم فان الكاتب يَحْتاج فى نفسه ويَحْتاج منه صاحِبُه الذى يثِق به فى مُهِمّات أُموره أن يكون حليما فى موضع الحِلْم فهيما فى موضع الحُكْم مِقْداما فى موضع الاِقْدام مِحْجَاما فى موضع

الإحجام مُؤْثِرًا للعَفاف والعَـدْل والانصاف كَتُوما للاَسْرار وفيًّا عنـد الشدائد عالما بمـا يأتى من النوازل يَضع الأُمُور مواضِعَها والطَوارق فى أمَا كنها قد نَظَر فى كل فَنّ من فُنون العِـــلْم فأحكَمَه وان لم يُحْكِمْه أخَذ منه بمقدار مايكْتَفِى به يَعْرِف بغريزة عَقْله وحُسْن أدَبه وفَضْـل تَجْرِبَته مايَرِد عليه قبلَ وُرُوده وعاقِبَةَ مايَصْدُر عنه قبلَ صُدُوره فيُعِدّ لِكلِ أمْرٍ عُدّته وعَتادَه ويُهيِّئ لكل وجهٍ هيئته وعادَته فتنافسُوا يامعشر الكُتّاب فى صُـنوف الآداب وتَفَهّموا فى الدين وابدؤا بِعِـلْم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العَرَبِية فانها ثقاف ألْسِنتكم ثم أجِيـدُوا الخَطَّ فانه حِلْيَة كُتُبكم وارْوُوا الاشْعار واعرِفوا غَرِيبَها ومَعانِيها وأيّام العَرَب والعَجَم وأحادِيثَها وسِيَرَها فان ذلك مُعِين لكم على ماتَسْمُو اليه هِمَمُكم ولا تُضَيّعوا النَظَر فى الحِساب فانه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنِيّها ودَنِيّها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فانها مَذَلّة للرِّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزِّهوا صِـناعَتكم عن الدَناءة وارْبَؤا بأنْفُسكم عن السِـعايَة والنَميمة وما فيـه أهـل الجَهالات وإيّاكم والكِبْر والسُخْف والعَظَمة فانهـا عَداوة مُجْتَلَبة من غير إحْنَـةٍ وتَحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتَواصَوْا عليها بالذى هو ألْيَق لأهـل الفضـل والعـدل والنُبْل مِن سَلَفكم وإنْ نَبَا الزمانُ برجُل منكم فاعْطِفُوا عليـه وواسُوه حتى يرجِع اليـه حالُه ويَثُوب اليه أمْرُه وان أقْعَد أحدًا منكم الكِبَر عن مَكْسَبه ولِقاءِ اخْوانِه فَزُورُوه وعظِّموه وشاوِرُوه واسْتَظْهِروا بفَضْل

تَجْرِبَتِهِ وقَدِيم مَعْرِفَتِهِ ولْيَكُن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعَه واسْتَظْهر به لِيَوْمِ حاجَتِهِ اليه أَحْوَطَ منه على وَلَدِهِ وأَخِيه فان عَرَضَت فى الشُّغْل مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفْها الاّ الى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فَلْيَحْمِلْها هو مِن دونه ولْيَحْذَر السَّقْطة والزَّلّة والمَلَل عنــد تغــيُّر الحال فان العَيب اليكم مَعشر الكتّاب أَسْرَعُ منه الى القرّاء وهو لكم أَفْسَد منه لهـا فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من نَفْسه مايَجِب له عليــه من حَقّه فواجبٌ عليــه أن يعتقد له من وفائه وشُكْره واحتماله ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ماهو جزاءٌ لِحَقّه ويصـــدّق ذلك بِفعْلُه عنــد الحاجة اليــه والاضـطرار الى مالديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرَّخاء والشدّة والحِرْمان والمُواساة والاحسان والسَّراء والضَّراء فنِعْمَت الشِيمة هــذه لمن وُسِم بها من أهل هــذه الصــناعة الشريفة. واذا وَلِيَ الرجلُ منكم أو صُــيِّر اليه من أَمْر خَلْق الله وعِيالِه أَمْرٌ فلْيُراقب الله عز وجل ولْيُؤْثِرْ طاعتــه وليكُن على الضعيف رفيقا وللمظلوم مُنْصفا فانّ الخَلْقَ عِيالُ الله وأحبهم اليه أرفَقُهم بعياله ثم ليَكُنْ بالعَدْل حاكما وللأشراف مُكْرِمًا وللفَيء مُوَفِّرا وللبلاد عامِرا وللرَّعيّة مُتألِّفًا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واســتقضاء حقوقه دقيقــا واذا صَحِبَ أحدُكم رجلا فَلْيَخْتَبِرْ خَلائقه فاذا عَرَف حَسَنَها وقبيحَها أعانه على مايوافقه من الحَسَن واحتال على صَرْفه عمّا يَهْواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وســيلة

وقد علمتم أن سائس البَهيمة اذا كان بصـيرا بسياسـتها التمَس معرفةَ أخْلاقها فان كانت رَمُوحا لم يَهِجْها اذا رَكِبَها وان كانت شَـبو با اتقاها من بين يديها وان خاف منها شُرودا توَقّاها من ناحية رأسها وان كانت حَرُونا قمَع برِفْقٍ هَواها فى طُرُقها فان استمرت عَطَفَها يسيرا فيَسْلِس له قِيادُها وفى هذا الوصف من السياسة دلائلُ لِمَن ساسَ الناسَ وعامَلَهم وجَرّبهم وداخَلَهم والكاتِب لفَضْـل أدَبِهِ وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويَفْهم عنـه أو يَخاف سَطْوتَه أوْلَى بالرِّفْق لصاحبه ومُداراته وتقويم أوَدِه مِن سائس البهيمة التى لا تُحِير جوابا ولا تَعْرف صوابا ولا تَفْهم خطابا الآ بقدر مايُصَيِّرها اليـه صـاحبُها الراكب عليها ألَا فارْفُقوا رحمكم اللهُ فى النظر وأعْملوا ماأمكنكم فيـه من الرَّوِيّة والفِكر تأْمَنُوا باذْن الله ممَّن صَحِبتُموه النَبْوَةَ والاستثقال والجَفْوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المُؤاخاة والشفقة ان شاء اللهُ ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ مِنكم فى هيئة مجلِسـه ومَلْبَسه ومَرْكَبِـه ومَطْعَمه ومَشْربِه وخَدَمه وغير ذلك من فنون أمْرِه قدر حقّـه فانكم مع مافضَّلكم اللهُ به من شَرَف صَنْعَتكم خَدَمة لاتُحْمَلون فى خِدْمتكم على التقصير وحفَظَةٌ لاتُحْتَمَلُ منكم أفعالُ التَضييع والتبذير واستعينوا على أفعالِكم بالقَصْـد فى كل ماذَكَرْتُه لكم وقَصَصْتُه عليكم واحذَروا مَتالِف السَرَف وسوءَ عاقبـة الترَف فانهـما يُعْقبان الفقر ويُذِلّان الرِّقابَ ويَفْضَحان أهْلَهُما ولا سيما الكُتّاب وأرباب الآداب

وللأُمور أشباه وبعضُها دليل على بعض فاسْتَدِلّوا على مُؤْتَنَف أعمالكم بمـا سبقت اليه تَجْرِبَتُكم ثم اسْلُكُوا مِن مَسالِك التدبير أوْضَحَها مَحَجّة وأصـــدَقها حُجّة وأحْمَدها عاقبـة واعلموا أن للتدبير آفةً مُتْلفة وهو الوَصْف الشاغِل لصاحبه عن إنْفاذ عِلْمه ورَوِيّته فليَقْصد الرجل منكم فى مجلِســه قَصْــد الكافى فى مَنْطِقه وليُوجِزْ فى ابتــدائه وجوابِه وليَأخُذ بمَجامِـع حُجَجه فان ذلك مصلحة لفِعْـلِه ومَدْفَعة للشاغل من إكْثاره وليَضْرَع الى الله فى صِلة توفيقه وإمْداده بتسديده مَخافة وُقوعه فى الغَلَط المُضِرّ ببدنه وعَقْله وأدَبه فانه إنْ ظَنّ منكم ظانٌّ أو قال قائل إنّ الذى بَرَز من جميل صَـنْعته وقوّة حركته انمـا هو بفَضْل حيلته وحُسْن تدبيره فقد تَعَرّض بحُسْن ظنّــه أو مَقالته الى أن يَكِلَه اللهُ عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كافٍ وذلك على مَن تأمّله غيرُ خاف ولا يَقُلْ أحَدٌ منكم إنه أبْصَر بالأمور وأحْمَل لأعْباء التدبير من مُرافِقه فى صِناعته ومُصاحبه فى خدمته فانّ أعْقَل الرجُلين عند ذَوِى الألباب مَن رَمَى بالعُجْب وراءَ ظهره ورأى انّ أصحابَه أعْقَلُ منه وأجْمَلُ فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضْلَ نِعَم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيِه ولا تزْكِيَة لنفسه ولا يُكاثِر على أخيه أو نظيره وصاحِبه وعَشيره وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلُّل لِعزّته والتحدّث بنعمتِه وأنا أقول فى كتابى هذا ما سَبق به المَثَل مَن تَلْزَمه النصيحة يَلْزَمه العَمَل وهو جوهر هذا الكتاب وغُرّة

كلامه بعد الذى فيه مِن ذِكْر الله عز وجل فلذلك جعلتُه آخِرَه وتَمَّمتُه به تولاّنا الله وإيّاكم يامعشر الطَلَبة والكَتَبَة بما يَتَولّى به مَن سَبَق عِلْمُه بإسْعاده وإرْشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مُشاورة المَهْدى لاهل بيتـــه فى حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه فى العِقد الفريد

هذا ماتَرَاجَع فيه المهدى ووزراؤُه وما دار بينَهم من تدبير الرأى فى حرب خراســان أيّامَ تَحامَلَت عليهم العُمّال وأعنَفت فحَمَلَتْهم الدالّة وما تقدّم لهم من المَكانة على أنْ نَكَثوا بيعَتَهم ونَقَضوا مَوْثِقَهُم وطَرَدُوا العُمّال والْتَوَوْا بمـا عليهم من الخراج وحَمَل المَهْدى مايُحِبُّ من مصلحتِهِم ويكْرَه من عَنَتِهِم على أنـ أقال عَثْرَتَهم واغْتَفر زَلَّتَهم واحتَمَل دالَّتَهم تَطَوُّلًا بالفضل واتِّساعا بالعفو وأخْذًا بالحُجّة ورِفْقا بالسِياسة ولذلك لم يَزَل مُذْ حَمَّلَه اللهُ أعْباءَ الخلافة وقَلَّده أمورَ الرَّعِيَّة رفيقا بمَدار سلطانه بصيرا بأهل زَمانه باسِطا للمَعْدَلة فى رعِيّتِه تَسْكُن الى كَنَفه وتأْنَس بعَفْوه وتَثِق بحِلْمه فاذا وَقَعت الأَقْضِية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوادة ولا إغْضاء ولا مُداهَنة أَثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدعَا أهلَ خُراسان الاغترارُ بحِلْمِه والثِقـة بعفوه أن كَسَّرُوا الخراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ماليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتـذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّـلا باعتِلال فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مجلس

خَلائه وبَعَث الى نَفَرٍ من لُحْمته ووُزرائه فأعْلَمَهم الحال واستفهم للرعية ثم أمَرَ المَوالِيَ بالابتداء وقال للعباس بن محمد أى عَمّ تَعَقَّبْ قولَنا وكُنْ حَكَمًا بيْننا وأرسَل الى وَلَدَيْه مُوسَى وهارُون فأحْضَرَهما الامْر وشارَكَهما فى الرّأى وأمَرَ محمد بن اللَّيث بحفظ مُرَاجَعَتهم واثبات مَقَالتهم فى كتاب فقال سلّام صاحب المَظَالم

أيُّها المهدى ان فى كل أمرٍ غاية ولكل قوم صناعة اسْتَفْرَغَت رأيَهم واسْتَغْرَقَتْ أشــغالَهم واسْتَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بهـا وذَهَبَت بهم وعُرِفوا بها وعُرِفت بهم ولهذه الأمور التى جَعَلْتَنا فيها غاية وطَلَبْتَ مَعُونتنا عليهـا أقوام من أبناء الحَرْب وساسةِ الأمور وقادَة الجُنود وفُرسان المَزَاحِف واخوان التجَارِب وأبطال الوقائع الذين رشَّحَتْهُم سِجَالُها وفيَّأتْهم ظِلالُها وعَضَّتْهم شَدَائدُها وقَرمَتْهُم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ ماقِبَلَهم وكَشَفْتَ ماعنــدهم لوَجَدْتَ نَظَائِرَ تُؤَيِّد أمْرَك وتَجَارِبَ تُوَافق نَظَرَك وأحاديث تُقَوِّى قَلْبَك فأمّا نحن معاشرَ عُمّالك وأصْحاب دَوَاوِينك فحَسَنٌ بِنَا وكثيرٌ مِنّا أن تقوم بِثِقْل ماحَمَّلْتَنا من عَمَلك واسْــتَوْدَعْتنا من أمانَتك وشَغَلْتَنا به من امْضاء عَدْلك وانْفاذ حُكْمك واظْهار حَقّك

فأجابَه المهدى انّ فى كلّ قَوْمٍ حِكْمَة ولكُلّ زمانٍ سِياسة وفى كُلّ حال تَدْبيرا يُبْطِل الآخِرُ الأوّلَ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نَعَمْ أيُّها المهدى أنْتَ مُتَّبَع الرَّأى وَثيق العُقْدة قَوِى المُنّــة بليغ الفِطْنَة مَعْصُوم النِّيّة مَحْضُور الرَوِيّة مُؤَيَّد البَديهة مُوَفَّق العَزِيمة مُعَان

بالظَّفر مَهْدِىّ الى الخَيْران هَمَمْتَ ففى عَزْمك مَوَاقع الظّن وان اجْتَمَعْت صَــدَع فعْلُك مُلْتَبِس الشّــكّ فاعْزِم يَهْدِ اللهُ الى الصواب قَلْبَك وقُل يُنْطق اللهُ بالحقّ لِسانَك فان جُنودك جَمّة وخَزائنك عامِرة ونفسك سَخِيّة وأَمْرك نافذ

فاجابه المهدى انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمة ومِفْتاحا بَرَكة لايَهْلك عليهــما رأىٌ ولايَتَغَيَّل مَعَهُما حَزم فأشــيروا برَأيكم وقولوا بما يَحْضُرُكم فانى من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع

أيُّها المَهْدى انّ تصاريف وُجُوه الرَّأْى كثيرة وان الاشارة ببعض مَعَاريض القول يَسيرة ولكن خراسان أرضٌ بَعيدة المسافة مُتَراخية الشُّقَّة مُتَفاوِتة السَبيل فاذا ارْتَأيْتَ من مُحْكَم التَّدْبير ومُبْرَم التقدير ولُبَاب الصواب رَأْيًا قد أحْكَمَه نَظَرُك وقَلَّبه تَدْبيرك فليس وراءَه مَذْهَب طاعن ولا دُونه مَعْلَّق لخصومة عائب ثم أجَبْتَ البُرُد بِهِ وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَى أن لايصل اليهم مُحْكَمُه إلا وقد حدث منهم ماينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع اليك الرسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصــادر أمورهم فتُحْدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحلَق وتحللت العُقَد واسترخى الحِقَاب وامتد الزمان ثم لعلما موقع الآخرة كمصـــدر الاولى ولكن الرأى لك أيها المهدى وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفِكَر فيما جَمَعْتنا له واستشرتنا فيــه من

التــدبير لحَرْبهم والحِيَل فى أمْرِهم الى الطَّلَب لرَجُلٍ ذى دين فاضــل وعقل كامل ووَرَع واسع ليس موصــوفا بهوًى فى ســواك ولا مُتَّهَما فى أثَرَة عليك ولا ظَنينا على دُخْلةٍ مكروهة ولامَنْسوبا الى بِدْعة مَحْذورة فيَقْدَح فى مُلْكك ويُرِيض الأمورَ لغَيرك ثم تُسْند اليه أمورَهم وتفوّض اليه حَرْبَهم وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك مالَزِمه الحَزم وخلاف نَهْيك اذا خالفه الرّأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى ينْقَضّ أمْرُ الغـائب عنها ويَثْبُتُ رأىُ الشاهد لهـا فانه اذا فعل ذلك فواثَبَ أمْرَهم من قريب وسَقَط عنه مايأتى من بعيد تَمّت الحيلة وقَوِيَت المَكيدة ونَفَذَ العَمَل وأُحِدّ النظر ان شاء اللهُ

قال الفضل بن العباس

أيُّها المهــدىّ ان ولىّ الامور وسائس الحروب رُبّمـا نَحّى جُنودَه وفرّق امواله فى غير ماضيقِ أمْرٍ حَزَبَه ولا ضَغْطةِ حالٍ اضْطَرّتْه فيَقْعد عنــد الحاجة اليها وبعــد التفرقة لها عَديمـا منها فاقدا لها لايثِق بقوّة ولا يَصُول بعُــدّة ولا يفْزَع الى ثِقَة فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تُعْفى خزائنَــك من الانفاق للاموال وجُنودَك من مُكابدة الاسفار ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ولاتُسْرع للقوم فى الاجابة الى مايطلبون والعطاء لمــا يسألون فيَفْســد عليك أدَبُهم وتُجَرّئ من رَعيّتــك غيْرَهم ولكن اغْزُهم بالحيلة وقاتِلْهم بالمكيدة وصارِعْهم باللّين وخاتِلْهم بالرفْق وأبْرِقْ لهم بالقول وأرْعِدْ نحوهم بالفِعل وابْعَث البُعوث وجَنّــد الجنود

وكَتِّب الكتائب واعقد الألْوِية وانصب الرّايات وأظْهِر أنك مُوَجِّه اليهم الجُيوش مع أحْنَق قُوّادك عليهم وأسْوَئِهم أثرًا فيهم ثم ادسُس الرُسُـل وابْثُث الكُتُب وضَعْ بَعْضَهم على طَمَع من وَعْدك وبَعْضًا على خَوف من وَعيدك وأوْقد بذلك وأشْباهه نيرانَ التحَاسُد فيهم واغرِس أشجار التَنافُس بينهم حتى تملأ القلوب من الوَحشة وتَنْطوى الصدور على البِغْضة ويَدخل كُلًّا من كُلّ الحَـذَر والهَيْبَة فانّ مَرام الظَفَر بالغِيـلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب والمُكايَدة بالرُسُل والمُقارَعة بالكلام اللطيف المُدْخَل فى القلوب القَوِىّ المَوْقع من النفوس المَعقود بالحُجَج المَوْصول بالحِيَل المَبْنى على اللين الذى يستميل القلوب ويسترقّ العقول والآراء ويستميل الأهْواء ويستدعى المُوَاتاة أنفَـذُ من القتال بظُبَات السُيوف وأسِنَّة الرِماح كما أنّ الوالِىَ الذى يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُفَرّق كلمةَ عَدُوه بالمُكايدة أحكَم عَمَلًا وألطَف مَنْظَرا وأحْسَنُ سِياسةً من الذى لايَنَال ذلك الّا بالقتال والاتْلاف للاموال والتَغرير والخِطَار ولْيَعلَمَ المهدى أنه ان وَجَّه لِقتالهم رَجُلا لم يَسِر لِقتالهم الّا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقْدِم على أسفار ضَيّقة وأموالٍ متفرقة وقُوّاد غَشَشَة ان ائْتَمَنَهُمْ اسْتَنْفَدُوا مالَه وان اسْتَنْصَحَهم كانوا عليه لا لَهُ

قال المهدى هذا رأىٌ قد أسـفر نُورُهُ وأبرق ضَوْءُهُ وتَمَثَّـل صوابُهُ للعيون ومَجُد حَقُّه فى القلوب ولكن فوق كل ذى علم عليم ثم نظر الى ابنه علىّ فقال ماتقول

قال على

أيها المهدى ان أهل خراسان لم يَخْلَعوا عن طاعتك ولم يَنْصِبوا من دونِك أحدًا يقدَح فى تغيير ملكك ويُريض الأمورَ لفساد دولتك ولو فَعَلُوا لكان الخَطْبُ أيسر والشأن أصْغَر والحالُ أذلّ لأن اللهَ مع حقّه الذى لايَخْذُله وعنــد موعِده الذى لايُخْلِفه ولكنهم قوم من رعيتــك وطائفة من شِــيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حاكما طَلبوا حَقّا وسألوا انصافا فان أجبتَ الى دعوتهم ونَفَّسْتَ عنهم قبل أن يَتَلاحَم منهم حال أويَحْدُث مِن عندِهم فَتْق أطَعْتَ أمرَ الرّبّ وأطْفَأْتَ ثائرةَ الحَرْب ووَفّرتَ خزائن المال وطَرَحْتَ تَغْرِير القتال وحَمل الناسُ مَحْمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيّة حِلْمك واسْجاح خَليقتك ومَعْدَلة نَظَرك فأمنْتَ أنْ تُنْسَبَ الى ضُعْف وان يكون ذلك فيما بقى دُرْبَةً وان مَنَعْتَهم ماطلبوا ولمتُجِبْهُم الى ماسألوا اعْتدلَتْ بك وبهم الحال وساوَيتَهم فى ميدان الخطاب فما أرَبُ المهدى أن يَعْمِد الى طائفةٍ من رعيته مُقِرّين بمَمْلكته مُذْعنين بطاعته لايُخْرجون أنفسهم عن قدرته ولا يُبَرّؤنها من عبوديته فيُمَلِّكَهُم أنْفُسَهم ويَخْلَع نفســه عنهم ويَقف على الحِيَل معهم ثم يجازِيهم السوءَ فى حَدّ المُنــازعة ومِضْمار المُخــاطرة أيُريد المهدى وفّقه اللهُ الأموالَ فلَعَمْرى لاينالُها ولايَظْفَر بها الا بانفاق أكثر منها مما يَطْلُب منهم وأضْعاف مايدّعِى قِبلَهم ولونالها لَحُمِلَتْ اليه أووُضِعت بخَرائطِها بين يديه ثم تجافَى لهم عنها وطال عليهم بهــا لكان

ممـا اليه يُنْسَب وبه يُعرَف من الجود الذى طَبَعه اللهُ عليه وجَعَل قُرّة عينه ونَهْمَة نفسه فيه فان قال المهدى هذا رأىٌ مستقيم سديد فى أهل الخَراج الذين شَكَوْا ظُلْمَ عُمّالنا وتحامُلَ وُلَاتنا فأمّا الجنود الذين نقضوا مواثيقَ العهود وأنْطَقوا لسان الإرْجاف وفَتَحُوا بابَ المَعْصية وكَسَّروا قَيْدَ الفِتْنة فقـد ينبغى لهم أن أجْعَلَهم نَكالا لغيرهم وعِظَةً لِسواهم فيعلم المهدى انه لو أُتِىَ بهم مَغْلولِين فى الحديد مُقَرّنين فى الاصْفاد ثم اتَّسَع لِحَقْن دِمائِهم عَفْوُه ولِاقالَةِ عَثْرَتِهم صَفْحُه واسْتَبْقاهم لمـاهم فيه من حِزْبه أو لمن بازائهم من عَدُوِّه لمـا كان بِدْعا من رَأْيِه ولامُسْتَنْكَرًا من نظره لقد عَلِمت العَرَب انه أعْظَمُ الخُلَفاء والمُلوك عَفْوًا وأشَـدُّها وَقْعا وأصْدَقها صَوْلَة وأنه لايتعاظَمُه عَفْو ولايتكاءَدُه صَفْح وانْ عَظُم الذَنْب وجَلّ الخطب فالرَّأْىُ للهدى وفّقـه الله تعالى أن يَحُـلّ عُقْدَة الغيظ بالرجاء لِحُسْن ثواب الله فى العَفْو عنهم وأن يَذْكُر أُولَى حالاتهم وضَيْعَة عِيالاتهـم بِرًّا بهـم وتَوسُّعا لهم فانهـم اخوان دَوْلته وأركان دَعْوته وأساس حَقّه الذين بِعِزّتهم يَصُول وبحُجّتهم يقول وانما مثلُهم فيما دَخَلوا فيه من مساخِطه وتعرَّضوا له من معاصيه وانْطَوَوْا فيه عن اجابته ومَثَلُه فى قلّة ماغَيَّر ذلك من رأيه فيهم أو نُقِل من حاله لهم أو تَغَيّر من نعمته بهم كمَـثَل رجلين أخَوَين مُتَناصِرَين مُتَوازِرَيْن أصابَ أحَدَهما خَبَلٌ عارض ولهوٌ حادِث فنَهَض الى أخيه بالاذى وتحامَلَ عليه بالمكروه فلم

يَزْدَد أَخُوه إِلّا رِقّةً له ولُطْفابه واحتيالا لِمُداواة مَرَضه ومراجعة حاله عَطْفا عليه وبِرًّا به ومَرْحَمَةَ له

فقال المهدى أمّا عَلِيّ فقد كَوَى سمت اللَّبَان وفَضّ القُلُوب فى أهل خراسان ولِكلّ نَبَأ مُسْتَقَر فقال ماتَرَى ياأبا محمد يعنى موسى ابْنَه

فقال موسى

أيها المهدى لاتَسْكُنْ الى حَلاوة مايَجْرِى من القول على أَلْسِنَتهــم وأنت تَرَى الدّماء تَسِيل منخَلَل فِعْلهم الحالُ من القوم يُنادِى بمَضْمَرة شَرّ وخَفِيّة حِقْد قد جعلوا المَعاذِير عليها سِتْرا واتّخَذُوا العِلَل من دونها حِجَابا رَجاء أن يُدافعوا الايام بالتأخير والامورَ بالتَطويل فَيَكْسِروا حِيَل المهدى فيهم ويُفْنُوا جُنودَه عنهم حتى يتلاحم أمْرُهم وتتلاحق مادّتُهم وتَسْتَفْحِل حَرْبُهم وتستمرّ الامور بهم والمهدىّ من قولهم فى حال غِرّة ولباس أَمَنَــة قد فَتَرَلها وأَنِس بها وسَكَن اليهــا ولولا مااجْتَمَعَتْ به قلوبهم وبَرَدَتْ عليه جُلُودهم من المُناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أوشيطان فساد لَرَهِبوا عَوَاقِبَ أخْبار الوُلَاة وغِبّ سكون الأمور فَلْيَشْدُد المهدى وفقه الله أَزْرَه لهم ويُكَتّبْ كَتَائبه نحوَهم ولْيَضَع الامر على أشَــدّ مايَحْضُره فيهم ولْيُوقِنْ أنه لا يُعْطِيهم خُطّةً يريد بهــا صَــلاَحهم الا كانت دُرْبة الى فَسادهم وقُوّةً على مَعْصيتهم وداعيةً الى عَوْدَتهم وسَــبَبًا لفَساد مَن بحَضْرته من الجنود ومَن ببــابه من الوُفود الذين أقَرّهم وتلك العــادة وأجْرَاهم على ذلك الارَب ولم يَبْرَح فى فَتْق

حادث وخلاف حاضر لا يَصلُح عليه دين ولا تستقيم به دُنْيا وان طَلَب تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُرْبَة لم يصل الى ذلك الا بالعُقوبة المُفْرطة والمَؤُنة الشديدة والرأىُ للمهدى وفقه الله أن لا يُقيل عَثْرَتَهم ولا يَقْبَل مَعْذِرَتهم حتى تَطَأَهم الجُيوش وتأخُذَهم السيوف ويَسْتَحِرّ بهم القَتْل ويُحْدق بهم المَوْت ويُحيط بهم البَلاء ويُطْبق عليهم الذّلّ فان فَعَل المهدى بهم ذلك كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل بادرة شرّ فيهم واحتمالُ المهدى فى مؤُونة غزوتِهم هذه تَضَع عنه غزَواتٍ كثيرة ونَفَقات عظيمة

قال المهدى قد قال القوم فاحكُم ياأبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيها المهدى أما (المَوالِى) فأخَذوا بفُروع الرأْى وسَلَكوا جَنَبات الصَواب وتَعَدّوا أمُورًا قَصَّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالاموال أن لا تُنْفق والجنود أن لا تُفَرَّق وبأن لا يعطَى القومُ ماطَلَبُوا ولا يُبْذَل لهم ماسألوا وجاء بأمرٍ بيْن ذلك استصغارًا لامْرهم واستِهانةً بحَرْبهم وانما يَهِيج جَسيماتِ الأمور صِغارُها وأما (علىّ) فأشار باللّين وإفْراط الرِفْق واذا جَرّد الوالى لمن غَمط أمْرَه وسَفِه حقَّه اللينَ بَحْتًا والخَيْرَ مَحْضا لم يَخْلِطْهما بشِدّة تَعْطِف القلوب عن لينِه ولا بشَرٍّ يَحْبِسهم الى خيره فقد مَلّكَهم الخَلْع لِعُذْرِهم ووسّع لهم الفُرْجة لِثَنْى أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم

ولاشدّة فَنَزْوَةٌ فى رؤوسهم يستدعون بها البَلاء الى انفسهم ويستصرخون بها رأى المهدىّ فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرعوا لِاجابته باللِّين المحض والخير الصُّراح فذلك ماعليه الظن بهم والرأىُ فيهم وما قد يُشْبه أن يكون من مِثْلِهم لأنّ الله تعالى خَلَق الجنة وجَعل فيها من النعيم المقيم والمُلْك الكبير مالا يَخْطُر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكُه الفِكَر ولا تَعْلمه نَفْس ثم دعا الناسَ اليها ورغَّبهم فيهـا فلولا انه خَلَق نارا جَعلهـا لهم رحمةً يسوقُهم بها الى الجنة لَمَـا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشِدةٍ لا لِين فيها وأن يُرْمَوْا بشرٍّ لاخيرَ معه واذا أُضْمر الوالى لِمَنْ فارقَ طاعتَه وخالف جماعتَه الخوفَ مُفْردا والشَّر مجرَّدا ليس معهـما طمع ولا لين يَثْنِيهم اشتدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين إما أن تَدْخُلهم الحَمِيّة من الشِدة والأَنَفَة من الذِّلة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك الى التَّمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت وإما أن يَنْقـادوا بالكُره ويُذْعِنوا بالقَهْر على بِغْضةٍ لازمة وعداوة باقية تُورِث النِفاق وتُعْقِب الشقاق فاذا أَمْكَنَتهم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أَمْرُهم الى أصْـعب وأَغْلَظ وأشد ممـا كان

وقال فى قول الفضل

أيها المهدى أَكْفَى دليل وأَوضح برهان وأَبْيَن خبر بأنَ قد أَجْمَع رأيه وحَزَم نَظَرُهُ على الارشاد بِبِعثة الجيوش اليهم وتوجيه البُعوث نحوَهم

مع اعطائهم ماسألوا من الحق واجابتهم الى ماسألوه من العدل

قال المهدى ذلك رأىٌ

قال هارون ماخُلطت الشدة أيها المهدى باللين فصارت الشدة أمرًا فطا مِلًا تكْرَه وعاد اللين أهْدَى قائد الى ماتُحِبّ ولكن أرَى غيرذلك

قال المهدى لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرء مُؤْتَمن بما قال وظَنين بما ادّعى حتى يأتى ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخرُج عما قلت

قال هارون

أيها المهدى انّ الحَرْب خُدَعة والأعاجم قومٌ مكَرَة ور بما اعْتَدَت الحالبهم واتَّفَقَتْ الاهواء منهم فكان باطنُ مايُسِرّون على ظاهر مايُعْلنون ور بما افترقَت الحالان وخالَف القلبَ اللسانُ فانطوَى القلبُ على مَحجُوبة تُبْطَن واسْتَسَرّ بمَدْخولة لاتُعْلَن والطبيب الرفيق بِطبّه البصير بأمْره العالِم بمُقَدَّم يدِه وموضع ميسمه لايَتَعَجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأىُ للمهـدى وفقه الله أن يَفِرّ باطنَ أمرِهم فَرَّ المُسِـنّة ويَمْخَضَ ظاهرَ حالهم مَخْضَ السقاء بمُتَـابعة الكتُب ومظاهَرة الرُسُـل ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطيةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحـال وأفضَت الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضـلال اشتملت الاهواء عليـه وانْقادَ الرجال اليه وامْتَدّت الاعْناق نحوه بِدين

يعتقــدونه وإثم يستحلّونه عصبهم بشدة لا لين فيها ورماهم بعقوبة لا عفو معها وان انفرجت العيون واهتصرت الستور ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة والامور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمـال ينكرونها وظلامات يدعونها وحقوق يسألونها بمـاتّة سابقتهم ودالّة مناصحتهـم فالرأى للمهدى وفّقه الله ان يتّسع لهم بمـا طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ماصدعوا ويرتق من فتقهم ماقطعوا ويولّى عليهم من أحبوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم فانمـا المهدى وأمّته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المجرّب الذى يحتال لمرابض غنمه وضوالّ رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علّتها ويردّ الصحيحة الى أنس جماعتها ثم ان خراسان بخاصّة الدين لهم دالّة محمولة وماتّة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوغير بهم ولا المكافأة باساءتهم لانّ مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ أحزم فى الرأى وأصحّ فى التدبير من التأخير لهـا والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها

قال المهدى مازال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من المـاء وانسلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدعوا ماسبق موسى فيه

انه هوالرأى وثنّى بعده هارون ولكن مَن لأعنّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيُّها المهدى بدوام البَحْث وطُول الفِكر أدْنَى فِراسة رَأيك وبَعْض لَحَظات نَظَرك وليس يَنْفَضّ عنك من بُيُوتات العرب و رجال العجم ذُو دِين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تُقَلّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يَحْتَمل الاَمَانة العظيمة ويَضْطَلع بالاَعْباء الثَقيـلة وأنْتَ بحمـد الله مَيْمون النَقيبة مبارك العَزيمة مَخْبور التجَارِب محمود العواقب معصوم العَزْم فليس يَقَع اختيارُك ولا يقف نَظَرُك على أحد تُوَلّيه أمْرَك وتُسْند اليه ثغرك الّا أراكَ اللهُ ماتُحبّ وجَمع لك منه ماتريد

قال المهدى انّى لأَرْجُو ذلك لقَـديم عادة الله فيه وحُسْن مَعُونَته عليه ولكن أُحبّ المُوَافقة على الرأى والاعْتبارَ للمشاورة فى الأمرِ المُهِم

قال محمّد بن الليث

أهْلُ خُرَاسان أيها المهدى قَوْمٌ ذَوُو عِزّة ومَنَعة وشـياطين خَدَعة زُروعُ الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأَنَفةعليهم ظاهرة فالرَّوِيّة عنهم عازبة والعَجَلة عنهم حاضرة تَسْبِق سيولُهم مَطَرَهم وسُيُوفُهم عَذَلَهم لأنّهم بين سِفْلَة لا يَعْدو مَبْلَغ عُقولهِم مَنْظَرعيونهم و بين رُؤساء لا يُلْجَمون الّا بشدّة ولا يُفْطَمون الّا بالمُرّ وان ولّى المهدى عليهم وضيعا لم تَنْقَدْ له العُظَماء وان ولّى أمْرَهم شريفا تَحـامَل على الضُعَفاء وانْ أخّر المهدى أمْرَهم

ودافَع حَرْبَهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومَوَاليه أو بَنى عَمّه أو بَنى أبيه ناصحا يتّفق عليه أمْرُهم وثِقَةً تجْتَمع له أمْلاَؤُهم بِلا أنَفَـة تَلْزَمُهم ولا حَمِيّة تَدْخُلهم ولامُصيبة تُنَفّرهم تَنَفَّست الايام بهم وتراخت الحال بأمرهم فَدَخَل بذلك من الفساد الكبير والضَّياع العظيم مالا يَتَلاَفاه صاحبُ هذه الصفة وان جَدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وان جَهَد الاّ بَعْدَدَهْر طويل وشرّ كبير وليس المهدى وفّقه اللهُ فاطما عاداتهم ولاقارعا صَفَاتهم بمثل أحد رَجُلين لاثالث لهما ولا عِدْلَ فى ذلك بهما أحدُهما لسانٌ ناطق موصول بسَمْعك ويدٌ مُمَثَّلة لعَينك وصَخْرة لاتُزَعْزَع وبُهْمَة لاتُثْنَى وبازلٌ لايُفْزِعه صوتُ الجُلْجُل نَقِىّ العِرْض نَزيه النَّفْس جَليل الخَطَر قداتّضَعَتْ الدُنْيا عن قَدْره وسَمَـا نحوَ الآخرة بهمّته فجَعَل الغَرَض الاقْصى لِعَينه نُصْبا والغَرَض الأدْنى لِقَدَمه مَوْطِئا فليس يَقْبَل عَمَلا ولايَتَعَدّى أملا وهو رأس مَوَاليك وأنْصح بَنى أبيك رجل قدغُذّى بلطيف كرامتك ونَبَتَ فى ظِلّ دَولتك ونَشَأ على قوائم أدبك فان قَلّدْتَه أمْرَهم وحَمّلْتَه ثِقْلَهم وأسْـنَدْتَ اليه ثَغْرَهم كان قُفْلا فتحه أمْرُك وبابًا أغْلَقَه نَهيُك فجعل العَدْل عليه وعليهم أميرا والانصافَ بينَه وبينهم حاكما واذا حكَم المَنْصَفة وسَلك المَعْدَلة فأعطاهُم مالَهُم وأخذ منهم ماعليهم غَرَس فى الذى لك بين صُدورهم وأسكَن لك فى السُوَيْدَاء داخلَ قلوبهم طاعةً راسخةَ العُرُوق باسِـقَةَ الفُروع مُتَمَـاثِلةً فى حَوَاشى عَوَامّهم مُتَمكّنَة من قُلُوب خَوَاصّهم فلا يبقى فيهم رَيْبٌ الاّ نَفَوْه ولا يلزمهم حق الا أدّوه وهـذا

أَحَدُهمـا والآخَرُ عُودٌ من غَيْضَتك ونَبْعةٌ من أُرُومَتِك فَتِيّ السِّنّ كَهْلُ الحِلْم راجحِ العقل محمود الصَّرامة مأمون الخِلاف يُجَرِّد فيهم سَيفَه ويبسط عليهم خَيْرَه بقدر مايستـحقون وعلى حسب مايَسْتَوجِبون وهو فُلَان أيها المهدى فسلِّطْه أَعَزَّك اللهُ عليهم وَوَجِّهْهُ بالجُيُوش اليهم ولا تَمْنَعْك ضَرَاعة سِنّه وحَدَاثة مَوْلِده فان الحِلْمَ والثِقَةَ مع الحَدَاثة خَيرٌ من الشَّكّ والجَهْل مع الكُهُولة وانمـا أَحْدَاثُكُمْ أهلَ البيت فيما طَبَعكم اللهُ عليـه واختَصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفَعَـال ومَحَاسن الأمور وصواب التدبير وصَرَامة الأنفس كفِراخِ عِتاق الطَّيْر المُحكَمة لأخْذ الصَّيْد بلا تَدْريب والعارِفة لوُجوه النَّفْع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُؤَدَة والرِّفق ثابتٌ فى صُدُوركم مَزْروع فى قُلوبكم مُسْتَحكم لكم مُتَكامل عندكم بطَبائعَ لازمة وغَرائزَ ثابتة

قال معاوية بن عبد الله

فَتَاءُ أهل بيتك أيهـا المهدى فى الحلم على ماذُكر وأهلُ خراسـان فى حال عِزّ على ماوُصِف ولكن انْ وَلّى المهدى عليهـم رَجُلا ليس بقديم الذِكْر فى الجنود ولا بنَبِيه الصوت فى الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الاعداء دخل ذلك أمرانِ عظيمانِ وخَطَران مَهُولان أحدُهما أن الاعداء يَغْتَمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترؤون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبارِ لأمْره والتَكَشّف لِحاله والعلم بِطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود

التى يقود والجيوش التى يسوس اذا لم يختبروا منـه البأس والنَّجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوَار قبل الاختبار وبباب المهدى وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف أهل خراسـان واجتمعوا عليه بالمِقَة ووثِقوا به كل الثِّقة فلوولّاه المهدى أمْرهم لكفاه الله شرهم قال المهدى جانَبْتَ قَصْد الرَمِيّة وأبَيْت الّا العَصَبِيّة اذ رَأْيُ الحَدَث من أهل بيتنا كرأى عَشَرَة حُلَمَاء من غيرِنا ولكن أين تركتم ولىّ العهد

قالوا

لم يَمْنَعنا من ذِكره الّا كَوْنُه شَبِيه جَدّه ونَسِـيج وَحْدِه ومن الدِين وأهلِه بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله ولكن وجَدْنا الله عز وجل حَجَب عن خَلْقه وستَرَدون عبادِه عِلْمَ ماتختلف به الأيام ومعرفةَ ماتجرى عليه المقادير من حوادث الأمور ورَيْب المَنُون المُخْتَرِمة لخَوَالى القُرون ومَوَاضى المُلوك فكرِهْنا شُسُوعَه عن مَحَلّة المُلْك ودار السلطان ومَقَرّ الإمامة والوِلاية وموضع المدائن والخزائن ومستَقَرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجْمَع الأموال التى جعلها الله قُطْبا لدار المُلْك ومَصْيَدة لقلوب الناس ومَثَابة لاخوان الطَمَع وثُوّارِ الفِتَن ودواعى البِدَع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقُلْنا انْ وجّه المهدى ولىَّ عَهْده فحدث فى جيوشه وجنوده

ماقد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدىُّ ان يُعْقبهم بغيره الا أن يَنْهَدَ اليهم بنفســه وهـذا خَطَر عظيم وهَوْل شديد ان تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض لايستغنى عنه أو يحدث أمر لابد منه صار مابعده ممـا هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدى

الخَطْب أيْسَرُ مما تَذْهَبون اليه وعلى غير ماتصفون الأمْرَ عليه نحن أهلَ البيت نَجْرى من أسـباب القضايا ومواقع الأمور على سابقٍ من العلْم ومحتوم من الأمر قد أنْبَأَتْ به الكُتُب ونَبَّأَت عليـه الرُّسُلُ وقد تَنَاهى ذلك بأجْمَعه الينـا وتَكَامل بحَذَافيره عندنا فبــه نُدَبِّر وعلى الله نتوكل انه لابد لولىّ عهدى وولىّ عهد عَقِبى بعـدى أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أما الأول فانه يُقَــدم اليهم رسـله ويُعْمِل فيهم حِيَله ثم يخرج نَشِطا اليهـم حَنِقا عليهم يريد أن لايَدَع أحدا من اخوان الفتن ودواعى البِدَع وفُرْسان الضلال الاّ تَوَطَّأهُ بحَرّ القتل وألبسه قِناعَ القهر وقلده طَوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا فى قصّ جناح الفِتْنة واخمـاد نار البِدْعة ونُصْرة وُلاة الحقّ الا أجْرَى عليهم دِيَم فَضْله وجَدَاوِل نَيْله فاذا خرج مُزْمِعًا به مُجْمِعًا عليه لم يَسِرْ الا قليلا حتى تأتيه ان قد عَمِلَتْ حِيَلُه وكَدَحَت كُتُبه ونَفَذَت مكايِده فهدأت نافرة القلوب ووقَعَتْ طائرة الأهواء واجتمع عليــه

المختلفون بالرضى فيميل نظرًا لهم وبرًا بهم وتعطفًا عليهم الى عدوّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حجّاجهم بيتَ الله الحرام وسلب تجارهم رزقَ الله الحلال وأما الآخر فانه يوجه اليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء مايطلبون وبذل مايسألون فاذا سمحت الفِرَق بقراباتها له وجنح أهل النواحى بأعناقهم نحوه فأصغت اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصد لأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمتها فألبسها جناح نعمته وأنزلها ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه ثم عمّ الجماعة بالمعدلة وتعطّف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحية دانيةٌ ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته ووصلت اليها منفعته فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد رفيعها ماخلا ناحيتين ناحية يغلب عليهـا الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته وتبطئ عن اجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه فيصطلى عليها موجوده ويبتغى لها علة لايلبث أن يجد بحقٍ يلزمهم وأمرٍ يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرّ بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع حتى يخرّب البلاد ويؤتم الأولاد وناحية لايبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدًا ولا يجعل لهم ذمة لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض فى شق العصا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم ويطلب هرابهم فى لجج البحار وقلل الجبال وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء

أيَامى وهــذا أمرٌ لانَعْرِف له فى كُتُبِنا وَقْتا ولا نُصَحّحْ منه غيرَ ماأُقْلنا تفسيرا وأما موسى ولىّ عَهْدى فهذا أوانُ تَوَجُّهه الى خراسان وحُلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُّخُوص اليها والمُقَام فيها خيرٌ للسلمين مَغَبَّةً له باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ماهو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدى ان ولىّ عهدك أصبح لأُمّتك وأهل مِلّتك عَلَما قد تَثَنّت نحوَه أعناقُها ومدّتْ سَمْتَه أبصارَها وقد كان لُقْرب داره منك ومحلّ جِواره لك عُطْل الحال غُفْل الأمر واسِعَ العُذْر فأما اذا انْفَرَد بنفسه وخَلا بنَظَره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقَّد مَخَارِج رأيِه وتَسْتَنْصِت لِمَوَاقع آثارِه وتَسْأل عن حوادِث أحواله فى بِرِّه ومَرْحَمته وإِقْساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ماسَبَق اليهم أَغْلَبَ الاشياء عليهم وأَمْلَكَ الأُمور بهم وأَلْزَمها لقلوبهم وأشدَّها استِمالةً لرأيِهم وعَطْفالأهوائهم فلا يَفْتَأ المهدى وفّقه الله ناظرا له فيما يُقَوّى عَمَد مَمْلكته ويُسَدد أركان ولايته ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أَزْيَنُ لِحاله وأَظْهَر لجماله وأفضل مَغَبّة لأمره وأجل موقعا فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نفوس أهل مِلّته ولا أدفعَ مع ذلك

باستجماع الأهواء له وأبلغ فى استعطاف القلوب عليــه من مَرْحَمة تَظْهر من فعله ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومحبّــة للخير وأهْله وان يختـار المهدى وفقــه الله من خيار أهل كل بلْدة وفُقَهاءأهل كل مِصْر أقواما تَسْكُن العامّة اليهم اذا ذُكروا وتأنس الرعيةُ بِهِم اذا وُصفوا ثم تُسّهل لهم عِمارةُ سُبُل الاحسان وفَتْح باب المعروف كما قد كان فُتح له وسُهّل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت ثم بعث فى ابنه موسى فقال

أى بُنىّ انك قد أصْبَحْت لسَمْت وجوه العامة نُصْبا ولَمْثَنى أعطاف الرعية غايةً فحَسَنتُك شاملة واساءتك نائية وأمرُك ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعتــه فاحتمِلْ سُخْط النـاس فيهما ولا تَطْلُب رِضاهُم بخلافهما فان الله عز وجل كافيكَ مَن أسْخَطَه عليك ايثارُك رضاه وليس بكافيك من يُسْخطه عليك ايثارُك رضا مَن سواه ثم اعلم أن لله تعـالى فى كل زمان فَترةً من رســله وبَقايا من صَــفْوة خَلْقه وخَبايا لنُصْرة حَقّه يُجَدّد حَبْل الاسلام بدعواهم ويُشَيد أركانَ الدين بنُصْرتهم ويَتّخذ لأوْلياء دينه أنْصارًا وعلى اقامة عَدْله أعوانًا يَسُدّون الخَلَل ويُقيمون المَيَل ويَدْفَعون عن الارض الفسادَ وان أهل خراسان أصْبَحوا أيْدى دولتنا وسُــيوف دَعْوتنا الذين نَسْتَدفع المَكارهَ بطاعتهم ونَسْتَصرف نُزولَ العَظائم بمُناصَحتِهم ونُدافع ريبَ الزمان بعزائمهم ونُزاحم رُكْن الدهر ببصائِرهم فَهُم عِماد الارض اذا أرْجَفَتْ أُكُفُها وخَوْف الاعداء اذا برزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات

أخمدت نيرانَ الفِتَن وقَمعتْ دواعى البِدَع وأذلّت رقاب الجبّارين ولم ينفكّوا كذلك ماجَروا مع ريح دولتنا وأقاموا فى ظلّ دعوتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التى أعز الله بها ذلّتهم ورفع بها ضَعَتهم وجعلهم بها أربابا فى أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لِباس الذّلّ وقِناع الخوف وإطْباق البلاَ ومُحالفة الأَسى وجَهْد البأْس والضّرّ فظاهِرْ عليهم لِبـاسَ كَرَامتك وأنزِلْهم فى حدائق نعمتك ثم اعْرِفْ لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالّتهم وماتّة سابِقَتهم وحُرْمة مُناصَحتهم بالاحسان اليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمحسنهم والاقالة لمُسيئهم أىْ بُنىَّ ثم عليك العامّة فاستدْعِ رضاها بالعَدْل عليها واستجلِبْ مودّتها بالانصاف لها وتحسّنْ بذلك لربّك وتوثّق به فى عين رعيتك واجعلْ عُمّالَ العُذْر وولاةَ الحُجَج مُقدّمةً بين عملك ونَصَفةً منك لرعيتك وذلك أن تأمر قاضىَ كُلّ بَلَد وخِيار أهل كل مصْر أن يختاروا لأنفسهم رَجُلاً تُولّيه أمرَهُم وتجْعَل العَدْل حاكما بَيْنَه وبَيْنَهم فانْ أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هؤلاء عُمّال العُـذْر ووُلاَة الحُجَج فلا يَسْقُطَنّ عليك مافى ذلك اذا انتشر فى الآفاق وسَبَق الى الاسماع من انعقاد ألسنة المُرْجفين وكَبْت قُلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحُروب وسلامة عواقب الامور ولايَنْفكّنّ فى ظِلّ كرامتك نازلا وبِعُرى حَبْلك مُتعلّقا رَجُلانِ أحدُهما كَريمة من كرائم رِجالات العَرَب وأعْلام بُيُوتات الشَرَف له أدب فاضل وحِلْم راجح ودِين صحيح والآخر له دِين غيرُ مغْموز ومَوْضِع غيرمَدْخول بصيرٌ بتَقْليب الكلام وتَصْريف

الرأى وأنحاء العَرَب ووَضْع الكُتُب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخُطوب يَضَع آدابا نافعة وآثاراً باقية من محَاسِنك وتحسين أمرك وتَحْلية ذِكْرك فتَسْتَشيره فى حَرْبك وتُدْخِله فى أمرك فرَجُلٌ أصَبْتَه كذلك فهو يَأوِى الى محَلّتى ويَرْعَى فى خُضْرة جِنانى ولاتَدَعْ أن تختار لك من فقهاء البُلْدان وخِيار الأمْصار أقواما يكونون جِيرانك وسُمّارَك وأهلَ مُشاوَرتك فيما تُورِد وأصحابَ مُناظَرتك فيما تُصْدِر فَسِر على بَرَكة الله أصْحَبَك اللهُ من عَوْنه وتوفيقه دليلا يَهْدِى الى الصواب قَلْبَك وهادِيًا يُنْطِق بالخير لسانَك وكتب فى شهر ربيع الآخِر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نَأَى آخِرَ الأيام عنك حَبيب ... فللعين سَحّ دائِم وغُروب
دَعَتْهُ نَوًى لا يُرْتجى أوْبَةٌ لها ... فَقَلْبُك مَسْلُوبٌ وأنت كئيب
يَؤُوب الى أوطانه كلُّ غائب ... وأحمدُ فى الغُيّاب ليس يَؤُوب
تَبدَّلَ دارا غيرَ دارى وجِيرةً ... سِوايَ وأحْداث الزمانِ تَنُوب
أقام بها مُسْتَوطِنا غيرَ أنه ... على طول أيام المُقام غَرِيب
كأنْ لم يَكُنْ كالغُصْن فى مَيْعة الضُّحَى ... سَقاهُ النَدَى فاهتزّ وهو رَطيب
كأنْ لم يكن كالدُّرّ يَلْمَع نُوره ... بأصْدافه لمّا تَشِنْهُ ثُقُوب
كأن لم يكن زَيْنَ الفِناء ومَعْقِلَ النِساء اذا يومٌ يكونُ عَصيب
ورَيْحان صَدْرى كان حين أشُمُّه ... ومُؤْنِس قَصْرى كان حين أغيب
وكانت يَدِى مَلْأَى به ثم أصْبَحتْ ... بحمدِ الٰهى وهى منه سَليب

قَليــلا من الأيام لم يُرْوَ ناظرى ... بها منه حتى أعْلَقَتْه شَــعوب
كظِلّ سَحابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ ... الى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب
أو الشّمس لما من غَمامٍ تَحَسَّرَت ... مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب
سأَبْكيك ما أبقَتْ دُمُوعى والبُكَى ... بعيْــنَىَّ مــاءً يابُنَىَّ يُجِــيب
ومــا غارَ نَجْمٌ أو تغنَّتْ حمــامةٌ ... أواخْضَرَّ فى فَرْعِ الأراكِ قَضيب
حَياتِىَ ما دامَتْ حَياتى فانْ أَمُتْ ... ثَوَيْتُ وفى قلبى عليك نُدُوب
وأُضْمِرُ ان أنْفَدْتُ دمعىَ لوعةً ... عليك لها تحتَ الضُلوع وَجيب
دَعَوْتُ أطبّاءَ العِراق فلم يُصب ... دواءَك منهم فى البــلاد طَبيب
ولم يَمْلِك الآسُون دَفْعًا لمُهْجــة ... عليهــا لأشْراكِ المَنُون رَقيب
قَصَمْتَ جَناحى بعْدَماهَدَّمَنْكِبِى ... أخُوكَ فَرَأْسِى قد عَلاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ فى الهُلَّاكِ الّاحُشاشةً ... تُذاب بنار الحُزْن فهى تَذُوب
تَوَلَّيْتُما فى حِقْبَــةٍ فَــتَرَكْتُما ... صَــدًى يَتَوَلّى تارةً ويَثُوب
فلا مَيْتَ الّا دونَ رُزْئك رُزْؤُه ... ولو فُتِّتَتْ حُزْنًا عليــه قُلوب
وانى وانْ قَدَّمْتَ قَبْــلِى لَعَالِمٌ ... بأنى وان أبطأتُ منك قريب
وانّ صَــباحًا نَلْتَقِى فى مَسائه ... صَباحٌ الى قلبى الغَداة حَبيب

المأمون ورائى البرامكه

قال خادم المأمون طَلَبَنى أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لى خُذْ معك فلانا وفلانا وسَمّاهُما لى أحدُهما علىّ بن محمد والآخر دينار الخادم واذهبْ مُسْرِعا لِمَا أقول لك فانه بَلَغَنى أنّ شيخا يَحْضُر

ليلا الى آثار دُور البَرَامكة ويُنْشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكى عليهــم ثم ينصرف فامضِ أنت وعليّ ودينــار حتى ترِدُوا تلك الخرِبات فاسْتَتِروا خَلْف بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى ونَدَب وأنشد أبياتا فَأْتُونى به قال فأَخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أَتَيْنَا الخَرِبات فاذا نحن بغُلام قد أتى ومعَهُ بِساطٌ وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمَال وعليــه مَهَابة ولُطْف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَيْفَ جَنْدَل جعْفَرًا ونادى منادٍ للخليفــة فى يَحْيَي
بَكَيتُ على الدُّنْيا وزاد تأسُّفى عليهم وقلتُ الآن لاتنفع الدنيا

مع أبياتٍ أطالَها فلما فَرَغ قَبَضْنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فَزَعًا شديدا وقال دَعونى حتى أُوصى بوصيّةٍ فانى لا أوقِن بعدَها بحياةٍ ثم تقدّم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخَذَ ورقةً وكَتَب فيهــا وصّية وسَلّمها الى غلامه ثم سِرْنا به فلما مَثَل بين يدى أمــير المؤمنين قال حين رآهُ مَن أنتَ وبمَ اسْتَوْجَبَتْ منك البَرَامكة ماتفعلُه فى خَرَائب دُورهم قال الشيخ ياأمير المؤمنين انّ للبرامكة أياديَ خَضرةً عنــدى أفتأذَن لِى أن أُحَدِّثَكَ بِحالى معهم قال قُلْ فقال ياأمير المؤمنين أنا المُنذر ابن المُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنّى نِعْمتى كما تَزُول عن الرِّجال فلمــا رَكِبَنى الدَيْن واحْتَجتُ الى بيع ماعَلَى رَأسى ورُؤُوس أهْلى وبَيْتِى الذى وُلِدْت فيه أشاروا عَلَيّ بالخُروج الى البرامكة فخرجتُ من دِمَشْق

ومَعِي نَيِّفٌ وثلاثون رجلا من أهْلي ووَلَدي وليس معنا ما يُبَـاع ولا ما يُوهَب حتى دَخَلْنا بَغْداد ونَزَلْنـا في بعض المساجد فَدَعَوْت ببعض ثياب كنتُ أعْدَدْتُها لأستَتِرَ بها فَلَبِسْتُها وخَرَجْتُ وتَرَكْتُهم جِياعا لاشيءَ عندَهم ودَخَلْتُ شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجدٍ مزخرفٍ وفي جانبه شيخ بأحْسن زيٍّ وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعةٌ جُلُوسٌ فَطَمِعْتُ في القوم ودخلتُ المسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أُقَدِّم رِجْلا وأؤَخِّر أُخْرَى والعَرَق يَسيل مني لانها لم تكن صِناعَتي واذا الخادمُ قد أقبلَ ودعا القومَ فقاموا وأنا معَهم فَدَخَلُوا دارَ يَحْيى بن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيي جالِسٌ على دَكَّةٍ له وَسْط بُسْتان فَسَلَّمْنا وهو يَعُدُّنا مائة وَوَاحِدًا و بين يَدِه عشرة من وَلَدِه واذا بمائةٍ واثني عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة من فِضّة على كل صينيةٍ ألْفُ دينارٍ فَوَضَعوا بين يَدَيْ كل رَجُل منَّا صينيةً فرأيتُ القـاضيَ والمشايخ يَضَعُون الدنانير في أكمامهم ويَجْعَلونَ الصـينيَّات تحتَ آباطِهم ويقوم الاوّل فالاول حتى بَقِيتُ وحدي لا أجْسُر على أخْذِ الصينية فَغَمَزَني الخـادِم بَجَسَرْتُ وأخَذْتُها وجعلتُ الذَهَبَ في كُمّي والصينيةَ في يَدِي وقُمْتُ وجعلت أتَلَفَّتُ الى ورَائي مَخَافَةَ أن أُمْنَع من الذَهاب فَوَصَلْتُ وأنا كذلك الى صَحْن الدار ويحيي يُلاحِظُني فقال للخادم ائتني بهذا الرَجُل فأتاني فقال مالي أراكَ تَتَلَفَّت يَمينا وشِمالا فَقَصَصْتُ عليه قِصَّتي فقال للخادم ائتني بوَلَدي موسى فأتاه به فقال له يا بُنَيّ هذا رَجُلٌ غريبٌ فَخُذْه

اليك واحْفَظْه بنفسك ونِعْمتك فقبَض موسى وَلَدُه على يَدى وأدْخَلَنى الى دارٍ من دُورِه فأكْرَمَنى غايةَ الاكرام وأقَمْتُ عنده يَوْمى ولَيْلَتى فى ألَذِّ عَيْشٍ وأتَمّ سُرورٍ فلما أصْبَح دَعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمَرَنى بالعَطْف على هذا الفَتى وقد عَلِمْتَ اشتِغالى فى بَيْت أمير المؤمنين فاقبِضْه اليك وأكْرِمْه فَفَعَلَ ذلك وأكْرَمَنى غايةَ الاكرام ثم لمـا كان من الغَدِ تَسَلَّمَنى أخوه احمد ثم لم أزَلْ فى أيْدى القومِ يَتَداوَلُونَنى مـدةَ عشرة أيام لاأعْرِف خَبَرَ عِيالى وصِبْيانى أفى الأمْوات هُمْ أمْ فى الاحْياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادِمٌ ومعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ الى عِيالِك بسلام فقلت واويلاه سُلِبْتُ الدنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة إنّا لله وانا اليه راجعون فرُفِع السِتْر الاوّل ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِتْرَ الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفَعْها الىَّ فانى مأمورٌ بقَضاء جميع ماتأمُرُنى به فلما رُفِع الستْر الأخير رأيتُ حُجْرة كالشمس حُسْنا ونورًا واسْتَقْبَلَنى منهـا رائحةُ النَّدّ والعود ونَفَحات المِسْك واذا بِصِبْيانى وعِيالى يَتَقَلّبون فى الحرير والدّيباج وحُمِلَ الىَّ مائةُ ألف دِرْهَم وعَشرة آلافِ دينار ومَنْشورٌ بضَيْعتَين وتلك الصينية التى كنت أخَذْتُها بمـا فيها من الدَّنانير والبَنادِق وأقَمْت ياأمير المؤمنـين مع البرامكة فى دورِهم ثلاثَ عشرةَ سـنة لايعلَم الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلمـا جاءتهم البَلِيّة ونَزَل بهم ياأمير المؤمنين من الرشيد مانزل أجْحَفَنى عَمْرو بن مَسْعدة وألزَمَنى فى هاتين الضيعتين

من الخراج مالا يفى دخلهما به فلما تحامل علىّ الدهر كنتُ فى آخر الليل أقصد خربات دورهم فأندبهم وأذكر حسن صنعهم الىّ وأبكى على احسانهم فقال المأمون علىّ بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له تعرف هذا الرجل قال ياأمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له ردّ اليه كلّ ما أخذته منه فى مدّته وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمونُ كثرة بكائه قال له ياهذا قد أحسنّا اليك فما يبكيك قال ياأمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة لو لم آت خرباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتّصل خبرى الى أمير المؤمنين ففعل بى ما فعل من أين كنتُ أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرأيتُ المأمون وقد دمعت عيناهُ وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهمْ فاشكرْ ولهم فأوف ولا حسانهم فاذكر

رسالة سهل بن هارون فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح اللهُ أمركم وجمع شملكم وعلّمكم الخير وجعلكم من أهـله قال الاحنف بن قيس يامعشر بنى تميم لاتسرعوا الى الفتنة فانّ أسرع الناس الى القتال أقلّهم حيــاء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا أردتَ أن ترى العيوب جمّة فتأمّل عيّاباً فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ومن أعيب العيب أن تعيب ماليس بعيب وقبيحٌ أن تنهى مرشــدا

وأن تُغْرَى بمُشْفِق وماأردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسِدكم وابقاءَ النعمة عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْن النيّة فيما بيننا و بينكم وقد تَعْلَمون أنّا ماأوْصَيناكم الا بما اخْتَرْناه لكم ولأنْفُسنا قَبلكم وشُهِرنا به فى الآفاق دونكم ثم نقول فى ذلك ماقال العَبْد الصالح لقومه (وما أريد أن أخالِفكم الى ماأنْهاكُمْ عنه إنْأريدالا الاِصْلاحَ مااستطعتُ وما توفيقى الا بالله عليه توكلتُ) فما كان أحَقّنا منكم فى حُرْمَتنا بكم أن تَرْعَوْا حقّ قصْدِنا بذلك اليكم على ما رَعَيْناه من واجب حَقّكم فلا العُذْرَ المبسوط بَلَغْتم ولا بواجب الحُرمة قمتم ولو كان ذكْرُ العيوب يُراد به نَخْرٌ لرَأَيْنـا فى أنُفسنا من ذلك شُغْلاً عِبتُمونى بقَوْلى لخادِمى أجيدى العَجين فهو أطْيَبُ لطُعْمه وأزْيَد فى رَيْعه وقدقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمْلِكوا العَجين فانه أحدُ الرَّيْعَيْنِ وعبتمونى حين ختمت على ما فيه شئ ثمين من فاكهةٍ رَطْبة نَقيّة ومن رَطْبة غَريبة على عَبْدٍ نَهِم وصَبِىّ جَشِع وأَمَةٍ لَكْعَاءَ وزَوْجةٍ مُضيعة وعبْتُمونى بالخَتْم وقــد خَتَم بعض الأئمة على مِزْوَدِ سَويقٍ وعلى كيسٍ فارغ وقال طينَةٌ خيرٌ من ظَنّةٍ فأمْسَكْتم عَمّن خَتم على لاشئ وعِبتُمْ مَن خَتَم على شئ وعبتمونى أن قلتُ للغلام اذا زِدتَ فى المَرَق فزِدْ فى الانضاج ليَجْتَمع مع التأدُّمباللحم طِيْبُ المَرق وعبتمونى بخَصْف النَعْل وبتَصْديرالقَميص وحين زَعَمْتُ أنّ المَخصوفة من النَّعْل أبْقَى وأقْوَى وأشْبَه بالشَّدّ وأنّ التَرقيع من الحَزْم والتَفْريط من التَضْييع وقدكان رسولالله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف

نَعْلَه ويُرَقّع ثوبَه ويقول لو أُهْدِىَ الىّ ذراعٌ لَقبِلْتُ ولودُعيتُ الى كُرَاع لأَجَبْت وقالت الحكماء لاجَديدَ لِمَنْ لم يَلْبَس الخَلَق وبعَثَ زياد رَجُلا يَرْتادُ له مُحَـدِّثا واشـترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به مُوافِقا فقال له أكنت به ذا معرفة قال لا ولكنى رأيْتُـه فى يوم قائظ يَلْبَس خَلَقـا ويَلْبَس الناسُ جَديدا فتفرَّسْتُ فيه العقلَ والادبَ وقد علِمْتُ أنّ الخَلَقَ فى موضِعه مِثْلُ الجديد فى موضعه وقد جعل الله لكل شئ قَدْرًا وسَمّا به موضعا كما جعل لكل زمانٍ رجالاً ولكل مقام مَقالا وقد أحيا الله بالسُّمّ وأماتَ بالدواء وأغَصّ بالمـاء وقد زَعَمُوا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسِبَيْن كما زعموا أن قلّة العِيال أحـدُ اليَسارَيْنِ وقد جَبَر الأحْنَف بن قَيْس يَدَ عَنْزٍ وأمر مالكُ بن أنَس بفَرْك النَّعْل وقال عُمَرُ بن الخطاب مَن أكَلَ بَيْضَـةً فقد أكل دَجاجة ولَبِس سالم بن عبـد الله جِلْدَ أضْحِيَة وقال رجل لبعض الحكماء أريد أن أُهدِى اليـك دَجاجة فقال ان كان لابُدّ فاجعلْها بَيُوضًـا وعبتمونى حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد فى المُمْتَنع الغالى ولقد أُتيتُ بمـاء للوضوء على مَبْلَغ الكفاية وأشَدّ من الكفاية فلما صِرْتُ الى تفريق أجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضـيعة المـاء وَجَدْتُ فى الأعضاء فضـلا عن المـاء فعلِمْت أن لو كنتُ سَلَكْت الاقتصادَ فى أوائله لخَرج آخرُه على كفاية أوله ولكانَ نَصيب الأول كنصيب الآخر فعبتمونى بذاك وشَنّعْتُم علىّ وقد قال الحَسَـنُ وذَكَر

السَرَف أمَا انه ليَكون فى المـاء والكَلأ فلم يَرْضَ بذكر المـاء حتى أرْدَفَه الكلأ وعِبتمونى أن قلت لا يَغتَرّنّ أحدكم بطول عُمْره وتَقْويس ظَهْره ورِقّة عَظْـمه ووَهْن قُوّته وأن يرى نحوه أكثر ذُرّيّته فيَدْعوه ذلك الى اخْراج مالِه من يَده وتحويلِه الى مِلك غيره والى تحكيم السَرَف فيه وتَسْـليط الشَهَوات عليــه فَلَعَلّه يكون مُعمّرا وهو لايدرى ومَمْـدودا له فى السِنّ وهو لايَشْــعُر ولعــلّه أن يُرْزَق الوَلَدَ على اليأس ويَحْدُث عليه من آفات الدهر مالا يَخْطُر على بالٍ ولايُدْرِكه عقلٌ فَيَسْــتَرِدّه ممن لايَرُدّه ويُظْهِر الشكوى الى من لايَرْحَمُه أصـعبَ ما كان عليه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يَطْلُب فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمــل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمـــل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتمونى بأن قلت بأنّ السَّرَف والتبـــذير الى مال المواريث وأموال الملوك وأنّ الحفْظَ للمـال المُكْتَسَب والغِنَى المُجْتَلَب والى ما لا يُعَرّض فيه بذَهاب الدين واهْتِضام العِرْض ونَصَب البَـدَن واهتضام القلب أسرعُ ومَن لم يَحْسُب نَفَقَتَــه لم يَحْسُبْ دَخْلَه ومَن لم يَحْسُب الدَخْل فقدأضاع الاصل ومن لم يَعرِف للغِنَى قَدْرَه فقدأذِن بالفقر وطاب نفسا بالذُلّ وعبتمونى بأن قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الانْفاقَ فى الحلال وانّ الخبيث يَنْزِع الى الخبيث وانّ الطَّيّب يدْعُو الى الطَّيّب وانّ الانفاق فى الهوى حِجابٌ من الهـوى فَعِبْتُم علىّ هـذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْذيرا قَطّ الّا والى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَـن ان أرَدْتم أن

تَعْرِفوا من اينَ أصابَ الرجلُ مالَه فانظروا فيما ذا يُنْفِقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ فى السَرَف وقلت لكم بالشَفَقة عليكم وحُسْن النظر منى لكم وأنتم فى دار الآفاتِ والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يَرْجع الى نفسه فاحذروا النِقَم واختلافَ الامكنة فانّ البَلِيّة لاتجرى فى الجميع الا بموْت الجميع وقدْ قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاةِ والبَعير فَرِّقوا بين المَنايا وقال ابن سِيرِ ين لبعض البَحْرِيِّين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نُفَرِّقُها فى السُفُن فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعضٌ ولولا أنَّ السَلامة أكثر ما حَمَلْنا أموالَنا فى البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرقاء وهى صَناع وعبتمونى بأن قلت لكم عند إشْفاقى عليكم ان لِلْغِنَى لَسُكْرًا ولِلمالِ لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغِنَى من سُكْره فقد أضاعَه ومن لم يَرْتَبِط المال بخَوف الفقر فقد أهْمَله فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة ليس أحد أقْصر عقلا من غَنِيٍّ أمِنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْرِ الخَمْر وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد بن بَرْمَك

وَهُوبُ تِلَادِ المالِ فيما يَنوبُه مَنوعٌ اذا مامَنْعُه كان أحْزَمَا

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدّم المالَ على العِلْم لأنّ المالَ به يُفادُ العلم وبه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العِلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفضيل من الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياءُ أفضلُ أم العُلَماء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر مما يأتى الاغنياء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال

وجَهْل الاغنياء بحقّ العـلم فقلتُ حالهُما هى القاضـية بينهما وكيف يَسْتَوى شئٌ حاجَةُ العامّة اليـه وشئٌ يُغْنى فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليــه وسلم يأمر الاغنياء باتّخـاذ الغَنَم والفقراء باتخاذ الدَجاج وقال أبو بكر رضى الله عنــه انى لأُبْغِض أهلَ بَيْتٍ يُنْفِقُون نَفَقَةَ الايّامِ فى اليَوْم الواحد وكان أبو الأسْود الدؤلى يقول لولده اذا بَسَطَ اللهُ لك الرِزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتمونى حين قلتُ فَضْل الغِنَى على القوت انمـا هو كفضـل الآلَة تكون فى البَيْت اذا احْتيج اليهـا اسْتُعْمِلَت وان استغنِي عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْذر وَدِدْتُ أنّ لى مثـل أُحُدٍ ذَهَبًا لا أنْتَفع منــه بشئٍ قيل له فما كنتَ تَصْنَع به قال لكثرة من كان يَخْدُمُنى عليــه لانّ المـالَ مَخْدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغِنَى فلو لم يكن فيــه الا أنه عِزٌّ فى قلبــك وذُلٌّ فى قلب عدوّك لكانَ الحظّ فيه جسيما والنَفْع فيه عظيما ولَسْنا نَدَع سيرَةَ الانبياء وتعليم الخُلَفاء وتأديبَ الحكماء لأصْحاب اللهو ولَسْتُم علىَّ تَرُدُّون ولا رأيى تُفَنِّدون فَقَدِّموا النَظَر قبل العَزْم وأدركوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مالكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذَمّ الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظَك اللهُ حفْظَ مَنْ وفَّقه للقَناعة واستعمله بالطاعة كتبتُ اليك وحالى حالُ مَن كَثُفَتْ غُمُومه وأشْكَلَتْ عليه أُموره واشْتَبه عليه حالُ

دَهْره ومَخْرَج أمْره وقَــلّ عنــده مَن يثِق بوَفائه أو يَحْمَــد مَغَبّة إخائه لاسْتِحالة زماننا وفساد أيامنا ودَوْلة أنْذالنا وقدمًا كان مَن قَدَّمَ الحيــاءَ على نفسه وحكَّم الصدْق فى قوله وآثر الحقّ فى أموره ونبذ المُشْتَبِهات عليه من شؤونه تَمَّتْ له السَلامة وفازَ بوُفور حَظّ العافيــة وحَمِد مَغَبّة مكروه العاقبة فَنَظَرْنا اذْ حال عندنا حكْمُه وتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُه فوجَدْنا الحياءَ مُتَّصلا بالحِرْمان والصدْق آفةً على المال والقصدَ فى الطَلَب بِتَرْك استعمال القِحَة وإخلاق العِرْض من طريق التوكُّل دليــلا على سَخافة الرأى اذ صارَت الحُظْوة الباسقة والنِعمة السابغة فى لُؤْم المَشيئة وسَناءُ الرزق من جهــة محاشاة الرَخاء ومُلَابَســة مَعَرّة العار ثم نظرنا فى تَعَقُّب المُتَعَقِّب لقولنا والكاشِرِ لحُجّتنا فأقَمْنا له عَلَمًا واضحاوشاهدا قائمـا ومَنارا بيّنــا اذ وَجَدْنا مَن فيــه السُّــفُولِيّة الواضحة والمَثالب الفاضحة والكَذِب المُبَرِّح والخُلْف المُصَرِّح والجَهالة المُفْرِطة والركاكة المُسْتَخَفّة وضَعْف اليقين والاستثبات وسُرْعة الغَضَب والجَراءة قد استكمَل سُرورُه واعْتَدَلَتْ أموره وفاز بالسَهْم الأغْلب والحَظّ الأوْفَر والقَــدْر الرَفيع والجَواز الطائع والأمر النافذ ان زَلَّ قيــل حَكَم وان أخطأ قيــل أصابَ وان هَذَى فى كلامه وهو يَقْظان قيل رُؤْيا صادقة من نَسَمَةٍ مُبارَكة فهــذه حُجّتنا والله على مَن زَعَم أنّ الجَهْل يَخْفِض وأنّ النُّوكَ يُرْدِى وأنّ الكَذِب يَضُرّ وأن الخُلْفَ يُزْرى ثم نظرنا فى الوفاء والامانة والنُبْل والبَــلاغة وحُسن المَذْهَب وكمال المُروءة وسَعَة الصَدْر وقِلّة الغَضَب وكَرَم الطَبيعة والفائق

فى سَعة عِلْمه والحاكِم على نفسه والغالِب لِهَواه فوجَدْنا فلانَ ابنَ فلانٍ ثم وجدنا الزمان لم يُنْصِفْه من حَقّــه ولاقَام له بوظائف فَرْضه ووجدنا فضائلَه القائمة له قاعدةً به فهذا دليـلُ أن الطَّلاح أجْدَى من الصَّلاح وأن الفضل قــد مضى زمانُه وعَفَتْ آثارُه وصارت الدائرة عليــه كما كانت الدائرة على ضدّه ووجدنا العقلَ يَشْــقَى به قرينُه كما أن الجهل والحُمْق يَحْظَى به خَدِينه ووجدنا الشِّعْر ناطقا على الزمان ومُعْربا عن الايام حيث يقول

تَحَامَقْ مع الحمقَى اذا مالَقيتَهُــمْ ولاقِهِمُ بالجَهْل فِعْلَ أخى الجَهْل
وخَلِّطْ اذا لاقَيْتَ يومًا مُخَلِّطا يُخَلِّط فى قولٍ صحيحٍ وفى هَزْل
فانى رأيتُ المَــرْءَ يَشْــقَى بعَقْله كما كان قبلَ اليومِ يَسْعَدُ بالعقل

فَبَقيتُ أبْقاك اللهُ مثلَ مَن أصبحَ على أوفاز ومن النُّقْلة على جِهاز لايسوغ له نِعْمة ولا تَطْعَم عينُه غَمْضة فى أهاويلَ يُباكِرُه مكروهُها ويُرَاوِحُه عَقَائبُها فلو أنّ الدُّعاء أُجيبَ والتَّضرّع سُمِع لكانت العِــدّة العُظْمَى والرَّجْفَــة الكبرى فليتَ أى أخى ما أسْتَبْطئُه من النَّفْخَة ومن فَجْأة الصَّيْحة قُضِىَ فكانَ وأُذِن به فكان فوالله ماعُذّبَتْ أُمَّةٌ بِرَجْفة ولاريح ولاسَخْطَة عذابَ عينى برُؤْية المُغَايَظَة المُدْمنــة والاخبار المُهْلِكة كأنّ الزمانَ يُوَكَّل بعذابى أو يُنْصَب بأيامى فما عَيْشُ مَن لايُسَرّ بأخٍ شَــفيق ولا يَصْطَبِح فى أول نهاره الا برؤية من يكرهُه ويَغُمّه بطلعته فقد طالتْ الغمة وواظبت الكُرْبة وادْلَهَمَّت الظُّلْمة وخَمَدَ السِراج وتَباطَأ الانْفراج

وكتب الجاحظ الى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

أعاذَكَ اللهُ من سوءِ الغَضَب وعَصَمَكَ من سرف الهوى وصَرَف ما أعارَكَ من القُوّة الى حُبّ الانصاف ورَجّح فى قلبك ايثار الأناة فقد خفتُ أيّدكَ اللهُ أن أكونَ عندكَ من المَنْسوبين الى نَزَق السُفَهاء ومُجانبَة سُبُل الحُكَماء وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امْرَأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمـا من النـاس الا ماجَنَى لَسَـعيد

وقال الآخر

ومَن دَعا النـاسَ الى ذَمّه ذَمُّوه بالحقّ وبالبـاطـــل

فان كنتُ اجْتَرَأْت عليـك أصْلَحَك الله فلم أجْتَرِئْ الا لأنّ دوامَ تَغافُلِك عَنّى شَبيهٌ بالاهمال الذى يورِث الاغْفال والعفوُ المُتَتابع يُؤْمِن من المكافأة ولذلك قال عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة لعُثمان رحمه الله عُمَرُ كان خَيْرًا لى منك أرْهَبَنى فاتّقَانى وأعطانى فأغنانى فان كنتَ لاتَهَبُ عِقابى أيّدكَ الله لخدْمةٍ فَهَبْه لأياديك عندى فانّ النعمةَ تَشْفَع فى النِقْمة والاتفعلْ ذلك لذلك فَعُد الى حُسْن العادة والافافعلْ ذلك لحُسْن الأُحْدوثة والا فَأْتِ ما أنتَ أهلُه من العفو دون ما أنا أهلُه من استحقاق العُقُوبة فسبحانَ مَن جعلك تَعْفُو عن المُتَعَمّد وتتجافَى عن عِقاب المُصرّ حتى اذا صِرْتَ الى مَن هَفْوتُه ذِكْر وذَنْبُه نِسْـيان ومَن لايَعرِف الشُكْر الالك والانعـامَ الا منك هَجَمْتَ عليـه بالعُقُوبة واعلَمْ

أيّدك الله أنّ شَيْنَ غضبِك عَلَيّ كَزَيْن صَفْحك عنى وأنّ مَوْتَ ذِكْرى مع انقطاع سَبَبي منك كَحياةِ ذكرِك مع اتّصال سَبَبي بك واعلم أنّ لك فِطْنَةَ عليم وغَفْلَةَ كريم والسلام

وصْف الجاحظ لقُريش وبنى هاشم

قد عَلِم الناسُ كيفَ كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُهاوذكاؤها وكيف سِياسَتُها وتدبيرها وكيف ايجازها وتَحْسيرهاوكيف رَجاحة أحْلامها اذا خَفّ الحَليم وحِدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبْرُها عند اللقاء وثباتُها فى اللَّأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُهااذا حُبَّ المالُ وكيف ذِكْرُها لأحاديث غَدٍ وقلّةصُدودها عن جهة القَصْد وكيف إقرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها اليه وكيف سَماحَــة أخلاقها وصَوْنُها لأعْراقها وكيف وصَلوا قديمَهم بحَديثهم وطَريفَهم بتَليدهم وكيف أشْبَه عَلانِيَتَهم سِرُّهم وقولَهم فعلُهم وهل سـلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَديره وهل غَفْلَتُه الا فى وزن صِدْق ظَنّه وهل ظَنُّه الا كَيَقين غيره

دُرَّتازَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

حكى عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمى قال كانت عَتّابة أُمُّ جعفر بن يحيى تَزُور أُمّى وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجِبُنى أن أجِدَها عنـد أمّى فأستَكْثِر من حديثها فقلت لهـا يوما ياأم جعفر انّ

بعضَ الناس يفضّل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضـل الفضل على جعفر فأخبريني فقالت مازلنا نعرف الفضـل للفضل فقلت ان أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أُحَدّثك واقْضِ أنتَ وذلك الذى أردتُ منها فقالت كانا يوما يلعبان في دارى فدخل أبوهما فدعا بالغذاء وأحْضَرَهما فَطَعِمَا معه ثم آنَسهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشِّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ أخاك بها قال جعفر لا قال فالْعَبا بها بين يَدَىّ لأرَى لِمَن الغَلَب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبْصَرَ منه بها فجىء بالشطرنج فصُفَّت بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنها الفضل فقال له أبوه مالَكَ لاتُلاعِب أخاك فقال لاأحبّ ذلك فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتى وأنا أُلاعِبُه مُخَاطَرَةً فقال الفضل لاأفعل فقال أبوه لاعِبْـه وأنا معك فقال جعفر رضيتُ وأبَى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالت لى قد حَدَّثْتُك فاقْضِ فقلت قد قضَيْتُ للفضل بالفضـل على أخيه فقالت لو عَلِمْتُ أنك لاتُحْسِن القضاءَ لَمَا حَكَّمْتُك أفلا ترى أنّ جعفرا قدسَقَط أربع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَط حين اعترف على نفسه بانه يَلْعب بالشِّطْرَنْج وكان أبوه صاحبَ جِدّ وسقط على الْتِزام مُلاعبة أخيه واظْهار الشَّهْوة لِغَلَبه والتَّعرُّض لِغَضَبه وسـقط فى طلب المُقامَرة واظهار الحِرْص على مال أخيه والرابعة قاصِمة الظَّهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معك فقال أخوه لا وقال هو نعم فناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه فقلتُ أحسنت

والله وانكِ لأقْضَى من الشَّـــعْبيّ ثم قلت لهــا عَزَمْتُ عليك أخبريني هل خَفِي مِثْلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لَما أخْبَرْتُك انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خالية به مامَنَعَك من ادْخال السُرور على أبيك بمُلاعبة أخيك فقال أمْرانِ أحدُهما لو أنى لاعَبْتُه لَغَلَبْتُه فأخْجَلْتُه والثانى قولِ أبي لاعِبْه وأنا معك فــا يَسُرُّنى أن يكون أبي معى على أخى ثم خَلَوْت بجعــفر فقلت له يسأل أبوك عن اللعِب بالشــطرنج فيصمت أخوك وتعترف وأبوكَ صاحِب جدّ فقال انى سَمِعْت أبى يقول نِعْم لَهْوُ البــال المَكْدُود وقد عَلِم ماتَلْقاه من كدّ التعلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا أن يُبادِر فيُنْكر فبادرتْ بالاقرار إشْفاقا على نفسى وعليـه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُــه من المُواجَهة به فقلتُ له يابنيّ فلِمَ تقول أُلاعِبُه مُخاطرةً كأنك تُقامر أخاك وتَســتكثِر مالَه فقال كَلّا ولكنه يَستحسِن الدَواة التى وَهَبها لِي أميرُ المؤمنين فعرَضْتُها عليــه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أنــ يُلاعِبَنى فأُخاطِره عليها وهو يَغْلِبُنى فتَطيب نفسُه بأخْذِها فقلت لها يا أُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دخل على أمير المؤمنــين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلّاة باليــاقوت الازرق والاصــفر فرآه يَنْظُر اليها فَوَهَبَها له فقلت إيِه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ فما عُذْرُك من الرِضا بمُناصَــبَة أبيك حين قال لاعِبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت أنه غالِبُنى ولو فَتَر لَعِبُــه لتغالبتُ له

مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه اليه قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بخ بخ هذه والله السيادة ثم قلت لها ياأماه أكان منهما من بلغ الحلم فقالت يابنيّ أين يُذهب بك أُخبرك عن صبيين يلعبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنهى الصبيّ اذا بلغ العشر وحضر من يُستحى منه أن يبتسم

دُرّتا زين لقُرّتي عين

يحكى أنّ الفضل بن سهل أرسل وهب بن سعيد الى فارس محاسبا لعمالها فبلغه أنه خان فعزله وسخط عليه وبعث به الى أخيه الحسن ابن سهل لينظر فى أمره فأحسّ وهب بن سعيد بالشرّ فأوصى الى رجل من أهل واسط ثقة موسر يتحرّف بالجزارة ويتّجر فى الجلود فأعطاه مالا عظيما وضمّ اليه ولديه الحسن وسليمان وهما صغيران ثم توجّه وهب الى بغداد فغرق وهلك غرقا فلما بلغ ذلك الوصيّ أخبر به الغلامين وقال اختارا حرفة تحترفان بها وان اخترتما الجزارة وبيع الجلود بصّرتكما بذلك ولكما عندى مالٌ سأشترى لكما به ضياعا تستظهران بها على أحداث الزمان فقالا مالنا ولحرف العوامّ وصناعاتهم وانما حرفة أمثالنا جزر أعناق الرجال فى القراطيس فسمع الجزار كلاما لاعهد له بسماع مثله فتهيبهما الوصيّ ورأى بزًّا ليس من سوقه فضمّ اليهما من يؤدّبهما ويُصلح من شأنهما فلما اشتدّا قالا لوصيهما انّ واسط لاتفى لنا بما نرومه من العلم ونؤمّله من الرآسة فقال لهما الوصى انّ مثلكما لايُولّى عليه

فمُرانى بأمرِكما أَطِعْ فقالا له جَهِّزْنا الى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزهما الى بَغْـداد ودَفَع اليهما من المـال ماأحَبّاه وذَكَر الصُولِى أنه دفع اليهما مالَهما كلَّه فلما صارا الى بغداد نالا ماأمَّلا من الرآسة والعلم ثم كتبا معًا فى دار المأمون فى حال غُلُومِيَّتِهما وصِغرِ سِنِّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما فى الدار يمشى فقـال له من أنتَ يا غلام فقال أنا الناشئ فى دولتِك المُغْتَذى بنِعمتك المكَرَّم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ ياغلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمَره أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مِثلَه فحرّره على ماأراد المأمون على أحْسنِ خطٍّ وأصحِ ضَبْطٍ وأسهل لفظٍ وأجْود معنًى فسُرَّ به المأمون سرورا ظهر عليـه فلما خرج سليمان كتب اليه بعض اخوان أبيه يقول

أبوكَ كَلَّفَـكَ الشأو البعيـد كما ... قِدْمًا تَكَلَّفَـه وَهْبٌ أبو حَسَنِ
فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايَتَه ... ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورُهما تَنْمى حتى نالا الوِزارَةَ وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبِي وفَدَ على سليمان بن وهب حين اسْتُوزِر فسُرَّ به وعَرَف له فضلَه وأجْلَسه الى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْـتم لنـا يا آل وَهْبٍ مودّةً ... فأبقتْ لنـا مالاً ومجـدًا يُؤَثَّل
فمن كـان للآثامِ والذُّلّ أرضُه ... فأرضُكُمُ للاجْرِ والعِزّ مَـنْزِل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم ... فقـد سألوكم فوق ما كان يُسـئل

يُقَصِّرُ عن مَسعاتِكم كلُّ آخرٍ   وما فاتكم ممن تقـــدَّمَ أوَّل
بلغتُ الذى قـد كنتُ آمُلُه لكم   وان كنت لم أبلغ بكم ما أُؤَمِّـــل

فقطع عليـه سليمانُ انشادَه وقال لاتقل ذلك أصلَحك الله فانك عندى كما أنشدنى عِمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِـهُ مسرورا اذا أنتَ سـالمٌ   وأبكى من الاشواقِ حين تغيب

فقال له المهلَّبى فليَسْمع الوزير من آخر الشِـعر مايَحْقِر أوّله فقـال هات فانشأ يقول

وما لىَ حقٌّ واجبٌ غـيرَ أننى   بجـودِكم فى حاجتى أتوسَّـــل
وانكـمُ أفضــلتمُ وبرزتمُ   وقـد يَسْتَتِمُّ النِعـمةَ المتفضـل
وأوْليـتمُ فعـلا جميـلا مقـدَّما   فعودوا فانّ العود بالحرِّ أجمـلُ
فكم مُلْحِفٍ قد نال مارام منكمُ   ويمنعُنا عن مِثـل ذاك التجمُّلُ
وعوّدتمونا قبـلَ أن نسألَ الغِنَى   ولا وجه للعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمان والله لاتبرَح حتى أقضى حوائجَك كائنةً ما كانت ولو لم أُفدْ مما أنالَنى أمير المؤمنين الا شكرَك لرأيتُ بذلك جنابى مُمْرِعا وزَرْعى مُرْتِعا ثم وقع له فى رِقاع كثيرة كانت معه بجميع ماأرادَ

وقال أبو الطيّب يمدح أباشُجاع فاتِكا
وكان يلقب بالمجنون

لاخيلَ عندك تُهديها ولا مالُ   فليُسعِدِ النُطْقُ ان لم تُسعِدِ الحالُ
وأجْزِ الاميرَ الذى نُعماه فاجئةٌ   بغير قولٍ ونُعْمَى الناسِ أقوالُ

فربما جَزَت الاحسانَ مُولِيَـه　　خَريدةٌ من عَذارى الحَيّ مِكْسالُ
وان تكن مُحْكَماتُ الشكل تمنعني　　ظهـورَ جَرْى فَلى فيهن تَصْهال
وما شَــكَرْتُ لأنّ المـالَ فَرَّحَني　　سِيانِ عنـــدىَ اكثارٌ وإقلال
لكن رأيتُ قبيحًا أنـ يُجادَلَنا　　وأننـا بقضـاء الحـق بُخَّـال
فكنتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكَرَه　　غيثٌ بغيرِ سِباخ الارضِ هَطّال
غيثٌ يُبَـيِّن للنُّظّـار موقِعُـــه　　أنّ الغُيوثَ بمـا تأتيـــه جُهّال
لايُدْرِكُ المجـدَ الّا سَـــيّد فَطِنٌ　　لِمـا يَشُقُّ على السادات فَعَّـال
لاوارِثٌ جَهِلَت يُمْنـاه ماوهبتْ　　ولا كَسوبٌ بغير السـيف سَئّال
قال الزمانُـ له قولا فأفهَـمه　　أن الزمان على الامسـاك عَذّال
تدرى القناةُ اذا اهتزّت بِراحَتِـه　　أنّ الشَّقِيّ بهـا خيـلٌ وأبطـال
كفاتِكٍ ودخولُ الكاف مَنْقَصَةٌ　　كالشمس قُلْتُ وماللشمس أمثال
القائدُ الأسْـدَ غَذَّتْهـا بَرَاثِنُـــه　　بمثلِهـا من عِداهُ وهى أشْـــبال
القاتِل السيفَ فى جسم القتيل به　　وللسُّـــيوف كما للنـاس آجالُ
تَغـــير عنــه على الغارات هَيْبَتُه　　وما لَهُ بأقاصى الـــبَرّ أهْمـال
له من الوَحْش مااختارت أسِنَّتُه　　عَــيرٌ وهَيْقٌ وخَنْســاءُ وذَيّال
تُمْسِى الضُّـيوف مُشَهّاةً بعَقْوَته　　كأن أوقاتَهـا فى الطِيب آصال
لو اشتهتْ لَحْمَ قارِيها لَبَادَرَهـا　　خَرَاذِلٌ منه فى الشِيزَى وأوْصال
لايعـرِف الرُّزْءَ فى مالٍ ولا ولدٍ　　الا اذا احتفز الضـيفانَ تَرْحال

يُروِى صَدَى الارضِ من فَضْلات ماشَرِبوا
مَحْضُ اللّقاح وصَافِى اللَّون سَلْسال

تَقْرِى صَوارِمُه الساعاتِ عَبْطَ دَم كأنما السَّاعُ نُزّال وقُفَّال
تجرى النفوس حواليْــه مُخَلَّطة منها عُـداةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لا يُحْرِم البعدُ أهلَ البعد نائلَه وغيرُ عاجزة عنه الأُطَيْفَال
أمضَى الفريقين فى أقرانه ظُبَةً والبيضُ هاديةٌ والسُّمْر ضُلّال
يُريك مَخْبَرُهُ أضعافَ مَنْظَرِه بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يُلَقّبُه المجنونَ حاسِدُه اذا اختلطْنَ وبعضُ العقل عُقّال
يَرْمى بها الجيشَ لا بُدَّ لَهُ ولها من شَقّه ولو انّ الجيش أجبال
اذا العدَى نَشِبَت فيهم مَخالِبُه لم يَجْتمع لهمُ حِلمٌ ورِيبال
يَرُوعهم منه دهرٌ صَرْفه أبدًا مُجَاهِرٌ وصُروف الدهر تَغْتال
أناله الشرفَ الأعلى تَقَدُّمُه فَما الذى بِتَوَقّى ما أتَى نَالُوا
اذا المُلوك تحلّت كان حِلْيَته مُهَنَّدٌ وأَصَمُّ الكعب عَسَّال
أبو شجاع أبو الشُّجعان قاطبةً هَوْلٌ نَمَتْه من الهَيْجاء أهوال
تَمَلّكَ الحمد حتى ما لمُفتَخِرٍ فى الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال
عليه منه سرابيلٌ مضاعفةٌ وقد كفاه من الماذِىّ سِرْبال
وكيف أسْتُرُ ما أوليْتَ من حَسَنٍ وقد غمرت نَوَالا أيُّها النَّال
لَطَّفْتَ رأيَك فى بِرّى وتكرِمتى انّ الكريم على العَلْياء يَحْتال
حتى غدوتَ وللاخبار تَجْوال وللكواكب فى كَفّيك آمال

وقد أطالَ ثَنَائى طُولُ لابِسِه ... انّ الثنـاء على التِنبـال تِنْبـال
ان كنتَ تكْبُرُ أن تختال فى بَشَرٍ ... فانّ قـدرك فى الأقدار يختـال
كأن نفسك لاتَرْضـاك صاحِبَها ... الا وأنتَ على المفضال مِفضال
ولاتَعُـدّك صَـوّانا لمهجتِهـا ... الا وأنت لهـا فى الرَّوْع بَذّال
لولا المَشَـقّة ساد الناسُ كلُّهـم ... الجودُ يُفْقِر والاِقْـدام قَتّـال
وانمـا يَبْلغ الانسـانُ طاقتَـه ... ما كُلُّ ماشِـيَةٍ بالرّجل شِمْلال
انّا لفى زمنٍ تركُ القبيح به ... من أكثرالناسِ احسان واجمال
ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثـانى وحاجتُه ... ماقاتَهُ وفضُولُ العَيش أشـغال

قال أبو الطيب المتنبي يرثى أبا شجاع فاتكا

الحُزْن يُقْلِق والتجـمّل يَرْدَع ... والدمع بينهُـما عَصِىٌّ طَيِّـع
يتنـازَعانِ دُموعَ عينٍ مُسَهَّدٍ ... هـذا يجئ بهـا وهـذا يَرْجِع
النوم بعـد أبى شُجـاع نافِـرٌ ... والليـلُ مُعْيِى والكواكب طُلَّع
انى لأَجْبُنُ من فِراقِ أحبتى ... وتُحِسّ نفسى بالحِمـام فأشجُع
ويزيدنى غَضَب الاعادى قسوةً ... ويُلِمّ بى عَتْب الصـديق فأجزَع
تَصْفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عمـا مضى منهـا وما يُتَـوقَّع
ولِمَنْ يُغالِط فى الحقائِق نَفْسَـه ... ويَسومُها طَلَبَ المُحَال فَتَطْمَع
اينَ الذى الهَرمانِ من بُنْيانه ... ماقومُـه مايومُـه ما المَصْرِع
تَتَخَلَّف الآثار عن أصحابِهـا ... حينًـا ويُدرِكُها الفـناء فتَتْبع
لم يرضَ قلبَ أبى شجاع مَبْلَغٌ ... قبلَ الممات ولم يَسَعْه موضِع

كُنّا نَظُنّ دِيارَه مملوءةً ذَهَبًا فمـاتَ وكُلُّ دارٍ بَلْقَـع

واذا المكارِم والصَّوارِم والقَنا وبَنـاتُ أعْوَج كُلُّ شئٍ يَجْمَع

المجدُ أخسرُ والمكارِم صَفْقةً من أن يَعيش بها الكريم الأرْوَع

والناسُ أنزلُ فى زمانِك مَنزِلا من أن تُعايِشَهم وقـدرُك أرفع

بَرِّد حَشايَ ان استطعتَ بلفظةٍ فلقـد تَضُرّ اذا تشاء وتَنْفع

ما كان منك الى خليل قبلَهـا مايُسْتَرَاب به ولاما يُوجِـع

ولقـد أراك وماتُلِمّ مُلِمّـةٌ الانفـاها عنـك قلبٌ أصْمَع

ويدٍ كأن قِتالَهـا ونوالَهـا فرضٌ يَحُقّ عليـك وهو تبرّع

يامَن يُبـدِّل كل يوم حُلّةً أنّى رَضيتَ بحُـلّةٍ لاتُنْـزَع

مازِلْتَ تَخْلَعُهـا على مَن شاءها حتى لبسْتَ اليـومَ مالا تَخْلَع

مازلت تَدْفَع كل أمرٍ فادحٍ حتى أتى الامرُ الذى لا يُدْفَع

فَظَلِلْتَ تنظر لا رِماحُكَ شُرَّعٌ فيما عَراكَ ولا سُيوفُك قُطَّع

بأبى الوحيـدَ وجيشه متكاثِرٌ يَبْكى ومِن شَرّ السّلاح الأدْمُع

واذا حَصَلْتَ من السلاح على البكا فَحَشاكَ رُعْتَ به وخَدّكَ تَقْرَع

وصَلَتْ اليك يَدٌ سَـواءٌ عندها ألْبازُ الأشْهَبُ والغرابُ الأبْقَع

مَن للمحافِل والجحافل والسُّرَى فَقَـدَتْ بفقدك نَـيِّرا لا يَطْلُع

ومَن اتخذتَ على الضُّيوف خليفةً ضـاعوا ومثلُك لا يَكاد يُضَيِّع

قُبْحًا لوجهـك يازمانُ فانه وجهٌ له من كل لُـؤْمٍ بُرْقُع

أيَمُوت مثلُ أبى شُجاعٍ فاتِكٍ ويَعيش حاسِدُه الخَصِىُّ الأوْكَع

أيدٍ مُقَطَّعَــةٌ حوالَىْ رأسِــه   وقَفًا يَصيح بها ألا من يَصْفع
أبقيتَ أكْذَبَ كاذبٍ أبقيتَـه   وأخذتَ أصْدَقَ من يقول ويَسْمع
وتركتَ أنْتَنَ ريحَـةٍ مذمومة   وسلبْتَ أطيبَ ريحـةٍ تتضوّع
فاليومَ قَــرّ لكل وحْشٍ نافـرٍ   دَمُــه وكان كأنه يتطلّع
وتصالَحَتْ ثَمَـرُ السِّيَاط وخَيْلُه   وأوَتْ اليهـا سُـوقُها والأذْرُع
وعَفا الطِراد فلا سِـنانٌ راعِفٌ   فوق القَنـاة ولاحُسامٌ يلمــع
ولَّى وكــلُّ مُخَـالِمٍ ومُنادِمٍ   بعـــد اللزومِ مُشَيِّـعٌ ومُوَدِّع
مَن كان فيـــه لكل قوم ملجأً   ولســـيفه فى كل قــومٍ مَرْتَع
إن حلَّ فى فُرْسٍ ففيهـا ربُّهـا   كِسْرَى تَذِلّ له الرِقابُ وتخضع
أو حَـــلّ فى رومٍ ففيهـا قَيْصَرٌ   أو حـــل فى عُرْبٍ ففيهـا تُبَّع
قد كان أسرعَ فارسٍ فى طعنـةٍ   فرسًـا ولكنّ المنيّــة أسرَع
لاقَلَّبَتْ أيدى الفوارس بعـــده   رُمْحـا ولاحَمَلَتْ جَـوَادا أرْبَع

وللمتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناءَ قلعة الحدَث

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى على قــدر الكرام المكارم
ويَعْظُم فى عين الصغير صغارُها   وتصغُر فى عين العظيم العظائم
يُكلف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه   وقد عَجَزت عنه الجُيوش الخَضارِم
ويَطْلُب عند الناس ماعند نفسه   وذلك مالا تدعيـــه الضَـراغِم
يُفَدّى أتمُّ الطَّير عُمْرًا سِـلاحَه   نُسورُ المَلَا أحــداثُها والقَشَاعِمُ
وماضَرّها خَلْقٌ بغــير مَخَالِب   وقد خُلِقَت أســيافُه والقوائم

هل الحَدَث الحمْراء تَعْرف لَوْنَهـا ... وتَعْـلَم أىّ السَّاقِيَـين الغَمَائم
سَـقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قبـل نُزُوله ... فلمـا دنا منهـا سَـقَتها الجماجم
بَنَـاها فأعلَى والقَنـا تَقْرَع القنـا ... ومَوْج المَنَـايا حولَها مُتَـلاطِم
وكان بها مِثـلُ الجُنون فأصبحتْ ... ومن جُثَثِ القَتْـلى عليها تمَائم
طَريدة دَهْـر ساقَهـا فَرَدَدْتَهـا ... على الدِّين بالخَطِّىّ والدهـرُ راغم
تُفيت الليـالى كلَّ شئ أخـذْتَه ... وهُنّ لِمَـا يأخُذْن منـك غَوارم
وكيف تُرَجِّى الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها ... وذا الطعــنُ آساسٌ لها ودعائم
وقــد حاكموهـا والمَنَايا حواكِمٌ ... فـا مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوْك يَجُرُّون الحــديدَ كأنهـم ... سَـرَوْا بجيادٍ مالَهُنَّ قوائم
اذا بَرَقوا لم تُعرَف البيضُ منهـمُ ... ثِيابُهُـمُ مِن مِثلهـا والعمائم
خميس بشَرْق الارض والغَرْب زَحْفه ... وفى أُذُن الجـوزاء منـــه زمازِم
تَجَمَّـع فيــه كلُّ لِسْنٍ وأمّــة ... فـا تُفْهِم الحُـدّاثَ الا التراجم
فلله وقتٌ ذَوَّبَ الغِــشَّ نارُه ... فـلم يَبْقَ الاصارِمٌ أو ضُـبارِم
تقطّـعَ مالا يَقْطَع الدرع والقَنـا ... وفَرّ من الابطال مَن لا يُصـادِم
وقَفْتَ وما فى المَوْت شَكٌّ لواقِفٍ ... كأنك فى جَفْـن الرَّدَى وهو نائم
تَمُـرّ بك الابطـال كَلْمَى هزِيمـةً ... ووجهُكَ وضّـاح وثَغْرُك باسم
تجاوزْتَ مقدار الشجاعة والنُّهَى ... الى قولِ قــوم أنت بالغيب عالم
ضَممْتَ جَنَاحَيْهِم على القلب ضَمّةً ... تَموتُ الخَوافِى تحتَها والقــوادم
بضَرْب أتى الهاماتِ والنصرُ غائب ... وصــار الى اللَّبّـات والنصرُ قادم

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيّات حتى طرحتَها — وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم
ومَن طلبَ الفتحَ الجليــل فانما — مفاتيحُه البيضُ الخفاف الصوارم
نَثَرْتَهُــمُ فوق الأُحَيْــدب نَـثْرَةً — كما نُثِرت فوق العَــروس الدراهم
تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكورَ على الذُّرَى — وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكُور المَطَـاعم
تَظُنّ فِـراخُ الفُتْخ أنك زُرْتَهـا — بأُمّاتِهـا وهى العِتاق الصَّـــلادم
اذا زَلِقَتْ مَشَّـــيْتَها ببطونِهـا — كما تتمشَّى فى الصَعيد الأراقم
أفِى كل يوم ذا الدُّمُسْـــتُق مُقْدِم — قَفَـاهُ على الإقـدامِ للوجه لائم
أَيُنْـــكِر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه — وقد عَرَفَت ريحَ الليوث البهـائم
وقد فَجَعَتْـه بابْنِـــه وابن صِهْره — وبالصِّهر حَمْـلات الأمير الغواشم
مَضَى يشكُر الاصحابَ فى فَوْته الظُّبا — بمـا شَـــغَلَتْها هامُهم والمَعَـاصم
ويَفْهَم صوتَ المَشْرَفيّــة فيهــمُ — على أن اصوات السُّيوف أعاجم
يُسَرُّ بمـا أعطاكَ لا عن جَهـالةٍ — ولكنّ مَغْنُــوما نجـا منـك غانم
لك الحمد فى الدُّرِّ الذى لِىَ لفظُه — فانك مُعْطيـــه وانّى ناظـــم
وانى لَتَعْدُو بى عطاياك فى الوَغَى — فـــلا أنا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيّار اليهـا بِرِجْلِه — اذا وَقَعت فى مَسْــمَعَيْه الغماغم
ألا أيها السيف الذى لستَ مُغْمَدًا — ولا فيك مُرْتابٌ ولا منك عاصم
هنيئًا لضرب الهام والمجد والعـلا — وراجيك والاســـلام أنك سالم
ولم لا يقِى الرحمنُ حَدّيك ماوَقى — وتَفْلِيقُـــه هامَ العِــدَى بك دائم

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مَن يَغْبِطُ الذليـلَ بعَيْشٍ رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منـه الحِمام
كل حِـلْمٍ أتى بغـير اقْتـدار حُجَّـةٌ لاجئٌ اليهـا اللئام
مَن يَهُنْ يَسْهُل الهوان عليـه ما لجُـرْحٍ بميِّتٍ ايـلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناسِ أغراضٌ لِذَا الزَمَن يَخْلو من الهَمّ أخْلاهُمْ من الفِطَن

وقال أيضا

وإذا أتتْـكَ مَـذَمّتي من ناقص فهى الشهادةُ لى بأنّىَ كـامل

وقال ايضا

ومن يُنْفِق الساعاتِ فى جَمْع مالِه مخـافةَ فَقْـرٍ فالذى فَعَـل الفقر

وقال أيضا

ومن نكَد الدنيا على الحرّ أن يَرَى عَدُوّا له ما من صَـدَاقته بُدّ
وأُكْبِرُ نفسى عن جَزاءٍ بِغيبـةٍ وكُلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لاله جُهْد

وقال أيضا

من الحِلْم أن تَسْتعمِل الجهلَ دونَه اذا اتَّسعَت فى الحلم طُرْقُ المظالم

وقال أيضا

اذا لم تكن نفسُ النَسيب كأصلِه فمـاذا الذى تُغْـنى كِرامُ المَناصب

وقال أيضا

والهَـمّ يَخْتَرِم الجَسـيم نَحافةً ويُشيب ناصـيةَ الصّبىّ ويُهْرِم

ذو العقل يَشْقَى فى النعيم بعقــله وأخو الجَهالة فى الشَــقاوة يَنْعَم
لايَسْــلم الشرف الرفيع من الاذَى حتى يُراق عــلى جوانبــه الدَمُ
والظُلم من شِيَم النُفوس فان تجِدْ ذا عِفّـــةٍ فَلِعِــلّةٍ لايَظْـــلم
ومن البليـــة عَذْلُ مَن لايَرْعَوِى عن جهــله وخِطاب من لايَفهم
والذُلُّ يُظهِــر فى الذليـــل مودّةً وأودّ منـــه لِمَن يَوَدّ الأرْقَــم
ومن العَــداوة ما يَنالك نفعُـــه ومن الصَـــداقة مايَضُرُّ ويؤلِم

وقال أيضا

يرى الجُبَناءُ أنّ العجز عقــلٌ وتلك خديعــة الطبع اللئـيم
وكلُّ شجــاعةٍ فى المرء تَغْــنَى ولا مثــلَ الشجاعةِ فى حكيم
وكم من عائبٍ قولاً صحيحا وآفتُـــه من الفهم السـقيم

وقال أيضا

والاَسى قبل فُرْقةِ الروح عجز والاسى لايكون بعـــد الفراق
والغِـــنَى فى يد اللئـيم قبيحٌ قَدْرَقُبْحِ الـكريم فىالامــلاق

وقال أيضا

واذا كانت النُفـــوس كِبارًا تَعِبَت فى مُرادِها الاجسام

وقال أيضا

ولو كان النِساء كَمَــنْ فَقَـــدْنا لَفُضِّـــلَتِ النساءُ على الرجال
وماالتأنيث لاسمِ الشمس عَيْبٌ ولا التـــذكيرُ فخـــرٌ للهلال
فان تَفُق الانامَ وأنت منهـــم فانّ المسك بعضُ دم الغـزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الشمس موضعُه فليس يَرْفَعــه شئٌ ولا يَضَـع
فقــد يُظَنّ شُجاعا مَن به خَرَقٌ وقــد يُظَنّ جبانًا مَن به زَمَـع
انّ الســلاحَ جميعُ الناس تحملُه وليس كلُّ ذواتِ المِخْلَب السبُع

وقال أيضا

وما الخوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى ولا الأَمْن الا ماراَه الفتى أمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخِلّان فى كل بلدةٍ اذا عظُم المطلوبُ قلّ المساعِد
بذا قضَت الايام مابين أهلِها مصائب قومٍ عنــد قومٍ فوائد

وقال أيضا

وفى تَعَبٍ مَن يَحْسُد الشمسَ ضوءَها ويَجْهَــد أن يأتى لهـا بضريب

وقال أيضا

ومَن صَحِب الدنيا قليـلا تقلَّبت على عينِه حتى يرى صِدقَها كِذْبا
ومَن تكن الأُسْد الضَوارى جُدُودَه يكن ليلُه صُبْحًا ومَطْعَمُه غَصْبـا

وقال أيضا

أعيذُها نظَراتٍ منكَ صادِقةً أن تَحْسب الشحمَ فيمن شحمُه ورَمُ
وماانتفاعُ أخى الدنيـا بناظِره اذا استوت عنده الانوار والظُّلَم
اذا رأيتَ نُيــوبَ الليث بارِزةً فـلا تَظُــنّنَّ أنّ الليثَ يبتسِم
وبيْنَنا لو رعيــتم ذاك معرِفةٌ انّ المعارِفَ فى أهـل النُّهى ذمَم

شرُّ البـــلاد مكانٌ لا صديقَ به   وشر ما يكسِبُ الانسانُ مايَصِم
وشر ما قَنَصَتْهُ راحـــتى قَنَصٌ   شُهْب الـبُزَاة سواءٌ فيه والرَّخَم

وقال أيضا

لعـــلّ عَتْبَك محمودٌ عواقُبـــه   وربمـا صَحَّت الاجسام بالعِلل
لانّ حلْمَكَ حـــلْمٌ لاتُـــكَلَّفُهُ   ليس التكحُّلُ فى العينين كالكحل

وقال أيضا

وليس يَصـــحُّ فى الافهـام شئٌ   اذا احتاج النهـارُ الى دليـــل

وقال أيضا

وما كَمَدُا لحسادِ شئٌ قصـــدتُه   ولكنه مَـن يَزْحَم البحرَ يَغْرَقِ
وإطراُق طرف العين ليس بنـافع   اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطْرِق

وقال أيضا

أيدرى ماأرابَك مَـن يُريب   وهـــل تَرْقَى الى الفَلَك الخُطوب

وقال أيضا

وما قَتَلَ الاحرارَ كالعفو عنهـــم   ومَن لك بالحر الذى يَحْفظ اليَـــدا
اذا أنتَ أكرمْت الكريمَ ملكتَـــه   وان أنت أكرمتَ اللئـيمَ تَمَـرَّدا
ووضْعُ النَدى فى موضِع السَيفِ بالعُلَى   مضرٌ كوضْع السيفِ فى موضع الندى

وقال أيضا

وأتعبُ مَن ناداك مَن لاتُجيبه   وأغيَظ مَن عاداك مَن لاتُشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَـزْم تأتى العزائم وتأتى على قـدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ فى وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن فى فعـله والخلائق
وما بلدُ الانسان غيرُ الموافق ولا أهـلُهُ الأَدْنَوْنَ غيرُ الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجِـدْ من الناس كفؤا ذاتُ خِدْرٍ تَمَنَّتِ الموتَ بعـلا
واذا الشـيخُ قال أُفٍّ فما مَـلَّ حيـاةً وانما الضَـعْفَ مَلَّا
آلةُ العَيش صِحَّـةٌ وشـبابٌ فاذا وَلَّيـا عن المـرء ولَّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلب الطعنَ وحدَه والنزالا
مَن أراد التمـاسَ شئ غِـلابًا واغْتِصـابا لم يلتمِسْه سُـؤالا
كلُّ غاد لحـاجةٍ يتمـنى أن يكون الغضـنفرَ الرِّئْبالا

وقال أيضا

الرأىُ قبلَ شجاعة الشُّجعانِ هو أولٌ وهى المحـلّ الثانى
ولربمـا طَعَن الفـتى أقرانَه بالرأى قبـل تطاعُنِ الأقران
لولا العُقول لكان أدنى ضَـيْغَمٍ أدنى الى شرفٍ من الانسانِ

وقال أيضا

وعادَ فى طَلَب المـتروك تارِكُهُ إنا لَنَغْفُـلُ والأيام فى الطلب

وما قَضى أحدٌ منهـا لُبانَتَــــه ولا انتهى أَرَبٌ الا الى أرب
ومن تَفَكّر فى الدنيـا ومُهجتِه أقامَه الفـكر بينَ العجْز والتعب

وقال أيضا

اذا كنتَ ترضى أن تعيش بِذِلّة فلا تَسْــتعِدّنّ الحسامَ ايمانيــا
فمـا ينفع الأُسْدَ الحياءُ من الطَوى ولا تُتَّقَى حتى تكونَ ضــواريا
اذا الجود لم يُرْزَق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المـالُ باقيا
وللنفس أخلاقٌ تَدُلّ على الفـتى أكان سَخـاء ما أتى أم تَساخِيـا

وقال أيضا

فمـا الحــداثةُ عن حِلْم بمـانِعةٍ قد يوجد الحلم فى الشُّبان والشِيب

وقال أيضا

وما الصارِم الهنــدىّ الا كغيرِهِ اذا لم يفارِقْه النِجـــاد وغِمــدُه

وقال أيضا

اذا ســاءَ فعلُ المرء ساءت ظُنونُه وصَــدَّقَ ما يَعتـاده من تَوَهُّم
وأَحْــلُمُ عن خِلّى وأعــلَمُ أنه متى أَجْزِهِ حلمـا على الجهل يَنْدَمِ
لِمَنْ تطلُب الدنيـا اذا لم تُرِد بهـا ســـرور مُحِبٍّ أو اساءَة مُجْــرِم

وقال أيضا

انمـا تَنْجَح المقـالة فى المَـــرْ ء اذا وافَقَتْ هوًى فى الفؤاد

وقال أيضا

وكُلّ امرئ يُولِى الجميـل مُحبَّبٌ وكُلّ مكان يُنْبِت العِــزّ طَيِّبُ

ولو جازَ أن يَحْوُوا عُلاكَ وهبتَهــا ولكن من الاشياء ماليس يوهب

وقال أيضا

ماكل مايتمــنى المرءُ يدرِكُه تجرى الرياح بمالا تشتهى السفن

وقال أيضا

غيرَ أنــ الفــتى يُلاقى المنــايا كالحــاتِ ولا يلاقى الهــوانا

واذا لم يكن من المــوتِ بُدٌّ فمن العجــز أن يكون جَبــانا

كل مالم يكن من الصَعْب فىالانــفُسِ سَــهْلٌ فيهــا اذا هو كانا

وقال أيضا

لو لا المَشَــقّة ساد النــاسُ كلُّهم الجودُ يُفقِر والإِقــدام قَتّــال

وقال أيضا

ولم أرَ فى عُيوب النــاس شــيأً كنَقْص القــادرين على التمــام

وقال أيضا

وللسِرّ منى موضِــع لاينــالُه نديمٌ ولا يُفضى اليــه شرابُ

أعَزُ مكانٍ فى الدُّنا ظَهْــر سابح وخير جَليسٍ فى الزمانــ كتاب

وقال أيضا

ومَنــ جَهِلَتْ نفسُــه قدرَه رآى غيرُه منــه مالا يرى

وقال أيضا

اين الذى الهَرمانِ منــ بنيانِه ماقومُه مايومُــه ماالمصــرَع

تتخَلّف الآثار عنــ أصحابِهــا حينًــا ويدرِكهــا الفنــاء فتتبَــع

وقال أيضا

ولم تزل قِـلَّة الانصـاف قاطِعةً بين الانام ولو كانوا ذوى رَحم

وقال أيضا

ذَريني أنَلْ مالا يُنَال من العُـــلَى
فَصَعْب العلى فى الصعب والسهل فى السهل
تُريدينَ لِقْيان المعـالى رَخيصـــةً
ولا بُدَّ دونَ الشهـد من إبَرِ النَحْل

قال أبو فراس الحَمْدانى يَصف قتال سيف الدولة لاهل قِنَّسْرين وقبائل العرب

ولمـا سار سيفُ الدين سِرْنا كما هيَّجْتَ آسادًا غِضـابا
أسِنَّتــــه اذا لاقَى طِعـانا صَوارِمه اذا لاقَى ضِــرابا
دعانا والأســـنة مُشْرَعات فكنَّا عنـــد دعوته الجـوابا
صَنائع فاق صانِعُهـا ففاقت وغَرْسٌ طـاب غارِسُه فطابا
وكنَّا كالسِّهامِ اذا أصـابت مَراميهَـا فـــراميها أصـابا
فلمـا اشـتدَّتِ الهيجاء كُنَّا أشــدَّ مَخالبًـا وأحَـــدَّ نابا
وأمنــــع جانبًـا وأعزَّ جارًا وأوفَى ذِمَّـــةً وأقــلّ عابا
سقينـا بالرماح بنى قُشَــيرٍ ببطْن العنـــتر السَّمَّ المُـذابا
وســــرنا بالخُيول الى نُمَــيرٍ تُجاذِبُنـا أعِنَّتهـا جِـــذابا

ولمـا أيْقَنوا أن لا غِيـاثٌ ... دَعَــوْه للمغــوثة فاستجابا
وعادَ الى الجميل لهـم فعادوا ... وقد مدّوا لِمـا يهوَى الرقابا
أمَرّ عليهـــمُ خوفا وأمْنًـا ... أذاقهــمُ به أرْيًا وصـابا
أحلّهم الجزيرةَ بعــد يأس ... أخُو حـلم اذا ملَكَ العِقـابا
ديارهـم انتزَعناهـا اقْتِسارا ... وأرضُهُم اغتصبناها اغتِصابا
ولو رُمْنا حميناها البــوادى ... كما تَحْمى أسودُ الغـاب غابا
اذا ما أرسل الأُمَراء جيشا ... الى الأعداء أرســلنا الكتابا
أنا ابنُ الضارب بين الهـامَ قِدْمًا ... اذا كَرِه المُحامون الضــرابا
ألم تعـلَم ومِثلُك قال حقـا ... بأنى كـنتُ أثقبهـا شِهـابا

كتب أبو بكر الخوارَزْمى الى تلميذله قد ظهر عليه الجُدَرى

وصلَنى خبر الجُدَرى فنال منى وهَيّج حَزَنى وراعَ قلبى وأسهر عينى وهذه العلة وان كانت مُوجِعة وفى رأى العين فظيعة شنيعة فانها الى السلامة أقرب وطريقها الى الحياة أقصد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهِرُ الداءِ أسلم من باطِنه وبارِزُ الجُرْح أهون من كامِنه ولعَمْرى انها تورثُ سوادَ اللونِ وتَذْهَبُ من الوجه بديباجة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة ولستُ أستطيع لك غـيرَ الدُّعاء لاأسأل صِحّتَك الا ممن خلق عِلّتَك وأرى لك أن تُحْسِن ظنّك بربك وتستغفر من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعَك واليقين طبيبَك

وتعلم أنه لاداءَ أدْوأُ مِن أجَل ولا دواءَ أشفَى من مَهَـل ولا فراش أوطأُ من أمَل شَفاك الله تعالى وحَسْبُكَ به طبيبا

المقامة الحِرْزية للبديع الهمذانى

حدثنا عيسى بن هِشام قال لما بَلَغَت بِيَ الغُـربة بابَ الأبواب ورضيت من الغنيمة بالإياب ودونه من البحر وثّاب بغارِبه ومن السفن عَسّافٌ براكبه استخرتُ الله فى القُفول وقعـدْت من الفُلك بمثـابة الهُلكْ ولما مَلَكنا البحر وجَن علينا الليـل غشـيتْنا سحابة تَمُدّ من الامطار حِبـالا وتَحُوذُ من الغيْم جِبالا بريحٍ تُرْسِل الامواجَ أزواجا والامطارَ أفواجا وبَقِينا فى يَدِ الحَـيْن بين البحرين لانَملك عُدّةً غير الدُّعاء ولا حيلةً الا البكاء ولا عِصمةً غيرَ الرجاء وطوينْاها ليلةً نابِغيّة وأصبحنا نَتبا كى ونتشاكى وفينا رجل لايَخْضَلّ جفنهُ ولاتَبْتَـلّ عينهُ رَخِىّ الصـدر مُنشرِحه نشيط القلب فِرحه فعجبنا والله كلَّ العجب وقلنا له ما الذى آمَنَكَ من العطب فقال حِرْزٌ لايَغْرَق صاحِبُـه ولو شئت أن أمنح كلًّا منكم حِرْزًا لفعلْت فكلٌّ رَغِب اليه وألَحّ فى المسألة عليـه فقال لن أفعلَ ذلك حتى يُعطِيَنى كلٌّ واحدٍ منكم دينـارا الآن ويَعِدُنى دينارا اذا سلِم قال عيسى بن هشام فنَقَدْناه ماطلب ووعدناه ماخطب وآبَتْ يدُهُ الى جَيبْه فأخرجَ قطعةَ ديبـاج فيهـا حُقّةُ عاج قد ضمّن صدرَها رِقاعاً وحَذَف كلَّ واحد منا بواحدة منها فلما سَلِمت السفينة وأحَلّتْنا المدينـة اقتضى النـاسَ ماوعدوه فنَقَدُوه وانتهى

الامرُ الىّ فقال دَعوه فقلتُ لك ذلك بعـد أن تعْلمَنى سِرّحالك قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرَكَ الصـبرُ وخَذَلَنا فأنشأ يقـــول

وَيْكَ لولا الصـبرُما كنـــتُ ملأتُ الكيسَ تِـبْرا
لَن يَنـال المجـدَ مَن ضا ق بما يَغْشاه صَـدْرا
ثم ما أعقبـــنى الســا عةَ ما أُعطيتُ ضُـراّ
بل به أشـــتدُّ أزْرًا وبه أجــبرُ كسرا
ولَو آنّى اليومَ فى الغَـرْ قَى لَمَـا كُلّفت عُــذْرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هِشام قال كان بِشر بن عَوَانة العَبْدىّ صُـعلوكا فأغار على رَكْب فيهـم امرأةٌ جميـلة فتزوَّج بها وقال مارأيت كاليوم فقالت

أعْجَبَ بِشْرًا حَوَرٌ فى عَيْنى وساعدٌ أبيضُ كالجَـــيْنْ
ودونَه مَسْرَحُ طَرفِ العين خُمْصَـانةٌ تَرفُل فى حِجْلَـيْنْ
أحسنُ مَن يمشى على رجلين لو ضَمَّ بِشرٌ بينهـا و بينى
أدامَ هجرى وأطـال بينى ولو يَقيس زَيْنَهـا بِزَيْنى
لَأسْـــفَر الصُّبح لِذى عَينين

قال بِشرٌ وَيْحَكِ مَن عَنَيْتِ فقالت بنتَ عَمّك فاطمة فقال أهِيَ من الحُسْن بحيث وصَفت قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويْحَــكِ ياذاتَ الثنـايا البِيض ماخِلْتُنِــي منكِ بمُســتعيض
فالآن اذ لَوَّحْتِ بالتعــريض خَلَوْت جَوًّا فاصْــفِرى وبِيضى
لاضَمَّ جَفْنايَ عــلى تغميض مالم أشِلْ عِرْضى من الحَضيض
(فقالت) كم خاطِبٍ فى أمرِها ألحَّا وهى اليــك ابنــةُ عَمّ لَحَّا

ثم أرسل الى عمه يخْطُب ابنتَه ومَنَعه العَمّ أُمْنِيَّتَه فآلَى ألَّا يُرْعِى على أحدٍ منهم ان لم يُزَوِّجْه ابنتَــه ثم كَثُرَت مَضَرَّاتُه فيهم واتصلت مَعَرَّاتُه اليهم فاجتمع رجال الحىّ الى عمه وقالوا كُفَّ عنا مجنونَك فقال لأُتلبِسونى عارا وأمهِلونى حتى أُهلِكَه ببعض الحِيَل فقالوا أنتَ وذاك ثم قال له عَمُّه انى آليتُ أن لا أُزَوِّج ابنتى هذه الَّا ممن يَسُوق اليها الفَ ناقة مَهْرًا ولا أرضاهـا الا من نوقِ خُزَاعَةَ وغَرَضُ العم كان أن يَسْلُكَ بِشْرٌ الطريق بينه وبين خزاعة فيَفْتَرِسَه الاســد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطريق وكان فيه أسدٌ يُسمى داذًا وحيَّة تُدْعَى شُجاعا يقول فيهما قائلُهم

أفْتَكُ من داذٍ ومن شُجاع ان يَكُ داذٌ سَيّد السباع
فانّهـا سَيِّدة الأفاعى

ثم انّ بِشْرًا سَلَكَ ذلك الطريق فمـا نَصَفَه حتى لَقِىَ الأسد وقَمَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه الى الاسد واعترضه وقَطّه ثم كتب بِدَمِ الاسد على قميصه الى ابنةِ عَمّه

أفاطِمُ لوشَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

إذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زارَ لَيْثًا هِـــزَبْرًا أَغْلَبًا لاقَى هِزَبْرا
تَبَهْنَسَ حين أحجم عنه مُهرى مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهـــرا
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الارض انى رأيتُ الارضَ أثبتَ منك ظَهرا
وقلت له وقد أبدَى نِصالا مُحَـــدَّدة ووَجْهًا مُكْفَهِـــرا
يُكَفْكِف غِيلةً احدَى يدَيه ويَبْسُط للوُثوب علىّ أُخْرَى
يَدُلّ بِمِخْلَب وبِحَـــدّ نـــاب وباللَّحَظات تَحْسَبُهُن جَمْرا
وفى يُمْنـاىَ ماضى الحدّ أبقَى بمَضْـــرِبِه قِراعُ الموت أُثْرا
ألم يَبْلُغْـــك مافعلَت ظُبـــاه بكاظمـةٍ غَداةَ لَقِيتُ عَمْرا
وقلبى مثـلُ قلبك ليس يَخْشى مُصـاولةً فكيف يَخاف ذُعْرا
وأنتَ تَروم للاشـــبال قُوتًا وأطلبُ لابنةِ الاعمـام مَهرا
ففيمَ تَسوم مِثـلى أن يُوَلِّى ويَجْعل فى يديْك النفس قَسْرا
نصحتُك فالتَمِسْ ياليثُ غيرى طَعاما إنّ لَحْمى كـان مُرّا
فلما ظَنّ أنّ الغشّ نُصْحى وخالَفَـــنى كأنى قلت هُجْرا
مَشَى ومَشَيْت من أسَدَيْن رَاما مَرَامًا كان اذ طَلَباه وَعْرا
هَزَزْت له الحُسام نَخِلْت أنى سَـلَلْت به لَدَى الظَّلْماء بَحْرا
وجُـدْتُ له بجائشـــةٍ أرَتْه بأنْ كَذَبَتْه مامَنَّتْـــه غَدْرا
وأطلقتُ المُهَنَّـــد من يمينى فَقَدّ له من الاضـــلاع عَشْرا
نَخَـــرّ مُجَدَّلًا بدَم كأنى هَـدَمت به بنـاءً مُشْمَخِرّا
وقلت له يَعِـــزّ عـلىَّ انى قتلتُ مُناســـى جَلَدًا وفخرا

ولكنْ رُمْتَ شيئاً لم يَرُمْه سواكَ فلم أطِقْ ياليثُ صبرا
تُحاوِلُ أنْ تُعلِّمَني فِراراً لَعَمْرُ أبيك قد حاولتَ نُكْرا
فلا تجزع فقد لاقيتَ حُرًّا يُحاذِر أن يُعابَ فَمُتَّ حُرًّا

فلما بلغَت الابياتُ عَمّه نَدِم على مامنعه تزويجها وخشِي أن تَغتالَه الحَيّة فقام فى أثَره وبَلَغَه وقد مَلَكَتْه سَوْرَة الحَيّة فلمارأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده فى فَم الحية وحَكّم سيفَه فيها فقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ هَمُّهُ لـمـا رآه بالعَراء عَمُّـهُ
قَد ثَكلَتْه نفسُه وأمُّهُ جاشتْ به جائشةٌ تُهِمّه
قامَ الى ابنِ للفَلا يَؤُمُّهُ فغابَ فيه يدُه وكُمُّه
ونفسُه نفسي وسُمِّي سُمُّه

فلما قَتَل الحَيَّةَ قال عَمُّه انى عَرَّضْتُك طَمَعاً فى أمرٍ قد ثَنَى اللهُ عِنانى عنه فارجِع لأزوِّجك ابنتى فلما رجَع جعل بِشْرٌ يملأ فمَه فخرا حتى طَلَع أمْرَدُ كَشِقّ القمر على فَرَسه مُدَجَّجًا فى سلاحه فقال بِشْرٌ ياعمّ انى أسمع حِسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكلَتك أمُّك يابِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهِيمة تملأُ ماضِغَيْك فخرًا أنت فى أمانٍ إن سَلَّمْتَ عَمَّك فقال بشر مَن انت لاأمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكلَتْكَ من سلَحَتْك فقال يابشر ومَن سلَحَتْك وكَرّ كُلُّ واحدٍ منهما على صاحبه فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً فى كُلْيَة بِشرٍ كلما مَسَّه شَباَ السِّنان حَماه عن بَدَنه إبقاءً

عليه ثم قال يابِشر كيف ترى اليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقى رُمْحَه واستلّ سيفَه فضرب بِشرًا عشرين ضربةً بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يابِشر سَــلِّم عمّك واذهب فى أمانٍ قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول لى من أنت فقــال أنا ابنُــك فقــال ياسبحان الله ما قاربْتُ عَقيلةً قط فأنَّى هــذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التى دلَّتْك على ابنة عمك فقال بِشر

تلك العَصَا من هذه العُصَيَّه هــــل تَلِدالحَيّــة الا الحيَّــه

وحلفَ لاركِب حِصاناً ولا تزوّج حَصاناً ثم زوّج ابنة عمه لابنِه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليــك متى حصــل لك صَــديقٌ أن تُكْثر مُراعاته وتُبالِــغ فى تَفَقده ولا تَستهين باليَســير من حقّه عند مُهِمّ يعرِض له أو حادثٍ يَحْدُث به فأما فى أوقات الرخاء فينبغى أن تلْقاه بالوجه الطَلْق والخُلُق الرَحْب وأن تُظْهِر له فى عينك وحركاتك وفى هَشاشــتك وارتياحك عنــد مُشاهــدته اياك مايَزْداد به فى كلّ يوم وكل حالٍ ثِقــةً بمودّتك وسُكونا اليك ويَرى السرور فى جميع أعضائك التى يظهر السرور فيهــا اذا لَقِيَك فانّ التَّحنّى الشديد عند طَلْعة الصَديق لايَخْفى وسُرور الشكل بالشكل أمرٌ غيرمُشْكِل ثم ينبغى أن تَفْعل مِثــل ذلك بمن تَعْــلَم أنه يُؤْثِره ويُحِبّه من صديق أو ولَدٍ أو تابع أو حاشيةٍ وتُثْنى عليهم من غير اسرافٍ يَخْرج بك الى المَلَق الذى يَمْقُتك عليــه ويَظْهَر له منك تكَلُّفٌ

فيه وانمـا يتم لك ذلك اذا تَوَاخَيْتَ الصِّـدق فى كل مأتْتى به عليـه والزَمْ هـذه الطريقة حتى لايَقع منك تَوَانٍ فيها بوجهٍ من الوجوه وفى حال من الاحوال فان ذلك يَجْلُب المحبة الخالصة ويُكْسِب الثِقة التامّة . ويُهْديك مَحَبّة الغُرَباء ومَن لامعرفة لك به وكما أن الحَمام اذا أَلِفَ بُيُوتنا وآنَس لمجالِســنا وطاف بهـا يجلُب لنـا أشكاله وأمثاله فكذلك حالُ الانسان اذا عرفَنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحَيوان الغيرِ الناطق بحُسْن الوَصْـف وجميل الثناء ونشْر المحاسن واعلم ان مُشاركة الصَـديق فى السَّرَّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبةً عليك حتى لاتَسْتأثرِهـا ولا تختص بشئ منها فانّ مُشاركَته فى الضَّرَّاء أوجب ومَوْقعها عنــده أعظم وانظر عنـد ذلك إنـ أصابَتْه نَكْبة أو لَحِقَتْه مُصيبة أو عَثَر به الدهر كيف تكون مُواسـاُتك له بنفسك ومالِك وكيف يظهر له تَفَقُّدك ومراعاتك ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسأَلَكَ تَصْريحا أو تَعْريضا بل اطَّلِـعْ على قلبه واسْبِق الى مافى نفسه وشارِكْه فى مَضَض مالَحِقه لِيَخِفّ عنه وان بلغتَ مرتبةً من السلطان والغِنَى فاغْمِس اخوانَك فيها من غير امتنانٍ ولا تَطاوُل وان رأيتَ من بعضهم نُبوًّا عنـك أو نُقصانا ممـا عَهِدته فَداخِله زيادة مُداخلة واخْتلِط به واجتـذِبه اليـك فانك ان أَنِفْتَ من ذلك أو تَداخلك شئ من الكبر والصَّلَف عليهم انتقضَ حَبْلُ المودّة وانْتَكَثَتْ قوّتُه ومع ذلك فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنك فتستحى منهم وتُضْطَرّ الى قَطيعتهم حتى لاتنظر

اليهم ثم حافِظْ على هــذه الشروط بالمداومة عليها لتبْقى المودّة على حالٍ واحدةٍ وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطَّرد فى كل مايَخُصّك اعنى أن مَركوبَك وملبوسَــك ومنزلك متى لم تُراعها مراعاةً متصــلةً فَسَــدَت وإنتقضت فاذا كانت صورة حائطك وسُـــطوحك كذلك ومتى غَفَلْتَ أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن تجْفو من تَرْجوه لكل خَير وتَنْتَظر مشاركتــه فى السَّرَّاء والضَّرَّاء ومع ذلك فان ضرر تلك يَختص بك بمنفعةٍ واحدةٍ وأما صَـديقُك فوُجوه الضرر التى تدخُل عليــك بجَفائه وانتقاض مَوَدَّته كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه ينْقَلِب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافِعُه مَضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطع رجاؤُك فيما لاتَجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضــا ولا يَسُــدّ مَسَــدّه شئ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أمِنْتَ جميعَ ذلك ثم احْذَر المراءَ معه خاصَّــة وان كان واجبا أن تحْذَره مع كل أحد فان مُمــاراة الصَديق تَقْتَلِـع المودّة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التبايُن الذى هَرَبْنا منــه الى ضــدّه وقَبَّحْنا أثرَه واخترنا عليــه الأُلْفة التى طلبناها وأثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دَعا اليها بالشَريعــة القَويمة وانى لأعـرِف مَن يُؤْثِر المِراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطِرَه ويَشْحَذ ذِهنــه ويُثير شُكوكَه فهو يتَعَمّد فى المحافِل التى تجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطى العُلوم مُمــاراة صَديقه ويَخْرُج فى كلامه معه الى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطِهم

ليزيد فى خَجَل صــديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانمــا يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَق نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أُشَبّهه الا بأهــل البَغْى وجَبابرة أصحاب الاموال والمُتَشَــبّهين بهم من أهل البِــدَع فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغّر بصاحبه ويَزْدرى على مُرُوءته ويَتَطَلّبُ عُيوبَه ويَتَتبّع عَثَراته ويُبالغ كلٌّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يؤدّى بهم الحال الى العَداوة التامة التى يكون معها السّعاية وازالة النِعَم وتُجاوز ذلك الى سَــفْك الدّمِ وأنواع الشُّرور فكيف يثبُتُ مع المِرَاء محبةٌ ويُرْجَى به أُلْفَة ثم احْذَر فى صَديقك ان كنتَ متحققا بعِلْم أو مُتَحلّيا بأدب أن تَبْخَل عليــه بذلك الفنّ أو يرى فيــك أنك تُحِبّ الاستِبدادَ دونَه والاستئْثار عليه فان أهل العلم لا يَرَى بعضُهم فى بعضٍ ما يراه أهلُ الدنيا بينَهم ذلك أن مَتاع الدنيا قليل فاذا تَزَاحم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ بعض ونَقَص حَظّ كل واحدٍ من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضّــدّ وليس أحد يَنْقُص منه ما يأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْم بعلْمه فانمــا ذلك لأحوالٍ فيــه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ماعنــده أو يَرِد عليه مالاَ يعرفه فيزول تَشَرّفه عنــد الجُهّال وإما أن يكون مكتسِبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به ويَنْقُص حَظّه منه وإما أن يكون حَسودا والحسود

بعيدٌ من كل فَضيلة لايَوَدُّه أحدٌ وانى لأعرف مَن لايَرْضَى بأن يبخل بعلم نفســه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثِر عَتْبَه وسَخَطه على مَن يُفيد غيره من التلاميذ المستحقين لفائدةِ العلم وكثيرا مايَتوصل البعضُ الى أخذ الكُتب من أصحابها ثم مَنْعِهم منها وهـذا خُلُق لاتَبْقى معـه مَوَدّة بل يَجْلُب الى صاحبه عَداوات لايَحْسَبُها ويَقْطَعُ أطْماعَ أصـدقائه من صَداقته ثم احْذَر أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلوبك من أتباعك وتَحْمِل أحدا منهم على ذِكْر شئ فى نفسه ولا تُرَخِّص فى عَيْب شئ يَتَّصل به فَضْلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ فى ذلك من أولِى أنْسابك والمُتَّصلين بك لاجِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمِل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذَّرْتُك منه لم يَشُكّ أن ذلك كان عن رأيِك وهَواك فَيَنْقَلِب عَدُوّا ويَنْفِر عنك نُفُور الضِّدّ فان عرفتَ منه أنتَ عَيْبًا فوافِقْه عليـه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غِلْظة فان الطَّبيب الرفيق ربما بَلَغ بالدواء اللطيف مايبلُغه غيرُه بالشَّق والقطع والكَىّ بل ربمـا تَوَصَّـل بالغِـذاء الى الشِفاء واكتفَى به عن المعالجة بالدواء ولستُ أُحِبّ أن تُغْضى عمـا تَعْرفه فى صَـديقك وأن تترك موافقَته عليه بهذا الضَرْب من الموافقة فان ذلك خِيانة منك ومُسامَحة فيما يعود ضَرَرُه عليـه ثم احْذَر النَمية وسَماعَها وذلك أن الاشرار يَدْخُلون بين الاخيار فى صورة النُصَحاء فَيوهِمونَهم النصـيحة ويَنْقُلون اليهم فى عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبار أصـدقائهم مُحَرَّفةً مُمَوَّهة حتى

اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُختلَق يُصَرّحون لهم بما يُفسِد مودّاتهم ويُشوّه وجوهَ أصدقائهم الى أن يُبغِض بعضُهم بعضا وللقُدماء فى هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفة يُحذِّرون فيها من النميمة ويُشبّهون صورةَ النّمام بمَن يَحُكّ بأظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤثّر فيها ثم لايزال يزيد ويُمعِن حتى يُدخِل فيها المِعْوَل فيَقْلَعَه من أصله ويَضرِبون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَوْر مع الأسـد فى كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفِى بهذا القَدْر من الايمـاء لئلا نَخْرُج عمّا بَنَيْنا عليـه مَذْهَبَنا من الايجاز فى الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هــذا البـاب وتـكريره عليك لتعلم أن القُدَماء انمـا ألَّفُوا فيـه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيـــه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَفْع العظيم عنـد السامعين من الاخيار ولِما خافوه من الضَرر الكثير على مَن يَستَهين به من الأغمار وليُعلَم المَثَـل المضروب فى السِّـباع القوية اذا دخَل عليها الثَعْلَب الرَّواغ على ضَعفه أهْلَكَها ودَمَّرها وفى المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهـل النميمة فى صورة الناصحين حتى يُفسِدوا نيّتَهم على وُزرائهم المُبالِغين فى نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت مُلْكهم الى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادِهم الى أن لا يَملَؤُا عُيونَهم منهم والى أن يَبطشوا بهم قتْلا وتَعذيبا وهم غيرُ مُذْنِبين ولا مُجْتَرِمين ولا مُستَحِقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار مابلَغوه من هؤلاء فبالأَحْرَى ان يَبْلُغوه

منـا اذا لم يجدوه فى أصْـدقائنا الذين اخترناهم على الايام وادّخرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ أرواحنا وزِدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّنَ لك من جميع ماقدّمناه أنّ الصـداقة وأصناف المَحَبّات التى تتمّ بها سـعادة الانسان من حيث هو مَدَنِيٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنهـا معنى التّآخى وعرض لهـا الانتشار حتى احْتَجْنا الى حِفْظِها والتعَب الكثير بنظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التى فينا وحاجَتِنا الى اتمـامها مع الحوادث التى تَعْرِض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخلْقِيّة انما وُضِعتَ لأجل المُعاملات والمُعاشَرات التى لايَتِم الوُجود الانسانى الا بها ذلك أن العَـدْل انمـا احتيج اليـه لتصحيح المعـاملات وليَزولَ به معـنَى الجَوْر الذى هو رَذيلة عنـــد المُتعامِلين وانمـا وُضِعَت العِفّة فَضيلة لأجل اللذات الرديئة التى تجَنَى الجِنايات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضِعت فضيلةً من أجل الامور الهـائلة التى يجب أن يُقْدِم الانسانُ عليها فى بعض الاوقات ولا يَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وصَفناها وحَضَضْنا على اقتِنائها وأيضا فانّ جميع هـذه الفضائل تحتاج الى اسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها ليُمْكنَه أن يفعل بها فعلَ الاحْرار والعادِل يحتاج الى مِثل ذلك ليُجازِى مَن عاشَرَه بجميل ويُكافِئ مَن عامَله باحسانٍ وجميعُها لاتقوم الا بالابدان والانْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت

الحاجات كثيرةً احْتيج الى الموادّ الخارجة عنّا أكثر فهــذه حالةُ السعادات الانسانية التى لاتتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنية وبالأعْوان الصالحين والأصـــدقاء المخلصين وهى كما تراها كثيرة التَعَب بها عظيم ومَن قَصّرَ فيها قَصَّرَتْ به السعادة الخاصّة به ولذلك صار الكَسَل ومَحَبّــة الراَحة من أعظم الرذائل لأنهما يَحُولانِ بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانسانَ من الانسانية ولذلك ذَمَمْنا بعضَ المُتَوَسّمين بالزُهْـد اذا تَفَرّدوا عن النـاس وسَكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوَحّش الذى هو ضدّ المدنية لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التى عددناها كلها وكيف يعِفّ ويَعْدل ويَسْخُو ويَشْجُع مَن فارق الناسَ وتَفَرّد عنهم وَعدِم الفضائلَ الخِلْقيَّة وهل هو الا بمنزلة الجَماد والمَيّت وأما مَحَبّة الحِكمة والانْصراف الىالتَصَوّر العقلى واستعمال الآراء الالهية فانها خاصــة بالجُزْء الالهى من الناس وليس يَعْرِض لها شئ من الآفات التى تَعْرض للمَحبّات الأُخَر الخِلقية وضُروب الفساد ولذلك قُلْنا انهـا لاتَقْبَـــل النميمة ولا نَوْعا من أنواع الشُرور لأنهـا الخيْر المحْض وسَبَبُها الخير الاوّل الذى لاتَشُو به مادة ولا تَلْحَقه الشُرور التى فى المـادة وما دام الانسان يستعمِل الأخلاق والفضائل الانسانية فانها تَعُوقه عن هذا الخير الاوّل وهذه السعادةِ الالهية ولكن ليس يَتِم له الا بتلك ومن أضَلّ تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغل عنها بالفضـــيلة الالهية فقد اشـتغل بذاته حقّا ونَجا من مُجاهَدات الطبيعة

وآلامها ومن مجاهدات النفس وقُواها وصار مع الارواح الطّيبة واختلَط بالملائكة المقرّبين فاذا انتَقل من وجوده الاوّل الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الأبدِى والسرور السرمدى

وقال ابن حَمْديس الأنْدَلُسى فى وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتِها أسود قاذِفة بالمياه

وضَراغِم سَكَنَتْ عرينَ رآسةٍ ... تَرَكَتْ خَرير الماءِ فيه زَئيرا
فكأنما غَشَّى النُّضار جُسومَها ... وأذابَ فى أفْواهِها البلُّورا
أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحَرّك ... فى النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتَذَكَّرت فتكاتِها فكأنما ... أقْعَتْ على أدبارِها لتثورا
وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها ... نارًا وألْسُنَها اللواحِسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداولٍ ... ذابَتْ بلا نارٍ فعُدْن غَديرا
وكأنما نَسَج النسيمُ لمائه ... دِرْعا فقَدَّر سَرْدَها تقديرا
وبَديعة الثمَراتِ تَعْبُرُ نحوَها ... عيناىَ بحرَ عجائِبٍ مَسجورا
شَجَرِيّةٌ ذَهَبِيّة نَزَعَتْ الى ... سِحْرٍ يُؤَثّر فى النُهَى تأثيرا
قد سُرّجَتْ أغْصانُها فكأنما ... قبضت بِهِنّ من الفَضاء طيُورا
وكأنما تأبَى لِوَقْع طَيْرُها ... أن تَسْتَقل بنَهْضِها وتَطيرا
من كل واقعةٍ ترى مِنقارَها ... ماءً كَسَلْسالِ اللّجَين نَميرا
خُرْس تُعَدّ من الفِصاح فانْ شَدَت ... جَعَلَتْ تُغَرّد بالمياه صَفيرا

وكأنمـا فى كل غصـن فِضّـة لانَتْ فأُرسِـلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريك فى الصهريج مَوْقع قَطْرِها فوق الزبرجـــد لؤلؤا منثورا
ضحكتْ محاســنُه اليـك كأنمـا جُعِلَت لها زُهْرُ النجوم ثُغورا
ومُصَـفَّح الأبواب تِبْراً نَظّروا بالنقش فوق شكُولِه تنظـــيرا
واذا نظرتَ الى غرائب سَقْفِه أبصرتَ رَوْضًا فى السماء نَضيرا
وضَعَتْ به صُـــنّاعُها أقلامَها فأرَتْك كلَّ طَريدةٍ تصـــويرا
وكـأنمـا للشمس فيـه لِيقَةٌ مَشَــقُوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنمـا اللّازَوَرْدُ فيـــه مُخَرَّم بالخَطّ فى ورق السماءِ ســطورا

مَرْثية أبى الحسن الأنْبارى للوزير أبى طاهر

لمـا اسْتَعَر الحرب بين عِزّ الدولة بن بُوَيهِ وابنِ عمّه عَضُد الدولة ظفِر عَضُــد الدولة بوزير عزّ الدولة أبى طاهر محمـــد بن بَقيّة فسلّمه وشَهّرَه وعلى رأســه بُرنُس ثم طَرَحه للفيَلة فقَتَلَته ثم صَلَبه عنـد داره باب الطاق وعُمْرُه نَيّف وخمسون ســنة ولمـا صُلِب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانبارى أحد العُـدول ببغداد بهذه القصــيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُـد الدولة قال وددْتُ لو أنى المصـــلوب وتكون هذه القصيدة فىّ

عُـــلُوٌّ فى الحيـاة وفى الممات لَحَقٌّ تلك احـــدى المعجزات
كأنّ الناس حولك حين قاموا وفودُ نَدَاك أيامَ الصِـــلات

كأنك قائمٌ فيهــم خطيبا وكلُّهــم قيــامٌ للصَّــلاة
مَدَدْتَ يديكَ نحوَهم احتفــاءً كمَــدِّهما اليهــم بالهِبات
ولما ضاق بطنُ الارض عن أن يضُم عُلاكَ من بعــد الوَفاة
أصاروا الجوَّ قبرَك واستعاضوا عن الأكفان ثوبَ السافيات
لعُظْمِك فى النفوس بقيتَ تُرْعى بحُــرّاسٍ وحُفّــاظٍ ثِقــات
وتُوقَد حولَك النيرانُ ليــلا كذلك كنتَ أيامَ الحيــاة
رِكبتَ مَطيــةً من قبــلُ زَيْدٌ علاها فى السنين المــاضيات
وتلك قضــيةٌ فيهــا تأَسٍّ تُبــاعِد عنــك تعيير العُــداة
ولم أرَ قبلَ جذْعِك قطُّ جِذْعا تمكَّنَ من عِنــاق المَكْرُمات
أسأتَ الى النوائب فاستثارت فأنتَ قتيــلُ ثار النــائبــات
وكنتَ تُجير من صَرْف الليالى فصــار مُطــالبــا لك بالتِّرات
وصَــيَّر دهرُكَ الاحسانَ فيــه الينا من عظــيم السيئات
وكنتَ لمَعْشــر ســـعْدًا فلما مضيتَ تَفَــرّقوا بالمُنْحِسات
غَليلٌ باطِنٌ لك فى فؤادى يُخَفَّف بالدُّموع الجــاريات
ولو أنى قَــدَرْتُ على قيــام بفرضــك والحُقوق الواجبات
ملأتُ الارضَ من نظم القوافى ونُحْتُ بهــا خلافَ النائحات
ولكنّى أُصَــبِّر عنــك نفسى مَخافةَ أن أُعَدّ من الجُنــاة
وما لك تُرْبةٌ فأقول تُسْــقَى لانك نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليك تحيــة الرحمن تَتْرَى برَحْمــاتٍ غَــوادٍ رائحــات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادى وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لاتَعْذُليه فانَّ العــذْلَ يُولِعـه ... قد قُلْتِ حقًّا ولكن ليس يَسْمَعه
جاوَزْتِ فى لَوْمِهِ حَــدًّا أضَرَّ به ... من حيث قَدَّرتِ أنّ اللوم ينفعه
فاسْتعمِلى الرِفْقَ فى تأنيبه بدلًا ... من عُنْفه فهو مُضْنَى القلب مُوجَعُه
قد كان مُضطلِعا بالخَطْب يَحْمِله ... فَضُيِّقَت بخُطوب البَين أضْــلُعُه
يكفيه من لَوْعة التَفْنيد أن له ... من النَّــوى كلَّ يوم مايُرَوِّعه
ماآبَ من سَــفَرٍ الا وأزْعَجَــه ... رأىٌ الى سَــفَرٍ بالعــزْم يَجْمَعه
كأنمــا هو من حِلّ ومُرْتَحَل ... مُوَكَّلٌ بفضــاء الارض يَذْرَعــه
اذا الزِّماعُ أراه فى الرحيــل غِنًى ... ولو الى السِــنْد أضحى وهو يُزْمِعُه
تأبَى المَطــامع الا أنــ تُجَشِّمَه ... للرزْق كدًّا وكم ممنــ يودِّعــه
وما مُجاهَــدة الانسان تُوصِــلُهُ ... رِزْقا ولا دَعَةَ الانسانــ تَقْطَعُه
واللهُ قَسَّم بينَــ الخلق رزقَهُـــمُ ... لم يَخْلق اللهُ مخــلوقا يُضَــيِّعه
لكنهم مُلِئُوا حِرْصًا فلستَ ترى ... مُسْــتَرْزقا وسوى الغايات يقْنِعُه
والسَّعْىُ فى الرزق والارزاقُ قدقُسِمت ... بَغْىٌ ألا إنّ بَغْىَ المــرء يَصْرَعه
والدهر يُعطِى الفتَى ماليس يطلُبُه ... يوما ويمنعُه منــ حيث يُطمِعُه
أستودِع الله فى بَغْــداد لِى قمرا ... بالكَرْخ من فَلَكِ الأزْرارِ مَطْلَعُــه
ودَّعْتُـــه وبِوُدِّى لو يُوَدِّعُــنى ... صَــفْو الحيــاة وأنى لاأودِّعه

وكـم تَشَـفَّع أنى لاأفارِقـه   وللضـرورات حالٌ لاتُشَـفِّعه
وكم تَشَبّثَ بى يومَ الرحيـل ضُحًى   وأدمُعى مُسْـتَهِلّات وأدمُعـه
لاأكْذبُ اللهَ ثوبُ العُذْر مُنْخَرِق   عنى بفُرقتـه لكن أرَقِّعُـه
انى أوَسـع عُذرى فى جِنايتَـه   بالبَين عنـه وقلبى لايُوَسِّـعُه
أُعطيتُ مُلْكًا فلم أُحسِنْ سياستَه   كذاكَ مَن لايَسُوس المُلْكَ يُخْلَعُه
ومَن غدا لابِسًـا ثوبَ النعيم بِلا   شُكْرِ الاله فعنْـه اللهُ يَنْزِعُـه
اعْتَضْتُ عن وجه خِلّى بعد فرقتِه   كـأسا أُجَرَّعُ منهـا ماأُجَرِّعُه
كم قائل لِىَ ذنبُ البَـين قلت له   الذنب والله ذنبى لستُ أدفعـه
هلّا أقمتُ فكان الرُّشْـد أجمعـه   لو أننى يومَ بانَ الرشـدُ أتبعُـه
انى لأقطـع أيامى وأُنفِـدُها   بحسرةٍ منـه فى قلبى تُقَطِّعه
بِمَن اذا هجع النُّـوّام بِتُّ له   بِلَوعةٍ منـه ليـلى لستُ أهجعُـه
لايَطمئن بجَنبى مضْجَعٌ وكذا   لايطـمئن له مُذْ بِنْت مضْجَعُه
ما كنت أحسِب أن الدهر يفجَعُنى   به ولا أنّ بى الايامُ تفجعـه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيـدٍ   عَسْرَاء تمنعُـنى حظّى وتمنعُـه
بالله يامنزل القَصْف الذى درَست   آثارُه وعفَتْ مذ غبتُ أربعُـه
هل الزمانُ مُعيـدٌ فيك لَذّتَنـا   أم الليـالى التى أمْضَـتْه تُرجِعُه
فى ذمّة الله مَن أصـبحتَ منزلَه   وجادَ غيثٌ على مَغْـداك يمرعُه
مَن عنـده لِىَ عهـدٌ لايضـيِّعُه   كما له عهـدُ صِـدقٍ لاأُضيعه
ومَن يُصَـدِّع قلبى ذِكرُه واذا   جرى على قلبه ذكرِى يصـدّعه

لاصْـــبِرَنّ لدهرٍ لا يمتّعُـــنى به ولا بِىَ فى حـــالٍ يمتعــه
علما بأن اصـطبارى مُعْقب فَرَجا وأضيقُ الامر ان فكَّرْتَ أوسَعه
علّ الليـالى التى أضْنت بفُرقتِنا جسمى ستَجمعنى يوما وتجمعــه
وان تَنَـل أحدا منـا مَنِيّتُــه فمـا الذى بقضـاء الله يصــنعه

قال أبو العلاء المعرى يفتخر

ألا فى سبيل المجد ماأنا فاعل عَفاف وإقدام وحَزْم ونائــل
أعندى وقدمارستُ كل خفية يُصدَّق واشٍ أو يُخَيَّب سائل
تُعَـدّ ذُنوبى عنـد قوم كثيرةً ولاذنبَ لى الا العُلَى والفضائل
كأنى اذا طُلْتُ الزمانَ وأهـلَه رجَعتُ وعندى للانام طَوائل
وقدسارذ كرِى فى البلاد فَمَن لهم باخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل
يُهِمُّ الليالى بعضُ ما أنا مُضْمِر ويَثْقُل رَضْوَى دونَ ماأنا حامل
وانى وان كنتُ الاخيرَ زمانُه لآت بمـا لم تَستطعه الاوائل
وأغْدو ولو أنّ الصباحَ صَوارِمٌ وأسْرِى ولو أنّ الظلام جَحافل
وانى جواد لم يُحَـلّ لِجامُه ونَصْلٌ يَمـانٍ أغْفَلَتْه الصياقل
فان كان فى لُبْس الفتى شرفٌ له فمـا السيفُ الّا غِمْدُه والحَمائل
ولى مَنطِقٌ لم يَرْض لى كُنْهَ منزِلى على أننى بينَ السِمَا كين نازل
لَدَى موطنٍ يشتاقه كل سيّد ويَقْصُر عن ادرا كه المُتَناوِل
ولمّـا رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشِيا تجاهلتُ حتى ظُنّ أنّىَ جاهل
فواعَجَبا كم يدَّعِى الفضلَ ناقص ووا أسفَا كم يُظهِر النقصَ فاضِل

وكيف تنـام الطيرُ فى وَكناتِهـا وقد نُصبت للفَرْقَدين الحبـائل
يُنافِس يومي فِيّ أمسِي تشرُّفا وتحسُد أسحارى علىّ الاصـائل
وطـال اعـترافى بالزمان وصَرْفه فلستُ أبالِى مَن تَغُول الغوائــل
فلو بانَ عَضْدى ماتأسَّف مَنْكِبي ولومات زَنْدى مابكَتْه الانامــل
اذا وَصَـفَ الطائىَّ بالبُخْل مادِرٌ وعَـيَّر قُسًّـا بالفَـهاهة باقِــل
وقال السُّهَى للشمس أنتِ ضَئيلة وقال الدُجَى للصُبْح لونُك حائل
وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفَاهة وفاخَرَت الشُهْبَ الحَصى والجنادل
فياموتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمــةٌ ويانفسُ جِدّى انّ دهرَك هازل

ومن شعر ابى الحسن التِّهامى

قصـيدته الفريدة البالغة فى بابها غاية لم يبلغها سواها التى يرثى فى أولها صغيرا له أجاب داعى ربه ويفتخر فى آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهى هذه

حُكْمُ المنيّــةِ فى الـبرية جارِ ماهــذه الدنيـا بِدار قَــرار
بَيْنا يُرَى الانسانُ فيها مُخْــبِرا حتى يُرَى خَبَرًا من الاخبـار
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُرِيدُها صَفْوًا من الأقـذار والاكدار
ومُكَلِّف الأيامِ ضِدّ طِباعِها مُتطَلِّب فى المـاء جَـذْوةَ نار
واذا رَجَوْتَ المستحيلَ فانمـا تَبْنِي الرجاءَ على شَـفيرٍ هـار
فالعيشُ نومٌ والمنيّــة يقظــةٌ والمـرءُ بينهما خيـالٌ ســار

فاقضـــوا مآربكم عِجالا انمـا أعمارکم ســفرٌ من الاســفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادِروا أن تُســـترَدَّ فانهنّ عَـوار
فالدهر يَخْدَع بالمُنَى و يُغِصّ ان هَنّا ويهْــدِم ما بَنَى بِبــوار
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِمـا خُلُقُ الزمانِ عــداوةُ الاحرار
انى وُتِرْتُ بصارمٍ ذى رَوْنَقٍ أعْــدَدْتُه لِطــلابةَ الاوتار
والنفسُ ان رَضيت بذلك أو أبَتْ مُنْقـادة بأزِمّــة المقــدار
أثْـــنِى عليــه بِأثْرِه ولَوَ آنّه لم يُعتبَــطْ أثنيتُ بالآ ثار
يا كوكبا ما كان أقْصَر عُمْـــرَه وكذاك عُمْرُ كوا كِب الاسحار
وهلالَ أيامٍ مضَى لم يَسْـتَدِرْ بدرًا ولم يُمْهَــل لوقتِ سِرار
عَجِل الخُسوفُ عليه قبلَ أوانه فمحاه قَبْــل مَظِنّــة الإبدار
واســتُلّ من أترابه ولِدَاتِه كالمُقْلة اسْــتُلّتْ من الاشفار
فكأنّ قلــبِي قَــبْرُه وكأ نه فى طَيّــه سِرٌّ من الاسرار
ان يُعتبَطْ صِـغَرًا فرُبَّ مُقَمّمٍ يَبْدو ضَئيلَ الشخص للنُّظّار
انّ الكوا كبَ فى عُلُوّ محلّها لَتُرَى صِغارًا وهى غير صِــغار
وَلَدُ المُعَزّى بعضُــه فاذا مضى بعضُ الفــتَى فالكلُّ فى الآثار
أَبْكيه ثم أقول معتــــذِرا له وُفّقْتَ حين تَركتَ أَلْأَمَ دار
جاوَرْتُ أعــدائى وجاوَرَ رَبَّه شَــتّانَ بين جِوارِه وجِوارى
أشكو بِعادَك لى وأنتَ بموضعٍ لولا الردَى لَسَمِعْتَ فيه مَزارى
والشرقُ نحوَ الغرب أقربُ شُقّةً من بُعد تلك الخمسة الاشــبار

هيهاتَ قد عَلِقَتكَ أسبابُ الردَى واغتالَ عمرَكَ قاطع الاعمـار
ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغـاية فبلغـتَهَا وأبوكَ فى المِضمار
فاذا نطقتُ فأنت أولُ منطِقى واذا سكتُّ فأنت فى اضمارى
أُخفِى من البُرَحاءِ نارًا مثلَ ما يُخفِى من النـار الزنادُ الوارى
وأُخَفِّضُ الزَفَراتِ وهى صَواعِد وأُكفكِفُ العَبَراتِ وهى جَوار
وشِهابُ نارِ الحُزْنِ ان طاوعْتُه أورَى وان عاصيتُه مُتوارِى
وأكُفُّ نيرانَ الأسَى ولرُبمـا غُلِب التَصَبُّرُ فارْتمتْ بشَرار
ثوبُ الرِياءِ يَشِفُّ عما تحتَـه واذا التحَفْتَ به فانك عار
قَصُرَت جُفونى أم تَباعَدَ بَيْنُها أم صُوِّرَتْ عيـنى بلا أشفار
جَفَتِ الكَرَى حتى كأَنَّ غرارَه عند اغتماض العين وَخْزُ غِرار
ولو اسْـتَزَارَتْ وقدةً لَطَحَا بها مابين أجفـانى من التيَّار
أحيِي الليـالى التِّمِ وهى تُميتُنى ويُميتُهُنَّ تبـلُّج الاسحــار
حتى رأيت الصُبح تهتِك كفُّه بالضوْء رفرفَ خَيْمَةٍ كالقـار
والصبحُ قد غَمَرَ النُجومَ كأنَه سَـيلٌ طَغَى فطَفَا على النُـوَّار
لو كنتَ تُمْنَعُ خاضَ دونَك فِتيَةٌ مِنـا بحارَ عوامــل وشِـفار
ودَحَوْا فُوَيْقَ الارض أرضا من دَم ثم انْثَنَـوْا فَبَنَوْا سمـاءَ غُبـار
قومٌ اذا لبِسوا الدروعَ حَسِبْتَها خُلُجًا تُمَـدُّ بها أكُفُّ بِحـار
لو شرَّعوا أيمـانَهم فى طولهـا طعَنوا بها عِوَضَ القَنا الخطَّار
جَنَبوا الجيادَ الى المَطىِّ وراوَحوا بين السُروج هُناك والأكْوار

وكأنما مَلَؤا عِيابَ دُروعِهم وغُمُود أنْصُلِهم سَرابَ قِفار
وكأنما صَنعُ السَوابغ عَزَّهُ ماءُ الحديد فَصاغ ماءَ قَرار
زَرَدًا فأحكَمَ كُلَّ مَوْصِل حَلْقةٍ بِحَبابِه فى موضع المِسمار
فتسَربَلُوا بمُتون ماءٍ جامِدٍ وتَقَنَّعوا بحَبابِ ماءٍ جارِ
أسْدٌ ولكن يُؤْثِرون بزادِهم والأسْدُ ليس تَدين بالايثار
يَتَزَيَّنُ النادى بحُسْن وُجوهِهم كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطّفون على المُجاوِر فيهمُ بالمُنْفِسات تعطُّفَ الأظْآر
من كل مَن جعل الظُبَى أنصارَه وكَرُمْنَ واستغنَى عن الانصار
واذا هو اعتقلَ القناةَ حَسِبْتَها صِلًّا تأبَّطَه هِزَبْرٌ ضار
والليثُ ان ثاوَرْتَه لم يَعْتَمِد الّا على الأنياب والاظفار
زَرَدُ الدِّلاص من الطِعان يُرِيحهُ فى الجَحفَلِ المُتضايِق الجرّار
مابين ثوبٍ بالدماء مُضَمَّخٍ زَلِقٍ ونَقْعٍ بالطِّراد مُثار
والهُونُ فى ظِلّ الهُوَيْنا كامِنٌ وجَلالة الأَخْطار فى الإخطار
تَنْدَى أسِرَّةُ وجهه ويمينُه فى حالة الإعسار والإيسار
ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أنامِلا للرزق فى أثنائهنّ مَجارِ
يَحْوى المَعالِيَ كاسِبا أو غالبا أبَدًا يُدارَى دونَها ويُدارِى
قد لاح فى ليل الشباب كواكبٌ ان أُمْهِلَتْ آلت الى الإسفار
وتَلَهُّبُ الاحشاء شَيّب مَفْرَقِى هذا الضياءُ شُواظُ تلك النار
شابَ القَذال وكلُّ غصنٍ صائرٌ فَيْنانُه الأحْوَى الى الازهار

والشيبُ مُنجذِبٌ فلِمْ بِيضُ الدُمَى عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نِفار
وتَوَدّ لو جعلت سوادَ قلوبها وسوادَ أعيُنِها خِضابَ عِذار
لاتنفِر الظَبيات عنه فقد رأت كيف اختلاف النبت فى الأطوار
شيانِ ينقشعان أوّلَ وهْلةٍ ظِلُّ الشباب وخُلّة الأشرار
لاحَبّذا الشيبُ الوفِيّ وحبذا ظِلُّ الشباب الخائنِ الغدّار
وطَرِى من الدنيا الشبابُ ورَوْقُه فاذا انقضَى فقدا نقضت أوطارى
قَصُرَت مسافتُه وماحسناته عندى ولا آلاؤه بقِصار
نزدادُ هَمًّا كلما ازددنا غِنىً والفقْر كُلّ الفقر فى الاكثار
مازاد فوقَ الزاد خُلِّفَ ضائعا فى حادث أو وارثٍ أو عار
إنّى لأَرحمُ حاسِدِيَّ لحَرِما ضمِنت صُدورهمُ من الأوغار
نَظَروا صَنيع الله بى فعُيونُهم فى جنةٍ وقلوبُهم فى نار
لاذنبَ لى قد رمتُ كَتْمَ فضائلى فكأنما برْقَعْتُ وجهَ نهار
وسترتُها بتواضُعى فتطلعت أعناقُها تعلو على الاستار
ومِنَ الرِجال مَعالِمٌ ومَجاهِلٌ ومِن النجوم غوامضٌ ودَرارى
والناسُ مشتبهون فى ايرادهم وتفاضُلُ الأقوامِ فى الاِصدار
عَمْرى لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلا فعَمُوا فلم يَقِفوا على آثارى
لو أبصَروا بقلوبهم لاستبصَروا وعَمَى البصائِر من عَمَى الأبصار
هَلّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا أو سَلَّموا لِمَواقع الأَقدار

وفَشَتْ خِيانات الثِقات وغيرهم ــــتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصـار
ولَرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهِلٍ لاخـيرَ فى يُمْنَى بغـير يَسار

الأرجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقـدير وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار وفعـلُه جميعُـه إدبار
مَن عَرَف الله أزالَ التُهَمَهْ وقال كلُّ فعلِهِ للحِكمَهْ
مَن أنكرَ القضاءَ فهو مُشرِك انّ القضاء بالعباد أملَك
ونحن لا نُشْرِك بالله ولا نَقْنَطُ من رحمته اذ نُبْتَلَى
عارٌ علينـا وقبيحُ ذِكْرِ أن نجعل الكُفْرَ مكان الشكرِ
وليس فى العالَم ظلمٌ جارى اذ كان مايجرى بأمر البارى
أسعدُ العالَم عند الله مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا أغاثَـه اللهُ اذا أُخيفـا
إن العظيمَ يدفع العظيما كما الجسيمُ يحمل الجسيما
فانّ من خلائقِ الكرام رحمةَ ذى البلاء والأسقام
وانّ من شرائط العُلُوّ العطفَ فى البؤس على العدوّ
قد قَضَت العُقول أنّ الشَّفقه على الصَّديق والعدوّ صدقه
وقد عَلِمْتَ واللبيبُ يعلم بالطبع لايُرْحَم مَن لايَرْحَم

فالمرءُ لايدرى مــتى يُمْتَحن فانه فى دهــره مُرْتَهَن
وان نجا اليومَ فما يَنْجو غدا لايأمَن الآفاتِ الا ذو الرَدَى
لا تَغْتَرِرْ بالخَفْض والسلامه فانما الحيــاة كالمُدامــه
والعمرُ مثلُ الكأسِ والدهرُ القَذَرْ والصَفْوُ لابُدَّ له من الكَدَر
وكلُّ انســان فــلا بُدَّ لَهُ من صاحبٍ يَحْمِل ما أثقلَهُ
جَهْدُ البلاء صحبة الاضــداد فانهـــا كَيٌّ على الفـــؤاد
أعظمُ مايَلْقَى الفتى من جَهْدِ أن يُبْتَلَى فى جِنْسِه بالضِّــدّ
فانما الرجالُ بالاِخوان واليــدُ بالساعِد والبَنَان
لا يَحْقِر الصُّحْبَــةَ الا جاهِلُ أو مارِقٌ عن الرشــادِ غافِلُ
صُحْبَــةُ يوم نَسَبٌ قــريبُ وذِمَّـــةٌ يحفظُهــا اللبيب
ومُوجِبُ الصَداقة المُساعده ومقتضى المَوَدّة المُعاضــده
لاسيما فى النُوَب الشــدائدِ والمِحَن العظيمــة الأَوَابد
فالمــرءُ يُحْــيِي أبدا أخاه وهو اذا ماعدّ من أعداه
وانّ مَن عاشَرَ قومًا يوما ينصُرُهم ولا يَخــاف لَوْما
وانّ مَن حارَبَ مَن لايَقوَى لِحَربه جَرَّ اليـــه البَــلْوَى
فحــارِب الأَكْفَاء والاقرانا فالمــرءُ لايُحــارِب السلطانا
واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامة واحذَر فعالًا توجبُ الندامه
فالتــاجرُ الكَيِّس فى التِجاره مَن خاف فى مَتْجَره الخَساره
يَجْهَد فى تحصيل رأ س ماله ثم يَروم الرِبْحَ باحتيـــاله

وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكا ... فلا تُقَصّرْ واحترِز أن تهلكا
واسْبِقْ الى الأجود سَبْقَ الناقدِ ... فَسَبْقُك الخَصْمَ من المَكَايد
وانتهِز الفُرصة انّ الفرصه ... تصير إن لم تنتهزْها غُصّه
كم بَطِرَ الغالب يوما فترك ... عنه التوقِّي واستهانَ فهلك
ومَن أضاعَ جُنْدَه فى السِلْمْ ... لم يحفظوه فى لِقاء الخَصْمْ
وانّ من لا يحفَظ القُلوبا ... يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا
والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم ... كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم
وأضعفُ الملوك طُرًّا عَقْدَا ... مَن غَرّه السِلْمُ فأَقْصَى الجندا
والحزم والتدبيرُ رُوح العزم ... لا خيرَ فى عزمٍ بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المُطاوله ... والصبرِ لا فى سرعة المزاوله
وفى الخُطوب تَظهر الجواهرُ ... ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر
لا تيأَسَنْ من فَرَجٍ ولطف ... وقُوّة تَظهر بعدَ ضَعْف
فربما جاءك بعدَ الياسِ ... رَوْحٌ بِلا كَدٍّ ولا التماسِ
فى لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحِكْ ... وناجِذٌ بادٍ ودمعٌ ينْسَفِك
تَنال بالرِّفْق وبالتأنى ... مالم تَنَلْ بالحِرْص والتَعَنِّى
ما أحسنَ الثباتَ والتَجَلُّدا ... وأقبحَ الحَيْرة والتبلُّدا
ليس الفتَى الاالذى إن طَرَقَهْ ... خَطْبٌ تَلَقّاه بصَبْرٍ وثِقَه
اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ ... فَثَمَّ أحوالُ الرجال تختلف
وكم لَقِيتُ لَذّةً فى زمنى ... فاصْبِرْ الآنَ لِهَذِى المِحَن

فالمـــوتُ لايكون الا مَرَّه والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرَّه
انى من الموت على يَقِينِ فَاجْهَد الآن لمـا يَقِيـنى
صَـــبْراً على أهوالها ولا ضَجَرْ وربمـا فازَ الفتى اذا صَـــبَرْ
لايَجْزَع الحُرّ من المصائب كلا ولايَخْضَـع للنـــوائب
فالحرّ للعِبْء الثقيـل يَحْمِلُ والصَبرُ عند النائبـات يَجْمُلُ
لـكل شئٍ مـــدةٌ وتنقضى ماغَلَب الايامَ الا مَن رَضى
قد صَـدَق القائل فى الكلام ليس النُهَى بِعِظَم العظـام
لا خَيرَ فى جسامة الأجسام بل هو فى العُقـــول والافهام
فالخَيْـل للحـــرب وللجَمَال والابْل للحَمْل وللـــتَرْحال
لاتَحْتَقِرْ شيئًا صـغيرا يُحْتَقَرْ فـــربمـا أسالتِ الدمَ الابَرْ
لاتُخْرِج الخصم ففى اخْراجه جميعُ ماتَكْرَه من لجَاجه
لا تطلُب الفـائتَ باللجاج وكُنْ اذا كويْتَ ذا إنضاج
فعـاجِزٌ مَن ترك المـوجودا طَـمَاعةً وطلبَ المفقـــودا
وفَتّش الامور عن أسرارهـا كم نُكْتَةٍ جاءتْك مَعْ اظهارها
لَزِمْتَ للجهل قبيحَ الظاهِرِ وما نظـرْتَ حَسَنَ السرائر
ليس يَضُرّ البدرَ فى سـناهُ أنّ الضَـــرير قَطُّ لايراه
كم حِكمةٍ أضْحَتْ بها المحافِل نافقَـــةً وأنتَ عنهـا غافل
ويَغْفُـلون عن خَفِىّ الحِكمه ولو رأوهـا لا زالوا التهـمه
كم حَسَنٍ ظاهِره قبيـح وسَـمِج عُنْـــوانُه مليـح

والحقّ قد تعلمه ثقيل   أبوه الّا نفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال   لا ينثنى لزخرف المقال
انّ العدوّ قوله مردود   وقلّما يصدّق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد   لاسيما ان كان من معاند
أيؤخذ البرىء بالسقيم   والرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الأعادى   يردونه بالغش والفساد
ان أكلّ من ترى أذهانا   من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدى بالحسنى   ولا تخل يسراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايد   وخدع منكرة شدائد
فالندب لا يخضع للشدائد   قطّ ولا يغتاظ بالمكائد
فرقّع الخرق بلطف واجتهد   وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد   يبلغ فى الأعداء ما يريد
وهو برىء منهم فى الظاهر   وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه   ولو بقتل ولده وعرسه
فانّ من يقصد قلع ضرسه   لم يعتمد الا صلاح نفسه
وانّ من خصّ اللئيم بالندى   وجدته كمن يربّى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر   وليس فى أصل الدنىء نصر
وانّ من ألزمه وكلّفه   ضدّ الذى فى طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهّالا   ويؤثر الأرذال والانذالا

لو أنكم أفاضــلٌ أحــرار ما ظَهَــرَتْ بينكم الأسرار
انّ الاصولَ تجـذب الفُروعا والعِرق دَسّاسٌ اذا أُضــيعا
ماطابَ فَرْعٌ أصلُه خبيث ولا زكا مَن مَجْدُه حديث
قد يُدرِكون رُتَبًا فى الدنيا ويبلُغون وَطَرًا من بُقْيا
لكنهم لايبلُغون فى الكرم مبلَغ مَن كان له فيها قِدم
وكل مَن تَماثَلَتْ أطرافُهُ فى طِيبِها وكَرُمَت أســلافه
كان خَليقا بالعُــلَى وبالكرم وبَرَعَتْ فى أصلِه حُسْنُ الشِيم
لولا بَنُــو آدمَ بين العــالَم ما بانَ للعُقول فضــل العالِم
فواحدٌ يُعطيــك فضلا وكرم فذاك مَن يكفُرُه فقد ظَلَم
وواحدٌ يعطيك للمُصانَعـه أو حاجةٍ له اليـك واقعــه
لا تَشْرَهَنْ الى حُطامٍ عاجلِ كم أُكلة أوْدَتْ بنفس الآكِل
واحذر أُخىّ يا فتى من الشَرَه وقِسْ بمـا رأيتَــه مالم تره
فليس مِن عَقْل الفتى أوكرمه افســادُ شخصٍ كاملٍ لقرَمِه
فالبَــغْىُ داءٌ ماله دواء ليس لمُلْكٍ معــه بَقــاء
والبــغى فاحذرْه وخيمُ المَرْتَع والعُجْبُ فاتركه شَديدُالمصرع
والغَــدْر بالعهد قبيحٌ جدا شرّالورى مَن ليس يَرْعى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه وربمـا ضَرّالحريصَ حرصُه
وربمـا ضَرَّكَ بعضُ مالــكا وساءك المحسِــن من رجالكا

فالمرءُ يَفْـدى نفسَــه بوَفْرِه   عســاه أن يَنْجُو به من أسْرِه
لا تُعْطِيَنْ شــيًا بغير فائده   فانها من السجايا الفاسده

فى خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادى

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَــلان شرقىّ وغربىّ والشرقى أعظمُهما يبتدئان من أسوان ويتقاربان باسنا حتى يكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهــما مسافة يوم فمـا دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ فى البحر المـالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لانعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافةً منه لانّ مَبادئَه عُيون تأتى من جبل القمر وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرضُ اسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة وعرضُ دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيــل على خط مستقيم ثلاثا واربعين درجة تنقص سدسا ومسـاحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هذا سوى مايأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية أنه يزيد عند نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عنـد انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عنـد الاعتدال الخريفى وحينئذ تُفتح الترع وتَفيض على الاراضى وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسـيول متواصلة تُمِدُّه فى هذا الأوان فان أمطار الاقليم الاول والثانى انمـا تَغْزُر فى الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لايقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صَـعيدها فاما أسافلها فقـد يقع بها مطرٌ جَوْد لكنه لايفى بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكندرية وما داناهما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيْلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طينٌ أسودُ عَلِكٌ فيـه دُسومة كثيرة يُسمى الابْليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بمـاء النيـل عند مَدّه فيستقر الطين ويَنْضُب المـاء فيُحْرَث ويزرع وكل سـنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها تُخالَف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحِراثة لانهـا تجىء بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المُؤْتَفِكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الاِتاء والرَّيْع اذ كانت أقربَ الى المبدأ فيحصل فيها من هـذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُسافَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها المـاء وقد راق

وَصفًا ولا أعرف شبيها بذلك الا ماحكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلَبَّد فيُحْرَث ويُزْرَع فاذا حُصِد جاءته رياح أخرى فنَسَفَتْه حتى يعود اجْرَدَ كما كان أوّلا

ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليُبْس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمدّ نيلها وفَيْضه لأنه يَمُدّ فى الصيف ويُطَبّق الأرضَ فى الخريف فأما سائر البلاد فانّ مياهَها تَنِشّ فى هذا الاوان وتَغْزُر فى أخصّ الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون فى غاية القحولة واليُبْس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العَفَنِيّة الحادثة عن أخْلاطٍ صفراوية وبَلْغَمِية وقلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشُّبَّان والمَحْرورين وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأوّل الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقِلّ فيهم الامراض الحادّة والدموية الوَحِيّة وأما أصحّاؤهم فيغلب عليهم التَرَهُّل والكسل وشُحُوب اللون وكُمودته وقلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدَم وأما صِبْيانُهم فَضَاوِيُّون يَغْلِب عليهم الدَمامة وقلّة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذَكاؤهم وتَوَقُّد أذهانهم وخِفّة حركاتهم فلحرارة بَلَدِهم الذاتِية لأنّ رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أَنْحَل

جُسوما وأجَفّ أمزجة والغالب عليهم السُمرة وكان ساكنو الفُسْطاط الى دمياط أرْطَبَ أبداناً والغالب عليهم البياض

ولمـا رأى قُدَماء المصريين أنّ عمارة أراضيهم انمـا هى بنيلها جعلوا أوّلَ سَنَتهم أول الخريف وذلك عنـد بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أنّ الصَّبا محجوبة عنهم بجَبَلِها الشرقى المُسمى المقطَّم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلّما تَهُبّ عليهم خالصة اللهم الانكْبَاءَ ولهـذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقرَ المُلْك مَنْف ونحوها ممـا يَبْعُد عن هذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندريةَ وتجنبوا مواضعَ الفُسْطاط لقُرْبه من المقطَّم فانّ الجبل يَسْتُر عما فى لِحفِه أكثرَ مما يستر عما بَعُد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقلّ فى هوائهم النُضْج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسنَ حالا من غيرها ولكثرة رطوبته يتَسارع العفَن اليها ويكثرُ فيها الفار ويتولد من الطين والعقـاربُ تكثرُ بقُوص وكثيرا ماتَقْتُل بلَسْبها والبَقّ المُنْتِن والذُباب والبراغيث تدوم زماناطويلا ومنها أنّ الجَنُوب اذا هَبّت عندهم فى الشتاء والربيع وفيما بعـد ذلك كانت باردة جدا ويسَمُّونهَا المَرِيسِى لمرورهـا على أرض المَريس وهى من بلاد السودان وسببُ بردهـا مرورُها على برِكَ ونقائع والدليل على صحة ذلك انهـا اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية وأسْخَنَتِ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

من لامية العجم لمؤيد الدين الطغرائى

أصالةُ الرأى صانَتْنى عن الخَطَـل وحِليـةُ الفضل زانَتْنى لَدَى العَطَل
مَجْدى أخيرًا ومجدى أوَّلًا شَرَعٌ والشمسِ رادَ الضحى كالشمس فى الطَفَل
فيمَ الاقامةُ بالزَوراء لاسَكَنى بهـا ولا ناقـتى فيهـا ولا جَمَـلى
ناءٍ عن الاهل صِفْرُ الكَفّ منفرِد كالنَصْـل عُرِّىَ مَتْنـاهُ عن الخِلَل
فلا صَـديق اليه مشتكَى حَزَنى ولا حبيب اليـــه منتَهى جَـذَلى
طال اغترابىَ حتى حَنّ راحِلَتى ورَحلُهـا وقَنــا العسّالةِ الذُبُل
وضَجّ من لَغَبٍ نِضْوِى وعَجّ لِمَـا يلقـاه قلـبى ولَجَّ الركْبُ فى عَذَلى
أريد بَسطةَ كَفٍّ أستعين بها على قضـاء حقوقٍ للعُـلَى قِبَلى
والدهرُ يَعكِس آمالى ويُقنِعُنى من الغنيمة بعـــد الكدّ بالقفَـــل
وذى شِطَاط كصدر الرمح مُعتَقِل بمثْـــله غـير هَيّـابٍ ولا وَكِل
حُلو الفُكاهة مُرّ الجِدّ قد مُزِجَتْ بقَســوة البَأس منــــه رِقّةُ الغَـزَل
طرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عن وِرْدِ مقلته والليـلُ أغرَى سَـوامَ النَوْم بالمُقَل
والركبُ مِيلٌ على الأكوار من طَرِبٍ صاحٍ وآخَرَ مِن خمـر الـكَرَى ثَمِل
فقلت أدعوك للجُلَّى لتنصُرَنى وأنت تَخْـذُلُنى فى الحـادث الجَلَل
تَنام عينى وعينُ النجم ساهِرة وتَستحيل وصِـبْغ الليـل لم يَحُـل
حُبُّ السلامة يَثْنى هَمَّ صـاحِبه عن المَعـالِى ويُغْرِى المرءَ بالكَسَل
فان جَنَحْتَ اليــه فاتخِذْ نَفَقًـا فى الارض أو سُلَّما فى الجوّ فاعتزِل

وَدَعْ غِمـارَ العُلَى للمُقْدِمين على   رُكوبِهـا واقتَنِـعْ منهنّ بالبَـلَل

يَرْضَى الذليلُ بخَفْضِ العَيْش مَسْكَنةً   والعِزُّ بين رَسِـيم الأَيْنُقِ الذُلُل

فادْرأْ بهـا فى نُحور البيـد جافلةً   مُعارِضـاتٍ مَثانِي اللُّجْم بالجُـدل

انّ العُـلَى حَدّثَتْني وهى صادقة   فيما تُحَـدّث أنّ العِز فى النُقَــل

لو أنّ فى شَرَف المأوَى بلوغَ مُنًى   لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَمَل

أهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مُسْـتمعاً   والحَظّ عَنّي بالجُهّـال فى شُـغُل

لَعَـلّه إن بدا فَضْـلِي ونَقْصُهُمُ   لعينِــه نام عنهـم أو تنبّــه لى

أُعَلّل النَفْسَ بالآمال أرقُبُهــا   ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأَمَل

لم أرضَ بالعيش والايام مُقبِـلة   فكيف أرضى وقد ولّت على عَجَل

غالَى بنفسيَ عِــرفانى بقيمتهـا   فَصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل

وعادةُ النَصْــل أن يُزْهَى بجوهَرِه   وليس يَعْمَل إلاّ فى يَدَىْ بَطَــل

ما كنتُ أُوثِر أن يَمْتَدّ بى زَمَني   حتى أَرَى دولَةَ الأَوغاد والسِفَل

تَقَـدّمتنِي أُناسٌ كان شَوْطُهُم   وراءَ خَطْوِيَ اذ أمشِى على مَهَل

هــذا جزاءُ امرِئٍ أقرانُه دَرَجوا   مِن قَبْــله فتمنّى فُسْحةَ الأَجَل

وان علانِيَ مَن دونِي فلا عَجَبٌ   لى أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل

فاصــبِرْ لهـا غيرَ مُحتال ولا ضَجِر   فى حادث الدهر ما يُغْنِي عن الحِيَل

أعدَى عدُوّك أدنى مَن وَثِقْتَ به   فحاذِر النـاسَ واصحَبْهم على دَخَل

فانمـا رَجُـل الدنيـا وواحدُهـا   مَن لا يعوِل فى الدنيـا على رجل

وحُسنُ ظنّـك بالايام مَعْجَزةٌ   فَظُنّ شرًّا وكُنْ منها على وَجَل

غاضَ الوفاء وفاضَ الغَدْرُ وانفرجت مسافةُ الخُلْف بين القول والعمل
وشانَ صِدْقَك بين الناس كِذْبهمُ وهل يُطابَقُ مُعْوَجٌّ بمعتدل
ان كان ينجع شئ فى ثَباتِهِم على العُهود فَسَبْق السيف للعَذَل
ياوارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّه كَدَرٌ أنفقْتَ صَفْوَكَ فى أيامك الأُوَل
فيمَ اعتراضُك لُجَّ البحر تركَبُه وأنت تكفيك منه مَصَّة الوَشَل
مُلْكُ القناعة لايُخْشى عليه ولا يُحتاج فيه الى الأَنصار والخَوَل
ترجو البقاءَ بدارٍ لاثَباتَ لها فهل سمِعتَ بِظل غير مُنتقل
وياخبيرا على الأَسْرار مُطَّلِعا أُصْمُتْ ففى الصَمْت مَنْجاةٌ من الزَلَل
قد رَشَّحوك لأمرٍ ان فَطِنْتَ له فارْبأْ بنفسك أن تَرْعَى مع الهَمَل

قال الطغرائى يفتخر

أبى اللهُ أن أسْمو بغير فضائلى اذا ماسما بالمال كلُّ مُسَوَّد
وان كَرُمَتْ قبلى أوائلُ أُسْرَتى فانى بحمد الله مبدأ سُؤْددى
يُذَمُّ لأجلِ المُهْر ان يَكْبُ مرةً بجَدّى وان ينهض بجَدّىَ يُحْمَدِ
وما منِصبٌ الا وقَدْرِىَ فوقَه ولو حُطَّ رَحْلى بين نَسْرٍ وفَرْقَد
اذا شرُفت نفسُ الفتى زاد قدرُه على كل أسنَى منه ذِكْرا وأمجد
كذاك حديد السيف ان يَصْفُ جوهرا فقيمتُه أضعافه وَزْنَ عسْجَد
تكادُ تَرَى مَن لايُقاس بِنجادُه بِشِسْعى اذا ماضَمَّنا صَدْرُ مَشهد
وما المالُ الا عارةٌ مُستَرَدّة فهلّا بفضلى كاثَرُونى ومحتِدى

اذا لم يكن لى فى الولاية بَسْطة يَطول بها باعى وتَسطو بها يدى
ولا كان لى حُكْم مُطاع أجــيزه فأُرغِم أعدائى وأَكْبِتُ حُسَّدى
فأُعْذَرُ ان قصَّرتُ فى حَقّ مُجْتَدٍ وآمَنُ أن يعتادنى كيدُ مُعتد
أَأُكفى ولا أَكفِى وتلك غَضاضة أرى دونها وقْــعَ الحُسامِ المُهَنَّد
ولو لا تكاليف العُلَى ومَغارِمٌ ثِقالٌ وأعقاب الاحاديث فى غد
لأعطيتُ نفسى فى التخلّى مُرادَها فذاك مُرادى مُذنشأتُ ومقصدى
من الحزم أن لا يَضْجَر المرءُ بالذى يُعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جَلدِى فى الامرِ خانَ ولم يُعِنْ مُرَيْرَةَ عزمِى ناب عنــه تَجَلُّدى
ومَن يَسْتَعِن بالصـــبر نال مُرادَه ولو بعـــدَ حين انه خيرُ مُسْعِد

المقامة الاولى الصَنْعانيـــة

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غارِب الاغترابْ وأنْأَتْنِي المَتْرَبة عن الاتْراب طَوّحتْ بى طوائحُ الزمن الى صَــنعاء اليمن فدخلتُهــا خاوِىَ الوِفاض بادِىَ الإِنْفاض لاأَملِك بُلْغــه ولا أجد فى جِرابى مُضْغه فطفِقْتُ أجوب طُرُقاتها مِثْــلَ الهـائم وأجُول فى حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأَرُود فى مَسارِح لَمَحاتى ومَسايِح غَدَواتى ورَوْحاتى كريمــا أُخْلِق له دِيباجَتى وأبُوح اليه بحاجَتى أو أديبــا تُفَرِّج رُؤْيَته غُمّتى وتُروِى رِوايَتُــه غُلّتى حتى أدَّتْنى خاتمةُ المَطــاف وهَــدَتْنى فاتحــةُ الأَلْطاف الى نادٍ رَحيبٍ مُحْتَوٍ على زِحام ونَحيب

فوَبَلَتُ غابَةَ الجمع لأسبُرَ مَجلَبَةَ الدمع فرأيت فى بُهْرَة الحَلْقه شخْصا شَخْتَ الخِلْقه عليه أُهْبَة السياحه وله رَنَّةُ النياحه وهو يَطْبَعُ الأسْجاع بجواهِرِ لَفْظِه ويَقْرَعُ الأسماع بزواجرِ وَعْظِه وقد أحاطت به أخْلاط الزُّمَرْ إحاطَةَ الهالة بالقَمَرْ والأكمام بالثَّمَر فدَلَفْتُ اليه لأقتبِس من فوائده وألْتَقِطَ بعضَ فرائده فسمعتُـــه يقول حين خَبَّ فى مَجاله وهَدَرَتْ شَقاشِقُ ارتِجاله أيُّها السّادِر فى غُلَوائه السّادِل ثَوْبَ خُيَلائه الجامح فى جَهالاته الجانح الى خُزَعْبِلاته إلامَ تَسْـــتَمِرّ على غَيِّك وتَستمرِئُ مَرْعى بَغْيِك وحتّامَ تتناهى فى زَهْوِك ولا تنتهى عن لَهْوِك تُبارِزُ بمعصيَتِك مالِكَ ناصِيَتِك وتجترئُ بقُبْحِ سِـــيرَتك على عالم سَرِيرَتك وتتوارَى عن قريبك وأنتَ بمَرأًى رَقِيبك وتَسْـــتَخْفِى من مَمْلوكك وما تَخْفَى خافِيَةٌ على مَليكك أتَظُنّ أن ستَنْفَعُك حالُك اذا آنَ ارْتِحالُك أو يُنْقِذُك مالُك حين تُوبِقك أعمـــالُك أو يُغْـنى عنك نَدَمُك اذا زلّت قَدَمُك أو يَعْطِف عليك مَعْشَرُك يومَ يَضُمُّك مَحْشَرُك هلّا انتَهَجْتَ مَحَجّةَ اهتِدائك وعَجَّلْتَ مُعالَجَةَ دائك وفَلَلْتَ شَباةَ اعْتِدائك وقَدَعْتَ نفسَك فهى أكبرُ أعدائك أمَا الحِمامُ ميعادُك فما إعْدادُك وبالمَشيب أنذارُك فما اعْذارُك وفى اللَّحْـــد مَقيلُك فما قِيلُك والى الله مَصيرك فمَنْ نَصيرك طالَمــا أيقَظَك الدهرُ فتناعَسْت وجَذَبَك الوَعْظ فتقـــاعَسْت وتَجلّت لك العِبَرُ فتعاميْت وحَصْحَص لك الحقّ فتماريْت وأذْكَرَك الموتُ فتنـــاسَيْت وأمكَنك أن تُواسى

فما آسَيْت تُؤْثِر فَلْسًا تُوعِيه على ذِكْرٍ تَعِيه وتختار قَصْرا تُعْلِيه على بِرٍّ تُولِيه وترْغَب عن هادٍ تَسْتَهْدِيه الى زادٍ تَسْتَهْدِيه وتُغَلِّب حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيه على ثَوابٍ تَشْتَرِيه يَواقيتُ الصِّلات أَعْلَقُ بقَلْبك من مَواقيت الصَلاة ومُغالاةُ الصَدُقات آثَرُ عندك من مُوالاة الصَدَقات وصحافُ الألْوان أشْهَى اليك من صحائف الأدْيان ودُعابةُ الأقْران آنَسُ لك من تِلاوة القرآن تأْمُر بالعُرْف وتَنْتَهِك حِماه وتَحْمِي عن النُكْر ولا تَتَحاماه وتُزَحْزِح عن الظُلْم ثم تَغْشاه وتَخْشَى الناسَ واللهُ أَحَقُّ أن تَخْشاه ثم أنشد

تَبًّا لطالب دُنْيا ثَنَى اليها انْصِبابَهْ
ما يَسْتَفِيق غَرَاما بها وفَرْطَ صَبابَهْ
ولو دَرَى لَكَفاهُ مما يَرُوم صُبابَهْ

ثم انه لَبَّدَ عَجاجَتَهْ وغَيَّضَ مُجاجَتَهْ واعْتَضَد شَكْوَتَهْ وتأَبَّط هِراوَتَهْ فلما رَنَتْ الجماعَة الى تَحَفُّزِه ورأَتْ تأَهُّبَه لمُزايَلة مَرْكَزه أَدْخَلَ كُلٌّ منهم يَدَه في جَيْبه فأَفْعَمَ له سَجْلا من سَيْبه وقال اصرِفْ هذا في نَفَقَتك أو فَرِّقْهُ على رُفْقَتك فَقَبِلَه منهم مُغْضِيا وانْثَنَى عنهم مُثْنِيا وجعل يُوَدِّع من يُشَيِّعه لِيَخْفَى عليه مَهْيَعُه ويُسَرِّب مَن يَتْبَعُه لِكَيْ يُجْهَل مَرْبَعُه (قال الحارث بن همام) فاتَّبَعْتُه مُوارِيًا عنه عِيانِي وقَفَوْتُ إِثْرَه من حيث لا يَرانِي حتى انْتَهَى الى مَغارِه فانْسابَ فيها على غِرارِه فأَمْهَلْتُه رَيْثَما خلَعَ نَعْلَيْه وغَسَل رِجْلَيْه ثم هَجَمْتُ عليه فوَجَدْتُه مُثافِنًا

لتلميذ على خُبْزٍ سميذ وَجْدِيٍ حَنيذ وقُبالتهُما خابيةُ نَبيذ فقُلْت له ياهذا أيكون ذاكَ خَبرَكَ وهذا مَخْبرَك فزفر زفْرة القيْظ وكادَ يتميَّزُ من الغَيْظ ولم يزل يُحَمْلِق الىّ حتى خِفْتُ أنْ يسطُوَ عَلَيّ فلمّا انْخَبَتْ نارُه وتوارَى أوارُه أنشد

لَبِستُ الخَمِيصة أبْغي الخَبيصه　　وأنْشَبْتُ بِشِّصِي فى كل شِيصَه
وَصَيَّرتُ وَعظِى أُحْبُولَةً　　أُرِيغُ القَنِيصَ بها والقَنِيصه
وألْجَأَنِي الدَهْرِ حتى وَلَجْتُ　　بلُطْف احْتيالِي على اللّيْث عِيصَه
على أنني لم أَهَبْ صَرْفَه　　ولا نَبَضَتْ لِيَ منه فَريصه
ولا شَرَعَتْ بِي على مَوْرِدٍ　　يُدَنِّس عِرْضِي نَفْسٌ حَرِيصه
ولو أنصَفَ الدَهْرُ فى حُكْمِه　　لَمَا مَلَّكَ الحُكْمَ أهلَ النَقِيصه

ثم قال لى ادْنُ فَكُلْ وانْ شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ الى تلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليك بمَن تَسْتَدْفِع به الأَذَى لَتُخْبِرَنِّي مَنْ ذَا فقال هذا أبو زَيد السَرُوجِيّ سِراج الغُرباء وتاجُ الأُدَباء فانْصَرَفْتُ من حيث أتَيْتُ وقَضَيتُ العَجَب ممَّا رأيت

المقامةُ الثالثة الدينارِيّة

رَوَى الحارث بن هَمّام قال نَظَمَنِي وأخْداناً لى نادٍ لم يَخِبْ فيه مُنادٍ ولا كَبَا قَدْح زِنادٍ ولا ذَكَتْ نارُ عِنادٍ فَبَيْنا نَحْنُ نَتَجاذَبُ أطرافَ الاناشيد ونَتَوارَد طُرفَ الآسانيد اذْ وَقَفَ بِنا شَخْصٌ عليه سَمَلٌ

وفى مِشْيَتِه قَزَل فقـال ياأَخايرَ الذخائِر وبَشائر العَشائر عِمُوا صَباحا وأنْعِموا اصْطِباحا وانظروا الى مَن كان ذا نَديٍّ ونَدى وجِدَةٍ وجَدى وعَقَارٍ وقُرَى ومَقارٍ وقرى فـا زالَتْ به قُطوب الخُطوب وحُرُوب الكُرُوب وشرَرُ شرّ الحَسود وانتِيابُ النُوَب السُود حتى صَفِرَت الرَاحَة وقَرِعَت الساحة وغارَ المَنبع ونبَا المَربع وأقْوى المَجمع وأقَضّ المَضْجَع واسْتَحالَت الحالُ وأعْوَلَ العِيال وخَلَت المَرابِط ورَحِم الغابِط وأوْدى الناطِقُ والصَامِت ورَثَى لنا الحاسِدُ والشامِت وآلَ بِنا الدَهْرُ المُوقع والفَقْر المُدْقع الى أن احْتَذَيْنا الوَجَى واغْتَذَيْنا الشَجى واسْتَبْطَنّا الجَوى وطَوَيْنـا الاَحْشاءَ على الطَوَى واكْتَحَلْنا السُهاد واسْتَوْطَنّا الوِهـاد واسْتَوْطَأْنا القَتـاد وتَناسَيْنا الأقْتاد واسْتَطَبْنا الحَيْنَ المُجْتاح واسْتَبْطَأنا اليومَ المُتَاح فهل من حُرٍّ آسٍ أو سَمِحٍ مُواسٍ فوالذى اسْتَخْرَجَنى من قَيْلَهْ لقد أمْسَيْتُ أخا عَيْلَه لا أملِك بَيْتَ لَيله (قال الحارث بن همام) فأوَيْتُ لِمَفاقره ولَوَيْتُ لى اسْتِنْباط فِقَره فأبْرَزْتُ دينـارا وقلت له اختِبارا ان مَدَحْتَه نَظْما فهو لكَ حَتْما فانبَرى ينشد فى الحال من غير انتحال

أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ راقَتْ صُفْرَتُه جَوّابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُه
مأْثورةٌ سُمعَتُـه وشُـهْرَتُه قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أَسِرَّتُه
وقارَنَتْ نُجْحَ المَساعِي خَطْرَتُه وحُبِّبَتْ الى الاَنامِ غُـرَّتُه
كأنما من القُـلوب نُقْرَتُه به يَصُول مَن حَوَتْه صُرَّتُه

وانْ تَفانَتْ أو تَوانَتْ عِـتْرَتُه   ياحبَّـذا نُضارُه ونَضْـرَتُه
وحبَّـذا مَغْناتُه ونُصْـرَتُه   كم آمرٍ به اسْـتَتَبَّتْ إمْرَتُه
ومُـتْرَفٍ لَوْلاهُ دامتْ حَسْرَتُه   وجيْشِ همٍّ هزمتـه كَرَّتُه
وبدْرِ تِمٍّ أنْزَلَتْـه بَدْرَتُه   ومُسْتَشِـيطٍ تتَلَظّى جمْـرَتُه
أسَرَّ نَجْواهُ فَـلانتْ شِـرَّتُه   وكم أسِـيرٍ أسْلَمَتْـه أُسْرَتُه
أنْقَذَه حـتى صَفتْ مَسَرَّتُه   وحقِّ مُولًى أبْدَعَتْه فِطْـرَتُه

لولا التُقَى لقلتُ جلّت قدرته

ثم بَسَط يَدَه بعدَ ماأنْشَدَه وقال أنْجَزَ حُرٌّ ماوعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار اليــه وقلت خُذْه غيرَ مأسُوف عليه فوضَعَه فى فِيه وقال بارِك اللهم فيه ثم شَمّر للانْثِناء بعد تَوْفِية الثَنَاء فَنَشَأَتْ لى من فُكَاهَتِـه نَشْوَةُ غَرام سَهَّلَتْ علىَّ ائْتناف اغْترام بَجَرَّدْتُ دينارًا آخر وقُلْت هل لك فى أن تَذُمَّه ثم تَضُمه فأنشد مُرْتجلا وشَدَا عَجِلا

تَبًّـا لَهُ من خادِعٍ مُمَـاذق   اصْفَرَ ذِى وَجْهَيْن كالمُنَافِق
يَبْدُو بِوَصْفَيْن لِعَـين الرامِق   زينةِ مَعْشُوق ولَوْنِ عاشق
وحُبُّه عند ذَوِى الحَقَائق   يَدْعُوالى ارْتِكاب سُخْط الخالق
لولاهُ لم تُقْطَع يَمينُ سارِق   ولا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ من فاسِق
ولا اشْمَأَزَّ باخِلٌ من طارِق   ولاشَكَا المَمْطُولُ مَطْلَ العائق .
ولااسْتُعِيذ من حَسُودٍ راشِق   وَشَرُّ مافيه من الخلائق
أنْ ليس يُغْنِى عنكَ فى المَضايِق   الّا اذا فَــرَّ فِــرارَ الآبِق

وَاهًــا لِمَنْ يَقْذِفُه من حالق ومَن اذا نَاجاهُ نَجْـوَى الوامِق قال له قَـوْلَ المُحِقّ الصَـادِق لا رأْىَ فى وَصْلِك لِى ففارِق فقلت له ماأغزرَ وبْلَكْ فقال والشَرْطُ أمْلَكْ فنفحتُـه بالدينار الثانى وقلتُ له عوِّذْهُما بالمَثانى فألقاهُ فى فِمه وقرنَه بتَوْأَمه وانْكَفأ يَحْمَد مَغْداه ويَمْدَح النادِىَ ونَداه (قال الحـارث بن همام) فناجانى قلبى بأنه أبوزَيد وأنّ تَعارُجه لِكَيْد فاستَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بِوَشْيِك فاستَقِمْ فى مَشْيِك فقال ان كنتَ ابنَ هَمّام فَحُيِّيتَ باكْرام وحَيِيتَ بين كِرام فقلتُ أنا الحارث فكيف حالُك والحَوادث فقال أتقلّب فى الحـالَيْن بُؤْس ورَخاء وأنقلِب مع الرِّيحَين زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعَيتَ القَزَل وما مِثْلُكَ مَن هَزَل فاستَسَرّ بِشْرُه الذى كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلّى

تَعارَجْتُ لارَغْبَــةً فى العَرَجْ ولكن لأقْرَعَ بابَ الفَــرَجْ
وأُلْقِىَ حَبْــلِى على غارِبِى وأسْلُكَ مَسْلَكَ مَن قد مَرَجْ
فان لامَنِى القَوْمُ قلتُ اعْذُرُوا فليس على أعْرَجٍ من حَرَجْ

المقامة الحادية والعشرون الرّازيّة

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْت تدبيرى وعَرَفْتُ قَبِيلى من دَبيرى بأن أُصغِى الى العِظات وأُلْغِى الكَلِم المُحْفِظات لأتَحَلَّى بمحاسن الاخلاق وأَتَخَلّى ممـا يَسِم بالاِخلاق وما زِلْتُ آخُذُ

نفسي بهـــذا الأدب وأُخْمِدُ به جَمْرَةَ الغَضَب حتى صار التَّطَبُّع فيه طِباعا والتَكَلُّف له هَوَى مُطاعا فلما حَلَلْتُ بالرَّىّ وقد حَلَلْتُ حُبَى الغَيّ وعرفْتُ الحَىّ من اللّىّ رأيتُ بها ذاتَ بُكْرَه زُمْرَةً فى إثْرِ زُمْرَه وهم مُنْتَشِرون انتِشار الجراد ومُستَنُّون استِنانَ الجِيـاد ومُتواصِفون واعِظـا يَقْصِدونه ويُحِلُّون ابنَ سَمْعون دونه فلم يَتَكاءَدْنِى لاسْتِمـاع المَوَاعظ واخْتِبـار الواعِظ أن أُقاسِىَ اللّاغِط وأحْتَمِل الضاغِط فأَصْحَبْتُ اصْحابَ المِطْواعَة وانْخَرَطْتُ فى سِلْك الجماعة حتى أفْضَيْنا الى نادٍ جَمَعَ الاميرَ والمأمور وحَشَدَ النَبِيه والمَغْمور وفى وَسَط هالَتِه وَوَسْــط أهِلَّته شَــيْخٌ قد تَقَوَّس واقْعَنْسَسَ وتَقَلَّس وتَطَلَّسَ وهو يَصْدَع بوَعْظٍ يَشْفِى الصُدور ويُلين الصُخور فَسَمِعْتُه يقول وقد افْتَتَنَتْ به العُقول ابنَ آدمَ ما أغراكَ بمـا يَغُرُّك وأضْراكَ بمـا يَضُرُّك وألْهَجَك بما يُطْغيك وأبْهَجَك بمـا يُطْرِيك تُعْنَى بما يُعَنِّيك وتُهْمِل مايَعْنيـك وتَنْزِع فى قَوْس تَعَــدّيك وتَرْتَدِى الحِرْصَ الذى يُرْدِيك لابالكَفاف تَقْتَنِـع ولا من الحَرام تَمْتَنِـع ولا للعِظات تَسْتَمِع ولا للوَعيد تَرْتَدِع دَأْبُك أن تَتَقَلَّب مع الأهْواء وتَخْبِط خَبْطَ العَشْواء وهَمُّكَ أن تَدْأَبَ فى الاحْتِراث وتَجْمَعَ التُراث للوُرّاث يُعْجِبك التَكاثُر بمـا لَدَيْك ولا تَذْكُر مابين يديك وتَسْعَى أبدًا لغارَيْك ولا تُبالِى أَلَكَ أَمْ عليك أتَظُنّ أن سَتُتْرَك سُدَى وأن لا تُحاسَبَ غدًا أَمْ تَحْسِب أنّ الموت يَقْبَــل الرُشا أو يُمَيِّز بين الاسَد والرَشا كَلّا والله لَنْ يَدْفَعَ

المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفع أهلَ القُبور سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لِمَن سَمِع وَوَعَى وحَقَّق ما ادَّعَى ونَهى النَّفْسَ عن الهَوَى وعَلِم أنّ الفائِزَ مَن ارْعَوى وأن ليس للانسانِ الا ماسَعَى وأنّ سَعْيَه سوف يُرَى ثم أنشد إنشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْرُكَ ماتُغْنِي المَغَانى ولا الغِنَى اذا سَكَن المُثْرِى الـثَّرَى وثَوابِهِ
بما تَقْتَنِي من أجْرِهِ وثوابِهِ جُدْ فى مَرَاضِي الله بالمال راضِيًا
بمخْلَبِه الاَشْغَى يَغُول ونابِهِ وبادِرْ به صَرْفَ الزمانِ فانه
فكم خامِل أخْنَى عليه ونابِهِ ولا تأْمَن الدهْرَ الخَؤُنَ ومَكْرَهُ
أخو ضَلّةٍ الا هَوَى من عِقابِهِ وعاصِ هَوَى النفس الذى ما أطاعَهُ
لِتَنْجُو مما يُتَّقَى من عِقابِهِ وحافِظْ على تَقْوَى الالهِ وخَوْفِه
بدَمْع يُضاهِي المُزْنَ حالَ مَصابِهِ ولا تَلْهَ عن تَذْكارِ ذَنْبِك وابْكِهِ
وروعَةَ مَلْقاهُ ومَطْعَم صابِهِ ومَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمامَ ووقْعَه
سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزَلًا عن قِبابِهِ وإنّ قُصارَى مَنْزِلِ الحَىّ حُفْرَةٌ
وأبْدَى التَلافِى قبلَ اغلاقِ بابِهِ فَواهًا لِعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِهِ

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبةٍ يُظْهِرونها حتى كادت الشمس تَزُولُ والفَرِيضَةُ تَعُول فلما خَشَعَتِ الاَصْوات والْتَأَمَ الإِنْصات واسْتَكَنَّتِ العَبَرات والعبارات اسْتَصْرخ مُسْتَصْرِخٌ بالامير الناضِر وجَعَل يجْأَرُ اليه من عامِلِهِ الجائِر والاميرُ صاغ الى خَصْمِه

لاهٍ عن كشف ظُلْمه فلما يَئِس من رَوْحه استنهض الواعظَ لِنُصْحه فنهض نَهْضَة الشِّمِّير وأنشد مُعَرِّضا بالأمير

عَجَبًا لِرَاجٍ أن يَنَال وِلَايَةً حتى اذا ما نال بُغْيَتَـهُ بغى
يُسْدِي ويُلْحِم فى المَظَالِم والغَا فى وِرْدِها طَوْرًا وطورا مُولِغَا
ما ان يُبَالى حين يَتْبِع الهَوَى فيها أَأَصْلَحَ دينَـه أم أَوْتَغَـا
ياوَيْحَـه لو كان يُوقِنُ أنه ما حالَةٌ الا تَحُول لمَا طَـغَى
أو لو تَبَيَّنَ ماندَامَةُ مَن صَغَى سَمْعًا الى إفْك الوُشاة لمَا صَغَا
فانْقَـدْ لِمَن أضْحَى الزِمامُ بكَفِّه وتَغـاضَ إن أَلْغَى الرِّعاية أولَغَا
وارْعَ المُرارَ اذا دَعاكَ لِرَعْيِـه ورِدِ الأجاجَ اذا حَمـاكَ السَّيِّغا
واحْمِـلْ أَذَاهُ اذا أَمَضَّكَ مَسُّـهُ وأسالَ غَرْبَ الدمع منك وأفرَغا
فَلَيُضْحِكَنْكَ الدهرُ منه اذا نَبَا عنه وشَبَّ لِكَيْـدِه نارَ الوَغَى
ولَيَـنْزِلَنَّ به الشَماتُ اذا بدا مُتَخَلِّيا من شُـغْلِه مُتَفَـرِّغا
ولَتَـأْوِيَنَّ له اذا ما خَـدُّه أضْحَى على تُرْب الهَوَان مُمَرَّغا
هذا له ولَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا فيه يُرَى رَبُّ الفصاحة أَلْثَغَا
ولَيُحْشَرَنَّ أَذَلَّ من قَمْع الفَلَا ويُحاسَبَنَّ على النَقِيصـة والشَغَا
ويُؤاخَذَنَّ بمـا اجْتَنَى ومَن اجْتَنَى ويُطالَبَنَّ بما احْتَسَى وبما ارْتَغَى
ويُنَاقَشَنَّ على الدَقائِق مِثْلَ ما قد كان يَصْنَع بالوَرَى بل أَبْلَغَا
حتى يَعَضَّ على الوِلاية كَفَّـه ويَوَدَّ لو لم يَبْـغ منها ما بَغَى

ثم قال أيها المُتَوَشّح بالوِلايه المُتَرَشّح للرِعايه دَع الادْلال بدولتِك والاغترارَ بصَوْلَتِك فان الدَوْلَةَ رِيحٌ قُلّب والاِمْرَةَ بَرْقٌ خُلَّب وانّ أسْعَد الرُعاة مَن سَعِدت به رَعِيّتُه وأشْقاهُم فى الدارَينِ مَن ساءَت رِعايَتُه فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخِرَةَ ويُلْغيها ويُحِبّ العاجِلة ويَبْتَغيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعى فى الارض لِيُفْسِدَ فيها فواللهِ مايغفُلُ الدَيّان ولاتُهْمَل ياانسان ولا تُلْغَى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لك الميزان وكما تَدين تُدان قال فوَجَمَ الوَالِي لمّا سَمِع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتأَفّف من الاِمْره ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْره ثم عَمَد الى الشاكى فَأَشْكاه والى المَشْكُو منه فأشْجاه وألْطَفَ الواعظَ وحَبّاه واسْتَدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنْصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعِظُ يَتهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفوز صَفْقَتِه واعْتَقَبْتُه أخْطُو مُتَقاصِرا وأُرِيه لَمْحا باصِرا فلمّا اسْتَشَفَّ ماأُخْفيه وفَطِن لتَقَلُّب طَرْفى فيه قال خَيرُ دَليلَيْكَ مَنْ أرْشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنْشد

أنَا الذى تَعْـــرِفه ياحارِثُ حِدْثُ مُلُوكٍ فَكِهٌ مُنـافِثُ
أُطْرِبُ مالا تُطْرِبُ المَثالِثُ طَوْرًا أخُو جِدٍّ وطَوْرًا عابِثُ
ماغَيّرَتْنِى بَعْـــدَكَ الحَوادِثُ ولاالْتَحَى عُودِى خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدّى نابٌ فارِثُ بل مِخْلَبِى بكُلّ صَيْدٍ ضابِثُ
وكُلّ سَرحٍ فِيه ذِئْبِى عائثُ حتّى كأنّى للأنام وارِثُ
سامُهُم وحامُهُم ويافثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انّك لأَبُو زَيد ولقد قُمْتَ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فهشّ هَشَاشَةَ الكَرِيم اذا أمّ وقال اسْمَع ياابنَ أُمّ ثم أنشأ يقول

عليـكَ بالصِـدق ولَوْ أنَّهُ أحْرَقَكَ الصــدقُ بنارِ الوَعِيد
وابْغِ رِضَا اللهِ فَأغْبَى الوَرَى من أسْخَطَ المَوْلَى وأرْضَى العَبِيد

ثم انَّه وَدَّعَ أخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أرْدَانَه فَطَلَبْنَاه مِن بَعْدُ بالرّى واسْتَنْشَرْنا خَبَرَه مِن مَدَارِج الطّىّ فما فينَا مَنْ عَرَف قَرارَه ولا دَرَى أىُّ الجَرَاد عَارَه ·

نُخْبة من وَصيّة ابن سَعيد المغربى لابْنِه وقد أراد السَفَر

أُودِعُكَ الرَحْمَنَ فى غُرْبَتِكْ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فى أوْبَتِـكْ
فلا تُطِـلْ حَبْـلَ النَوَى إنَّنِي والله أشْــتاقُ الى طَلْعَتِــكْ
واخْتَصِرِ التـــوديعَ أخذًا فما لِى ناظرٌ يَقْوَى على فُرْقَتِــكْ
واجْعَلْ وَصاتِى نُصْبَ عَيْنٍ ولا تَبْرَحْ مَـدَى الايامِ مِن فِكْرَتِك
خُلاصــةُ العُمْرِ التِي حُنّكَتْ فى ساعةٍ زُفَّتْ إلَى فِطْنَتِــك
فلِلتَّجَــارِيب أُمُــورٌ اذا طَالَعْتَهَـا تَشْحَذُ مِن غَفْلَتِـك
فَــلا تَنَمْ عن وَعْيِها سَـاعَةً فانَّهـا عَوْنٌ الَى يَقْظَتِــك
وكُلّ ما كَابَدْتَه فى النَــوَى اِيّاكَ أنْ يَكْسِرَ مِن هِمَّتِــك
فليسَ يُدْرَى أصْلُ ذِى غُرْبَةٍ وانَّمـا تُعْــرَفُ مِن شِيمَتِـك

وامشِ الهُوَيْنا مُظْهِرًا عِفّةً وابغِ رِضا الأعيُنِ عن هيئتك
وانطِقْ بحيثُ العِيُّ مُستقبَحٌ واصمُتْ بحيث الخيرُ فى سكتتك
وَلِجْ على رِزقِك مِن بابِه واقصِدْ له ما عِشتَ فى بُكرتك
ووفِّ كُلّا حقَّه ولتكُنْ تكسِر عند الفخرِ مِن حِدّتك
وحيثُما خيَّمتَ فاقصِدْ الى صُحبةِ مَن ترجوه فى نُصرتك
وللرزايا وثبةٌ مالها الا الذى تذخُرُ مِن عُدّتك
ولا تقُلْ أسلَمُ لِى وحدتى فقد تُقاسى الذُّلّ فى وحدتك
ولتجعلِ العقلَ محكًّا وخُذْ كُلّا بما يظهر فى نقدتك
واعتبرِ الناسَ بألفاظهم واصحبْ أخًا يرغب فى صُحبتك
كم مِن صديقٍ مُظهِرٍ نُصحَه وفكرُه وقفٌ على عثرتك
اياكَ أن تقرَبَه انه عونٌ مع الدهرِ على كُربتك
وأنمِ نُمُوَّ النبتِ قد زارَه غِبُّ النَّدى واسمُ الى قُدرتك
ولا تُضيِّعْ زمنًا مُمكنًا تذكارُه يُذكِى لظَى حسرتك
والشرَّ مهما اسطعتَ لا تأتِه فانه حُورٌ على مُهجتك

يابُنيَّ الذى لاناصِحَ له مِثلى ولا منصوحَ لِى مِثلُه قد قدَّمتُ لك فى هذا النَّظم ماإن أخطرتَه بخاطرك فى كل أوانٍ رجوتُ لك حُسنَ العاقبة ان شاء الله تعالى وانّ أخفَّ منه للحفْظ وأعلَق بالفِكر وأحقّ بالتقدُّم قولُ الاوّل

يَزِينُ الغَرِيبَ اذا ما اغْتَرَبْ ثلاثٌ فَمِنْهُنّ حُسْن الادب
وثانيـــةٌ حُســن أَخْلاقهِ وثالثـــةٌ إجْتنابُ الرِّيَبْ

واصْغَ يابنىّ الى البيت الذى هو يتيمة الدهر وسُلّم الكَرَم والصَبْر

ولَوَانّ اوطانَ الديارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَــكَنْتُمُ الاَخلاق والآدابا

اذْ حُسْن الخُلُق أكْرَم نَزِيل والادبُ أرْحَبُ مَنْزِل ولْتَكُنْ كما قال بعضهم فى أديبٍ مُتَغَرِّب وكان كلما طَرَأ على مَلِكٍ فكأنه مَعَه وُلِد واليه قَصَد غيرَ مُسْــتَرِيب بدَهْره ولا مُنْكِرٍ شيأ من أمره واذا دَعاك قَلْبُك الى صُحْبَة من أخذ بمجامـع هَوَاه فاجعل التَّكَلُّف له سُلّما وهُبَّ فى رَوض أخْلاقه هُبُوب النَســيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزِل بقلبــه نُزولَ المَسَرّة حتى يَتَمَــكّن لك وِدَادُه ويَخْلُص فيك اعتِقادُه وطَهِّرْ من الوُقوع فيه لسانَك وأغْلِق سَمْعَك ولا تُرَخّصْ فى جانِبِه لحَسُودٍ لك منه يُرِيد أبعادَك عنه لمنفعةٍ أوحَسودٍ له يَغارُ لتَجَمُّلِه بصُحْبتك ومع هذا فلاتَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَتَمَهّد بدوام رَقْدته فقد يُنَبِّهُه الزمان ويَتَغَيَّرمنه القلب واللسان وانمــا العاقل مَن جَعل عَقْله مِعْيارا وكان كالمِرْآة يَلْقَى كل وجهٍ بمثاله وفى أمثال العامّة من سَبَقَك بيوم فقد سَبَقك بعَقْل فاحْتَذِ بأمثلة مَن جَرّب واستمِع الى ما خَلّد الماضُون بعد جَهْدهم وتَعَبهم من الاقوال فانها خُلاصة عُمْرهم وزُبْدة تَجَارِبِهم ولا تَتّكِل على عَقْلك فانّ النَظَر فيما تَعِب فيــه الناسُ طُولَ أعْمَــارهم وابْتاعُوه غالِيًا بتَجَـارِبِهم يُرْبِحُك ويَقَع عليك رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقــل ومُرُوءة وتَجْربة فاسْتَفِدْ

منه ولا تُضَيّع قولَه ولا فِعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلك وحَثّا لك واهتِداءً وليس كل ماتَسْمع من أقوال الشُّعَراء يَحْسُن بك أن تَتّبعه حتى تَتَدَبّره فان كان مُوافِقا لعقلك مُصْلِحا لحالك فَراعِ ذلك عندك والا فانْبِذْه نَبْذَ النَواة فليس لكل أحد يُتَبَسّم ولا كل شخص يُكَلَّم ولا الجُود مما يُعَمّ به ولا حُسْن الظنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

وماليَ لا أُوفِي البَرِيّةَ قِسْطَها على قَدْرِما يُعْطِي وعَقْلِي مِيزانُ

واياكَ أن تُعْطِيَ من نَفسك الا بقَــدَرٍ فلا تُعامِل الدُّونَ بمعاملة الكُفْءِ ولا الكُفْءَ بمعاملة الأَعْلَى ولا تُضَيِّــع عُمْرَك فيمن يُعامِلك بالمطامع ويُثيبُك على مَصْــلحةٍ حاضرة عاجلة بغائبــةٍ آجلة ولا تَجْفُ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لايَلْحَق منه مَلَل ولا ضَجَر ولا جَفاء فمتى فارَقْتَ أحدًا فعلى حُسْــنَى فى القَول والفعل فانك لاتدرى هل أنتَ راجعٌ اليه فلذلك قال الاول (ولمـا مَضَى سَـلْمٌ بَكَيْتُ على سَلْمِ) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدارِ قَومٍ رَحَلْتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا

واحْرِص على ماجَمَع قول القائل ثلاثةٌ تُبْقِي لك الوُدَّ فى صَدر أخيك أن تَبْدَأه بالسلام وتُوَسّع له فى المَجْلس وتَدْعوه بأحبّ الأسماء اليه واحذَرْ كل مابَيّنه لك القائل كل ما تَغْرسُـــه تجْنيه الا ابن آدم فاذا غَرَسْتَه يَقْلَعُك وقول الآخر ابن آدمَ ذئب مع الضَعْف أَسَدٌ مع القُوّة واياك

أن تَثْبُت على صُحْبة أحَد قبل أنْ تُطيل اخْتباره . ويحكى أن ابن المُقَفّع خَطَب من الخَليل صُحْبَتَه فجَاوَبَه ان الصُّحْبة رِقّ ولا أضَع رقّى فى يديك حتى أعْرف كيفَ مَلَكَتُك واسْتَمِل من عين مَن تُعاشِره وتَفَقّد فى فَلَتَات الألسُن وصَفَحات الأوْجُه ولا يَحْمِلْك الحياء على السكوت عما يَضُرّك أن لاتُبَيّنه فانّ الكلام سلاح السِلْم وبالأنين يُعْرَف ألَمُ الجُرْح واجعل لكل أمْر أخَذْتَ فيه غايةً تَجْعَلُها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاك به   مَن قَرّ عينًا بعَيْشه نَفَعه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَريب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الا نَفْسَك لأنّك تَنْصُر بها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عونًا   عليك مع الزمان فَمَن تَلُوم

مع انه لا يَرُدُّ عليك الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوى بطُول عَتْبك الزَمَنُ ولقد شاهَدت بِغَرْناطَة شخصا قد ألِفته الهُمُوم وعشِقته الغموم ومن صِغره الى كبَره لا تَرَاه أبدا خلِيّاً من فِكْرَة حتى لُقّب بصَـدْر الهَم ومن أعجب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكّد فى الشّدّة ولا يَتَعَلّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكّد فى الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشِد

* تَوَقّع زَوَالًا اذا قيلَ تَمّ * ويِنشد * وعند التَنَاهى يَقْصُر المُتَطاول *

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمْرُه مَخْسور يَمُرّ ضَياعا ومتى رَفَعَك الزمانُ الى قوم يذُمّون من العلمْ ما تُحْسِنهُ حَسَدًا لك

وَقَصْدًا لتصغير قَدْرِك عندك وتزهيدا لك فيه فلا يحملك ذلك على أن تزهد في علمك وتركن الى العلم الذى مدحوه فتكون مثل الغُراب الذى أعجبه مشى الحَجَلة فرام أن يتعلّمه فصعب عليه ثم أراد أن يرجع الى مشيه فنسيه فبقى مُخبَّل المشى كما قيل

انّ الغُراب وكان يمشى مِشْيةً فيما مَضَى من سالف الاجْيال
حَسَدَ القَطا وأراد يمشى مَشْيَها فاصابَه ضَربٌ من العُقّال
فاضلّ مِشْيَته وأخطأ مَشْيَها فلذاك كَنّوه أبا مِرْقال

ولا يُفسِدْ خاطِرَك مَن جعل يَذُمّ الزمان وأهلَه ويقول مابَقِىَ فى الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فان الذين تَراهم على هذه الصفة أكثر مايكونون ممن صَحِبَه الحِرمان واسْتَحقّت طَلْعتُه للهوان وأبرَموا على الناس بالسؤال فَمَقَتُوهم وعَجَزوا عن طَلَب الامور من وُجُوهها فاستَراحُوا الى الوُقُوع فى الناس وأقاموا الاَعْذار لأنْفُسهم بقَطْع أسبابهم ولا تُزِل هذين البيتين من فكرك

لِنْ اذا ما نلْتَ عزًّا فأخُو العِزّ يَلينُ
فاذا نابَكَ دَهْرٌ فكما كنتَ تكونُ

والامثال تُضْرب لِذِى اللُّبّ الحكيم وذُو البَصَر يَمْشى على الصراط المستقيم والفَطِن يَقْنَع بالقَليل ويَسْتَدِلّ باليَسير والله سبحانه خليفتى عليك لا رَبَّ سواه

الجـامع الازهر

هذا الجامع أول مسجد أسّس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصَّقَلىّ مَولى الامام أبى تميم مَعَدّ الخليفــة أمـير المؤمنين المُعزّ لدين الله لمّــا اختَطّ القاهرة وشرِع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لِستّ بَقين من جُمَادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكُمِّل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمّع فيه وكُتب بدائر القبّــة التى فى الرّواق الاول وهى على يَمْنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة ممــا أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبــده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلاثمـائة وأول جمعة جُمّعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه ســنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جَدّد فيه أشــياء وفى سنة ثمـان وسبعين وثلاثمـائة سَأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كِلْس الخليفة العزيز بالله فى صِــلَة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيَت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتَحَلّقوا فيه بعد الصلاة الى أن تُصَلَّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صِلَة فى كل سنة وكانت عِدّتُهم خمسة وثلاثين

رجلا وخَلَعَ عليهم العزيز يوم عيـد الفطر وحَمَلهم على بَغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يَسْكُنه عُصْفور ولا يُفْرِخ به وكذا سائر الطيور من الحَمَام واليَمام وغيره وهو صورة ثلاث طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصـورة فى أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدّة المُؤَذّنين والصورة الاخرى فى الصحن فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جَدّده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رِباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وانشأ فيه مقصورة لطيفة تُجَاوِر البابَ الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرِفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنـام ثم انه جُدّد فى ايام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى قال القـاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى كتاب سـيرة الملك الظاهر لمـا كان يوم الجمعة الثـامن عشر من ربيع الاول سـنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مدّة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جارُه فى دار الدنيـا انه غدا يكون ثوابهُ جارَه فى تلك الدار ورسم بالنظر فى أمره وانتزع له أشـياء مغصوبة كان شئ منها فى أيدى جماعة وحاط أموره

حتى جمع له شيئًا صالحا وجرى الحديث فى ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فَعَمَّر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَمًا فى وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ورتب فى هذه المقصورة محدّثا يُسْمع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارّة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث فى اقامة جمعة فيه فنودى فى المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه فى اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلى والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث فى أمر جواز الجمعة فى الجامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتب فيها فُتْيا أُخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة فى هذا الجامع واقامتها فكتب

جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمى قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيــه حتى بنى الجامع الحاكمى فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفى الجامع الازهر خطبة وفى جامع ابن طُولُون وفى جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبــة من الجامع الازهر لمــا استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبــة بالجامع الحاكمى من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ان أعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لمــا كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة ســقط الجامع الازهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقــاسم امراء الدولة عمــارة الجوامع فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمــارة الجــامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمــارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصــالح فجددوا مبانيها وأعادوا ماتهدم منها ثم جددت عمارة الجامع

الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاِسْعَرْدِى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عند ماسكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخُطّ الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها وهى التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثّر فيه أثَرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخَصًّا به فأذِن له فى ذلك وكان قد استجد بالجامع عدّة مَقاصير ووُضِعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزَع تلك المقاصير وتَتَبَّع جُدْرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبَيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيل لاقراء أيتام المسلمين كتابَ الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرّسهم لالقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّى الامير الطواشى بَهادرُ المقدّم على

المماليك السلطانية نَظَرَ الجامع الازهر فتنجَّزَ مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخُذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة كملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوْا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المِئْذَنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهُدِمت لمَيْلٍ ظَهَرَ فيها وعُمِل بَدَلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأُخِذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين الشَوْبَكِىّ والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى فى وسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يُسَبَّل فيه المـاء وغُرِس بصحن الجامع أربع شجرات فلم

تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدرالدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سـنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمـان عشرة وثمـانمـائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القـاضى حاجب الحجاب فجرت فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا مابين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجـامع عامرا بتلاوة القرآن ودراســته وتلْقينه والاشـــتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحِلَق الذِكْر فيَجِد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجـــده فى غيره وصـــار أرباب الاموال يقصدون هـذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفُلُوس اعانَةً للجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحْمَل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمـادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها

ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يُؤْويه ومنهم من يَسْتَرْوح بمبيته هناك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامّة ومن يريد النهب جماعة فَحَل بمن كان فى الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهم وسُلِبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعَمِل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُزَوَّقَين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بنى أُمَيّة

وهو اعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ولا يُعْلم له نظير ولا يوجَد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك بن مروان ووجّه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنّاع فبعث اليـه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليـد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذى دخلوه عنوة مسجدا وبقى النصف الذى صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة فى المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤا من عوض فأبوا عليـه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون أن الذى يهدمها يُجَنّ فذكروا ذلك للوليـد فقال أنا أول من يُجَنّ فى سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يَهْدِم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهـدم وأكذب اللهُ زَعْمَ الروم وزُيِّن هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء تخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحُسْن وذَرْعُ المسجد فى الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمـائة ذراع وعرضه من القبلـة الى الجوف مائة

وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التى فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سعة كل بلاط منها ثمـان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثمانى أرجل جِصّية تتخللها وست أرجل مُرَخّمة مُرَصّعة بالرُّخام الملون قد صُوّر فيها أشكال محاريب وسواها وهى تُقِلّ قُبّـةَ الرَّصاص التى أمام المحراب المساة بقبـة النّسْر كأنهم شَـبَّهوا المسجدَ بنَسْر طائر والقبة رأســه وهى من أعجب مبانى الدنيـا ومن أى جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة فى الهواء منيفة على جميع مبانى البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاو بها من السوارى ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حُسْـنا وبها يجتمع أهل المدينـة بالعشايا فمن قارئ ومُحَـدّث وذاهب ويكون انصرافهم بعـد العشاء الأخيرة واذا لقىَ أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحبا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفى هذا الصحن ثلاث من القباب احداها فى غربيــه وهى أكبرها وتسمى قبة عائشــة أم المؤمنين وهى قائمة على ثمـان سَوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والأصـبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان مال الجـامع كان يخزن بها وذكر لى أن فوائد مستغلات الجامع ومجابيــه نحو خمســة وعشرين ألف دينار ذهبا فى كل ســنة والقبة الثانية من

شرق الصحن على هيئة الأخرى الا أنها أصغر منها قائمة على ثمـان من سوارى الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة فى وسط الصحن وهى صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شُبّاك حديد فى وسطه أنبوب نحاس يَمُجّ المـاء الى عُلْو فيرتفـع ثم ينثنى كأنه قضيب لُجَين وهم يُسَمُّونه قَفَص المـاء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفى الجانب الشرقى من الصحن باب يُفْضى الى المسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقى البلاطان الغربى والجوفى موضع يقال ان عائشـــة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفى قبلة المسجد المقصورة العظمى التى يؤم فيها امام الشافعية وفى الركن الشرقى منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصـــلاة فيزدحم النـاس على لَثْم ذلك المصحف الكريم وهنالك يُحَلِّف الناسُ غُرَماءَهم ومَن ادّعَوْا عليه شيئا وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكُر أهل التاريخ انه اوّل محراب وضـع فى الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويليه محراب الحنابلة وفيـه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقيّه وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مَطْهَرة وبيوت للوضوء يَغْتَسل فيها المعتكفون والملتزمون

للمسجد ويتوضؤن والصومعة الثانية بغربيه وهى ايضا من بناء الروم
والصومعة الثالثة بشماله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون
مؤذنا وفى شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهى لطائفة
الزيالعة السودان وفى وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت
معترض بين اسطوانتين مَكْسُوّ بثوب حرير أسود مُعْلَم فيـه مكتوب
بالأبيض (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهير الفضل
وقرأت فى فضائل دمشق عن سفيان الثّورى انّ الصلاة فى مسجد دمشق
بثلاثين ألف صـلاة وفى الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
يُعْبَد اللهُ فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلى منه
وضعه نبى الله هود عليه السلام وأن قبره به وقد رأيت على مقربة من
مدينة ظَفارِ ايمن بموضع يقال له الأحْقاف بَنِيّة فيها قبر مكتوب عليـه
هذا قبر هود بن عامر صلى الله عليه وسـلم ومن فضائل هذا المسجد
أنه لايخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان والناس يجتمعون
به كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤن سُبعا من القرآن ويجتمعون
بعد صـلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرؤن فيها من سورة الكوثر
الى آخر القرآن وللمجتمعين على هـذه القراءة مرتبات تجرى لهم وهم
نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند
دفع المرتب بقدر غيبته وفى هـذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين
لايخرجون منه مُقْبلون على الصلاة والقراءة والذّكر لايَفْتُرون عن ذلك

ويتوضؤن من المَطَاهر التى بداخل الصومعة الشرقيــة التى ذكرناهـا وأهل البلد يُعينونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئًا من ذلك وفى هذا المسجد أربعة أبواب بابٌ قبلى يُعْرَف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرُمْح الذى كانت فيه راية خالد بن الوليد رضى الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنـه يُذْهب الى دار الخيـل وعن يسار الخارج منه سمـاط الصقارين وهى سوق عظيمة ممتـدة مع جدار المسجد القبلى من أحسن أسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم وصـار مكانها سوقا وبابٌ شَرْقِىّ وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى بباب جَيْرون وله دهليز عظيم يُخْرَج منه الى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لهـا ستة أعمدة طوال وفى جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وبه ماءٌ جارٍ وقد انتظمت أمام البلاط دَرَج يُنْحَدَر فيها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل ببـاب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال وبجانبى هـذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البَزّازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيهـا حوانيت الجوهريين والكُتْبيين وصُنّاع أوانى الزجاج العجيبة وفى الرَحَبة المتصلة بالبـاب الأول دكاكين لكبار الشهود منها

دكانان للشافعية وسائرها لاصحاب المذاهب يكون فى الدكان منها الخمسة والســتة من العدول والعاقد للانكحة من قبل القــاضى وسائر الشهود مفترقون فى المدينـــة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الورّاقين الذين يبيعون الكاغِد والاقلام والمداد وفى وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لاسَقْف لها تُقِلُّها أعمدة رخام وفى وسط الحوض أنبوب نحاس يُزعِج المــاء بقوة فيرتفع فى الهواء أزيد من قامة الانسان يسمونه الفَوّارة مَنْظَرُه عجيب وعن يمين الخارج من باب جَيْرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مُفَتَّحة لهــا أبواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضى الساعات والباب الغربى يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرســة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد اليه فى دَرَج له أعمدة سامية فى الهواء وتحت الدرج سِقَايَتَــان عن يمين وشمــال مستديرتان والباب الجوفى يعرف ببــاب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانية فى وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجرى فيها المــاء ويقال انها كانت دار عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنــه وعلى كل باب

من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجرى فيها الميـاه الكثيرة (لابن بطوطة)

لابى البقا صالح بن شريف الرَنْدى يرثى الاندلس

لكل شئٍ اذا ما تمّ نُقْصـــانُ فلا يُغَرّ بِطيب العيش انسـان
هى الامور كما شاهـدتَها دُوَل مَن سَرّه زَمَنٌ ساءَتْه أزمان
وهـذه الدار لاتُبْقِى على أحد ولا يدوم على حالٍ لهـا شان
يُمَزّق الدهرُ حتْما كلَّ سابغـةٍ اذ نَبَتْ مَشْرَفِيّات وخُرْصـانُ
ويَنْتَضِى كلَّ سَيفٍ للفناء ولو كان ابنَ ذِى يَزَنٍ والغِمْدَ غُمْدانُ
أين الملوكُ ذَوُو التيجان من يَمَنٍ وأين منهـم أكاليـلٌ وتيجان
وأين ماشاده شـــدّاد فى إِرَمٍ وأين ماساسه فى الفُرْس سَاسَان
وأين ما حازه قارُونُ من ذَهَب وأين عادٌ وشــدّاد وقَحْطَان
أتى على الكُلّ أمرٌ لا مَرَدّ له حتى قَضَوْا فكأنّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حَكَى عن خَيال الطَيْف وَسْنَانُ
دَارَ الزمانُ على دَارَا وقاتِله وأمّ كِسْرَى فما آواه إِيوَان
كأنما الصَعْب لم يَسْهُل له سَبَبٌ يوما ولا مَلَك الدنيـا سُلَيان
فجائعُ الدهرِ أنواعٌ مُنَــوّعة وللـــزمان مَسَرّاتٌ وأحْزان
وللحــوادث سُــلْوانٌ يُسَهِّلها وما لِمـا حَلّ بالاسلام سُلْوان
دَهَى الجــزيرةَ أمرٌ لاعَزاءَ له هَوَى له أُحُدٌ وانْهَـــدّ ثَهْلان

أصابها العين فى الاسلام فارْتَزأتْ حتى خَلَتْ منـه أقطار و بُلْدان
فاسْأَلْ بلَنْسِيَةً ماشأْنُ مُرْسِيَةٍ وأين شاطِبــةٌ أمْ أين جيَّان
وأين قُرْطُبــةٌ دارُ العـلوم فكم من عالِمٍ قد سمـا فيهـا له شان
وأين حِمْصٌ وما تحـويه من نُزَه ونَهْرُهـا العَذْب فيّاض ومَلآن
قَواعِدٌ كُنّ أركانَ البـلاد فما عَسَى البَقـاءُ اذا لم تَبْـقَ أركان
تَبْكِى الحنيفيّة البيضاءُ من أسَفٍ كما بكى لِفِــراق الإلْف هَيْمان
على ديار من الاســلام خاليـة قد أقْفَرَت ولهـا بالكفر عُمْران
حيث المساجدُ قدصارت كنائسَ ما فيهنّ الّا نَوَاقيسٌ وصُـلْبان
حتى المَحَارِيب تبكى وهى جامِدة حتى المَنـابِر ترثِى وهى عِيـدان
ياغافلا وله فى الدهر موعظـة ان كنت فى سِنَةٍ فالدهرُ يقْظان
وماشِــيًا مَرِحًا يُلْهِيه موطِنُـه أبَعْــدَ حِمْصٍ تَغُرّ المـرءَ أوطان
تلك المصيبة أنْسَتْ ماتَقَـدَّمَها وما لهـا مع طُول الدهر نِسيان
يارا كبينَ عِتاقَ الخيـل ضامِرةً كأنّها فى مَجَال السَبْقِ عِقْبان
وحاملين سـيوفَ الهند مُرْهَفَةً كأنهـا فى ظلام النَقْع نيران
ورَاتِعــين وَرَاء البَحْر فى دَعَةٍ لهم بأوطانهـم عزٌ وســلطان
أعِنْدكم نَبَأٌ من أهل أنْدَلُسٍ فقد سَرَى بحـديث القوم رُكْبان
كم يَسْتَغيث بِنَا المُسْتَضْعَفُون وهم قَتْــلَى وأسْرَى فمـا يَهْتَزّ انسان
ماذا التَقَاطُـع فى الاسلام بَيْنَكُمُ وأنــتُمُ يا عبـادَ الله اخوان
أَلَا نُفُــوسٌ أبِيّـات لهـا هِمَمٌ أمَا على الخـــير أنصار وأعوان

يامَن لِذِلّة قوم بعــد عِزِّهِــم أحالَ حالَهُــم جَوْرٌ وطُغْيان
بالأَمْس كانوا مُلوكا فى مَنازلِهم واليومَ هُمْ فى بلاد الكُفْر عُبْدان
فلو تراهم حَيـارَى لادَليــلَ لهم عليهمُ فى ثِيـاب الذُّلّ ألوان
ولو رأيت بُكاهم عنـد بَيْعِهِــمُ لَهالَك الأمْرُ واسْتَهْوَتْك أحزان
يارُبّ أُمّ وطِفْـل حِيـلَ بَيْنَهُما كما تُفَــرَّق أرْواحٌ وأبْدَان
وطَفْلةٍ مِثْل حُسْن الشَمْس اذ طَلَعَتْ كأنّمـا هى ياقوتٌ ومَرْجان
يَقُودُهــا العِلْج للمكْرُوه مُكْرَهَــةً والعينُ باكيةٌ والقلب حَيْران
لِمثْل هــذا يَذُوب القلب من كَمَدٍ ان كان فى القلب اسلام وايمان

مدينة الزهراء فى الاندلس

كان الخليفة عبـدالرحمن الناصر كَلِفًا بعمارة الأندلس وإقامة مَعالِمها وتخليد الآثار الدالة على قُوّة المُلْك وعِزّة السلطان فأفْضَى به الاِغراق فى ذلك الى أن ابْتَنَى مدينـة الزهراء البناء الشائع ذكره المنتشر صيته واستفرغ جهده فى تَميقها واتقان قصورها وزخرفة مَصانعها فاستدعى عُرَفاء المهندسين وحشد بُرَعاء البنائين من كل قُطْر فوفَدوا عليه حتى من بَغْداد والقُسْطَنْطينية ثم أخذ فى بناء المُسْتَنْزَهات وانشاء مدينة الزهراء الموصوفة بالقصور البـاهرة وأقامَها بطرق البلد على ضَـفّة نهر قُرْطُبة ونَسّق فيها كل اقتدار مُعْجز ونظام وكان قَصْر الخليفة متناهيا فى الجلالة والفخامة أطبقَ الناس على أنه لم يبن مِثْلُه فى الاسلام البَتّة وما دَخَل اليه

أَحَدٌ من سائر البلاد النائية والنِحَل المختلفة الّا وكُلُّهم قطَعَ أنه لم يَرَله شبيها بل لم يَسْمَع به بل لم يَتَوَهّم كَوْنَ مِثْله ولو لم يكن فيه الا السطح المُمَرَّد المُشْرِف على الروضة المباهى بمجلس الذهب والقبة وعجيب ماتضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة المَلْبَس والحِلْيَة ما بين مَرْمَرٍ مَسْنُون وذَهَب مَصُون وعَمَد كأنما أُفْرِغَتْ فى القَوالِب وتَمَاثيل لاتُهْدَى الأوهامُ الى سبيل استقصاء التعبير عنها (لكفى مثلا) وكنتَ تَرَى فى مقصورة الخليفة بِرْكَةً يجرى الماء فيها بصنعة محكمة وفى وسطها يَعُوم أسَد عظيم الصُّورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهَد أبْهَى منه فيما صَوّر الملوك فى غابر الدهر مَطْلِىّ بذَهب ابْريز وعَيْناه جَوْهَرَتان لهما وَبِيصٌ شديد فَيَمُجّ الماءَ فى تلك البركة من فيه فَيَبْهَر المَنَاظِر بحسنه ورَوْعة مَنْظَره وثَجَّاج صَبّه فَتُسْقَى من مُجاجه جنَان هذا القصر على سَعَتِها ويَسْتَفيض على ساحاته وجَنَبَاته وهذه البِرْكة وتِمْثالها من أعظم آثار الملوك فى غالب الدهر لفخامة بنيانها وما يخص سائر البِنايات فكان الناصر قد جَلَب اليها الرُخامَ الأبيض المُجَزّع من رَيَّة والأبيضَ من غيرها والوَرْدِىّ والاخضر من إفْريقية وبَنَى فى القصر المَجْلِس وجعل فى وسطه اليَتيمة التى أتحفَ الناصرَ بها اليون ملك قسطنطينية وكانت قَرَامد هذا القصر من الذهب والفِضّة وهذا المجلس فى وسطه صِهْريج عظيم مملوء بالزئبق وكان فى كل جانبٍ من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حَنايا من العاج والأَبَنُوس المُرَصّع بالذهب

وأصناف الجواهر قامت على سَوَارٍ من الرُخام المُلَوّن والبِلَّوْر الصافى وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شُعاعها فى صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذاك نورٌ يأخذ بالابصار وكان بناءُ الزَهْراء فى غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعَمَد كثير وأجرى فيها المياهَ وأَحْدَق بها البساتين وقد أتقنه الى الغاية وأنفق عليـــه أموالا طائلة ووضع فى وسط البحيرة قبّةً من زجاج مُلوّن منقوش بالذهب وجَلَب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماءُ ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها ويتصل بعضه ببعض وكانت قبة الزجاج فى غلالةٍ مما سُكِبَ خَلْف الزجاج لايَفْتُرُ من الجَرْى وتُوقَد فيها الشموع فيُرَى لذلك مَنْظَرٌ بديع وتَمَّ بناءُ الزهراء فى أربعين سنة (للمقرى)

وصف سفر البحر

لمـا رَكِبْنا البَحْر وحَلَلْنا منـه بين السَّحْر والنَحْر شاهَدْنا من أهواله وتنافِى أحوالِه مالا يُعبَّر عنه ولا يُبْلَغ له كُنْه

البَحْر صَـعْب المرامِ جِدًّا لاجُعِلَتْ حاجَتِي اليـــه
أَلَيْسَ ماءً ونحـنُ طينٌ فمـا عَسَى صَبْرُنا عليـــه

فكم اسْتَقْبَلَتْنا أَمْواجُه بوُجوهٍ بَوَاسِر وطارت الينا من شِراعه عِقْبانٌ كَوَاسِر قد أَزْعَجَتْها أَكُفّ الريح من وكْرِها لمّا نَبَّهَتْ اللُّجَج مِن سُكْرِها فلم تُبْقِ شيئا من قُوّتِهـا ومكْرِها فسَمِعنا للجبال صَفِيرا وللرّياح دَوِيًّا

عظيما وزفيرا وتيقّنا أنّا لانجد من ذلك الا فضـل الله مُجيرا وخفيرا
واذا مسّكُمُ الضُّرُّ فى البحر ضلّ من تدعون الّا أيّاه وأيِسنا من الحياة
لصوت تلك العواصف والمياه فلا حيّا الله ذلك الهوّ المُزعج ولا بيّاه
والموجُ يُصفِّق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من
كأس الجنون يشرب اوشرب فيبتعد ويقترب وفرقه تلتطم وتصطفق
وتختلف ولا تكاد تتّفق فتخال الجوّ يأخذ بنواصيها وتجذبها أيديه من
قواصيها حتى كاد سطح الارض يُكشف من خلالها وعنان السحب
يُخطف فى استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها
واعتلالها وآذنت الأحوال بعــد انتظامها باختلالها وساءت الظنون
وتراءت فى صورها المنون والشراع فى قراع مع جيوش الأمواج التى
أُمدّت منها الأفواج بالافواج ونحن قعود كدودٍ على عود مابين
فُرادى وأزواج وقد نبتت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق
ألسنتنا وتوهّمنا انه ليس فى الوجود أغوارٌ ولا نجود الا السماء والمـاء
وذلك السفين ومن فى قبر جوفه دفين مع ترقّب هجوم العدوّ فى الرواح
والغدوّ فزادنا ذلك الحذر الذى لم يبق ولم يذر على ماوصفناه من هول
البحر قلقـا وأجرينا اذ ذاك فى ميدان الالقاء باليـد الى التهلكة طلقا
وتشتّتت أفكارنا فرقا وذبنا أسى وندما وفرقا الى أن قضى الله بالنجاة
وكلّ ماأراد فهو الكائن وان نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البرّ وكأنّنا

قبلُ لم نَرَه وشُفِيَتْ به أعْيُنُنا من المَرَه وحَصَل بعد الشِدّة الفَرَج
وشَمِمْنا من السَّلامة أطْيَبَ الأَرَج (نفح الطيب للمقرى)

قال محمود سامى البارودى

يصف حرب سكان جزيرة اقريطش (كريد) حين خرجوا عن الطاعة
سنة ١٢٨٢. و يتشوق الى مصر

أَخَذَ الكَرَى بمَعَاقِد الأجْفان وهَفَا السُرَى بأعنّة الفُرْسان
والليلُ مَنْشُور الذَوَائِب ضارِب فَوْق المَتَالِع والرُّبَى بِجِران
لاتستبين العَيْن فى ظَلْمائه الا اشْتعالَ أسِنّة المُرّان
نَسْرِى به مابين لُجّة فِتْنة تَسْمُو غَوَارِبُهَا على الطُوفان
فى كل مَرْبأَة وكل ثَنِيّة تَهْدَار سَامِرة وعَزْف قِيَان
تَسْتَنّ عادِيَةٌ ويَصْهَل أجْرَدٌ وتَصيح أجْرَاس ويَهْتِف عَان
قَوْمٌ أبَى الشَيْطان الّا خُسْرَهم فَتَسَلَّلُوا من طاعة السُلطان
مَلَؤُا الفَضاءَ فما يَبِينُ لناظرٍ غَيْرُ التِمَاع البيض والخُرْصان
فالبَدرُ أكْدَرُ والسماءُ مَريضة والبَحْر أشْكَل والرِماحُ دَوَان
والخَيل واقفةٌ على أرسانِها لِطراد يوم كَرِيهة ورِهان
وضَعوا السِلاحَ الى الصباح وأقبَلوا يَتَكَلَّمون بألْسُن النيران
حتى اذا ما الصُبْح أسفَر وارْتَمَتْ عيناىَ بين رُبًى وبين مجان
فاذا الجبالُ أسِنّةٌ واذا الوِها دُ أعِنّةٌ والماءُ أحْمَرُ قَان

فتوجّست فَرْطَ الرِكاب ولم تكن ... لِتَهابَ فامْتَنَعَت على الأرْســان
فَزِعَت فرجّعت الحَنِين وانما ... تَحْنانُهـا شَجَنٌ من الأشجـان
ذ كَرَت مَوارِدَها بمصر وأينَ مِن ... ماءِ بمصـــرَ مَنازِلُ الرومان
والنَفْس لاهِيةٌ وان هِيَ صادَفت ... خَلَفا بأوّل صـاحِبٍ ومكان
فَســقَى السِماكُ مَحَــلّةً ومَقامةً ... فى مِصـــر كل مُرِنّةٍ مِرْنان
حتى تعودَ الأرضُ بعــد ذُبُولها ... شَــتَّى النمـاءِ كثيرةَ الألوان
بَلَدٌ خَلَعْتُ بهـا عِـذارَ شَبِيبتى ... وطَرَحْتُ فى يُمْنَى الغَـرامِ عنانى
فصعيدُها أحْوَى النَباتِ وسَرْحُها ... ألْمَى الظِلالِ وزَهْرُهـا مُتَــدانى
فارقْتُها طَلَبًا لِمَا هو كــائن ... والمــرْءُ طَوْع تَقَلُّب الأزمان
حَمــلَ الزمانُ علَىّ مالم أجْنِــه ... انّ الأماثل عُرْضَــة الحَدَثان
نَقَمُوا علَىّ وقد فتكْتُ شَجـاعتى ... انّ الشَجاعة حِلْيــة الفِتْيـان
فلْيَهنَأ الدهــرُ الغَيُــور برحْلَتى ... عن مِصرَ ولْتَهْدأ صُروف زمانى
فلئن رَجَعْت وسوف أرْجع واثقا ... بالله أعْلَمْتُ الزمانَ مــكانى
صادَقْتُ بعضَ القوم حتى خانَنى ... وحَفِظْتُ منـــه مَغِيبه فَرَمانى
زَعَم النصيحةَ بعــد أن بَلَغَت به ... غِشًّــا وجازَى الحَقَّ بالبُهْتَـان
فلْيَجرِ بعدُ كما أراد بنفســه ... انّ الشقِيَّ مَطِيَّــة الشيطان
وكذا اللئيمُ اذا أصابَ كرامــة ... عادَى الصديقَ ومالَ بالاخوان
كلُّ امْرِئٍ يَجْــرِى على أعْراقه ... والطبعُ ليس يحول فى الانسان
فَعَلَى مَ يَلْتَمِسُ العــدوُّ مَساءتِى ... من بعدِ ما عَرَف الخلائقُ شانى

أنا لا أذِلّ وانمـا يَزَعُ الفَـــتَى فَقْــدُ الرجاء وقِـــلّة الاخوان
فَلَيَعْلَمَنّ أخُو الجَهـالة قَصْـره عَنيّ وان سَـبَقَتْ به قَدمانـــ
فَلَرُبَّمَا رَجَح الخَسيسُ من الحَصَى بالدُّرّ عنــد تَرَاجُح الميزانــ
شَرَفٌ خُصِصْتُ بهِ وأخْطَأ حاسِدِى مَسْعاتهُ فَهَــذَى به وقَــلانى

رسالة الشيخ حمزه فتح الله للسيد توفيق البكرى يمدحه

اعادة العَرَض يوم العَرْض

مَسألةٌ كلاميّة ثَارتْ فيها عَجَاجَة الكلام بين عُلَماء الكلام فمن ايجازٍ وإطْناب فى سَلْب وايجاب (وتَعْلَم أنت أنّ الألفاظ أعْراضٌ سيّالة) لكننى آمَنْتُ عِيانا انّ الله تعالى يُحيي المَوْتَى أعْراضًا وأعْيانا اذ كانت كُتُبُك زيادةً فى البَيَان والبُرْهان وان كان خَبَرُ المَعْصُوم أوْثَقَ من الحِسّ فى النَّفْس فأنْشُدُ الله امْرَأً شِيمَتُه العَدْل والقَوْل الفَصْل ألَيْسَتْ كُتُبُك هــذه حُجّةً للموجِب دامِغَةً للسالِب أليس ذلك البَيَـان غايةَ شَأْوِ قُسّ وسَحْبَان أليس قُصارَى ابن العَميد وحُمَادَى عبدالحميد فقد أُعيد العَرَض الذى هو الكلام فى الدنيا ففى الأُخْرَى أحْرَى فتَرَانى يامَليك البَرَاعات وقَسْوَرَ تِلكُمُ الغابات أسِيفا على ضن الزمان بك الى الآن فلو أن الله تعالى بَرَاك وخَلَقَك فَسَوّاك حين استَعَر الخِصام فى هــذا المقام لَمَـا اخْتَلَفَ فى شأنهِ اثنان ولا انْتَطح عَنْزَان

رقم الإيداع: ١٧١٩٧/ ٢٠١٣

الترقيم الدولي: 978-977-718-495-3

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

جمع هذا الكتاب - كما أشار مؤلفوه - لتلاميذ المدارس الثانوية وتم تصديره بمقدمة طويلة تبين حالة اللغة العربية قبل الإسلام، وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها، وفضلها على المدنية التي عمت جميع الممالك الإسلامية إبان عظمتها واتساعها، ثم أتبع ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء، كما أثبتت مختارات من النثر والنظم في كل عصر لتكون معتمد التلاميذ في معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة.



الغلاف... د. خالد سرور

الثمن: أربعة جنيهات

www.gocp.gov.eg